الأعمال
الفكرية

مهرجان القراءة للجميع

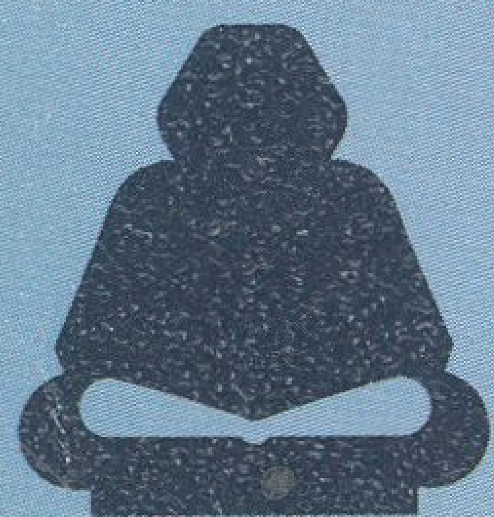




د. شوقي عبد الحكيم

الشعر الشعبي الفلكلوري

من المهد إلى اللحد



الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب

الفاتحة لروح من
أهدى هذا الكتاب

الشعر الشعبى الفولكلورى

الشعر الشعبى الفولكلورى

د. شوقى عبد الحكيم



مهرجان القراءة للجميع ٩٧

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الفكرية)

الشعر الشعبى الفولكلورى
د. شوقى عبد الحكيم

الغلاف:
الإشراف الفنى
للفنان محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الإدارة المحلية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاثة الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وان مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم...

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر القوة فى عالم اليوم..

صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

مقـــدمة

الايقـــاع وطقوس الانتقال من المهـــد الى اللحد في هـــذه الأشـــعار

الأشعار المتنوعـة التى يضمها هذا الكتاب ، والتى يمـكن أن تغطى مراحل الانسان « من المهـد الى اللحد » كما يقولون ، حاولت جاهـدا أن أفسح في المحل.الأول امكانية نشرها ، وبأكبر قدر من المحايدة وعدم التدخل فى صياغتها ، ومن منطلق اعتبارها فنون أو ابداعات قولية دون عزلة عن خلفياتها التاريخيه و طبعيتها الاقتصاديه الاجتماعية التى تتبدى فى تقاليد ومعتقدات قائليها.وتواصلها وانعكاسها فى الابداعات الشعرية ، وأخصها هنا الموال بشقيه : الأحمر المعبر عن آلام وضغوط ومواجع الواقع اليومى لقائليه ، ثم نقيضه الأخضر الذى يتناول جانبها البهيج ــ الدنيوى ــ المحب المنشرح ٠

ودون عزلة بالطبع عن الايقاع الموسيقى داخل الشعر الشعبى ، الذى فيه تتبدى خصائص عينية ، ما بين جماهير الموال ــ وبخاصـة الأحمر ــ والأشعار أو المنظومات الدينية ، وبين أغانى الزواج واحتفالاته ، وايقاعات البكائيات الجنائزية ، وما يتبعها من ميلوديـات قرع الدفوف ، والرقص الجماعي الجنائزى ، وكذا ايقاعات العمل ، حين « كان الانسان يهون جهده وتعبه ، مستثيرا حميته وجهده ، بايقاع الحركة الجسدية باللحن واللفظ » كما يذكر يورى سو كولوف ٠

فيلاحظ ان معظم هذه القطـع الشـعرية ، ما بين موال ، وأهازيـج أطفال ،وندب أو منظومات دينية شعائرية ، جميعها بلا استثناء ، لها وظائف ايقاعية موسيقية ، تستلزم حركة ايقاعية وراقصة ، جسدية فردية كانت أم جماعيـة ، كما تستلزم آلات موسـيقية مصاحبـة ، ما بين الأرغـول ــ أو الغـاب ــ العميق الرخيـم الذى قد يفوق طوله المترين ، ويتكون من أكثر من مزمار مفرد ، وله صوت عميق ــ باص وباريتون ــ ٠

وكان هذا الأرغول المهيب ، بطبقة صوته ضـارية الحزن والأسى العميق ، أكثر الأدوات أو الآلات الموسيقية انتشـارا فى الموالد والمقاهى والأسواق ومشارب الشاى ، وهو عادة ما يصـاحب الموال الأحمر ، أو انشاد الملاحم ، والبالاد أو البليانات المأساوية لقصص العشق الشعرية التى سنتعرض لها مطولا ــ ، مثل : يوسف وزليخة ، وعزيزة ويونس ، وشفيقة ومتولى ، وحسن ونعيمة ، وهى البالادات التى نخصهـا بنشر نصوصها المحققة والدراسة ، كتابنا المرفق (١) ٠

أما الدفوف فكثيرا ما تصـاحب الأرغول لكنها تسـتخدم كأدوات موسيقية مفردة أو مجتمعة فى مصاحبة الانشاد الدينى وبخاصة أكثر مع القول المصاحب ــ الندب ــ للمراسم الجنائزية وجنـازات النساء ، وتبعا لحالات الوفاة والافتقاد ، ما بين أب أو أم أو شاب لم يتزوج ٠

وكما هو معروف ، تشارك أكثر من أداة موسيقية ، من طبول ورق وصاجات وتصفيق أغانى الأفراح ، والبالادا الغنائية ، التى يرجع البعض انها وضعت أصـلا لتصـاحب الرقص ، مثلهـا مثلا البالاتا Ballata الموجودة فى جنوب أوربا والتى تعود بأصولها الى ما قبل ألفى عام أى منذ العصر الرومانى ، ولها أشكالها المختلفـة لدى معظم شعوب غـرب البحر الأبيض المتوسط ٠

فبالاتا الندابات الكورسيكيات وال - Coronach الغالية ، تعتبر من أهم جذور الشعر الملحمى كله ، كما يذكر كراب ٠

ولعل كل هذا لا يبعد بنا عن موضوعنـا هذا الماثـل ، وهو الايقاع وما يتضمنه من الحان وميلوديات غنائية ، مصاحبة لنماذج هذه الأشعار والأغانى الشعبية والفولكلورية ، فى أدنى أنواعها وأغراضها ٠

سواء كانت ايقاعات حزينة فردية دكورية ، مصاحبة للموال الأحمر أو هذه الشكايات الأدبية الشـعرية ، الأقرب الى المراثى الذاتيـة ، والتى يرجع حقا اشتقاقها من المراثى الجنائزية ٠

مع ملاحظ أن هذه المواويل الدامية الشاكية ، ليست وقفا على الرجال ، بل ان للنساء الباع الأكثر طولا ، كما يتضح من الأمثلة :

حلمت بالليـل يجعله خـير وسـلامة
بأنى غريب الديـار والنفس منهـانة

---

(١) السير والملاحم العربية ــ للمؤلف ٠

بكرة الغريب - يا عين - يروح دياره
وكلمة الندل مضرورة ومشتالة

★★★

يجازيك يادى الردى يجازيك
يالى بتبحت فى جدانا
بعد الجميل ما كان رامى الرماميل
خليته جفانا .

★★★

والإيقاعات المصاحبة عادة لمثل هذه المراثى والشكايات والتوجعات الذاتية الفردية ، أقرب الى أن تكون ساكنة بطيئة متكررة بحسب البحور والتفاعيل الشعرية .

وفى النص التالى الذى يطلب فيه الشاكى المعلول من طبيبه ، ان يستنهض همته ويأتيه معالجا ، وهو - جاعد - أو جالس ، مستسلم فى النهاية لمعضلة قدرية ، موجزها ان دبيبا أو برصا سطى على طعامه وسممه - ويا للغرابة والمعضلة - حيث ان بسة أو قطة ، العدو الأزلى للزواحف من حيات وأبراص ، كان موجودا وجالسا بدوره ، والمغزى هنا هو نفاذ المقدر والمكتوب ، الذى لا مانع له ، والذى ترجع بذوره الى مطلع - برديات - الدولة القديمة ، وعصر بناة الأهرام :

ما فيكش همة يا طبيب تداوينى وأنا جاعد
أمانة يا طبيب تداوينى من دواك حبة .
دا الدود يا طبيب ، نقط ع الفراش حبة
ومثل سمعناه من اللى قبلنا قالوه
دبيب سطى فى الطعام كان بسنا جاعد

فمثل هذه الايقاعات الخامدة ، تصل الى نقيضها فى حالات أغانى الأفراح والمناسبات ، والأغانى الجماعية - النسائية - فى حالات جمل النساء للمياه من الترع والموارد الى الدور ، وأغانى جمع القطن والحصاد وتنقية الدودة ، والخبيز وطحن الرحى ، وزفات العرائس والمطاهرين ، وأخذ

الوش ، والاحتفاء بعودة الحجاج بالحنين ، بالموقعات الشعرية الأقرب الى أن تكون ذات صبغة شعائرية أو دينية ، نعرف بالحنين أو التحنين ، وهو تقليد متواجد بكثرة عند أكثر مجتمعاتنا العربية ، ويصل بها الى حد **التوحد التراثي العربي** ٠

كذلك يمكر تسجيل ظاهرة ، الأغاني الطقسية والموسمية ، المرتبطة بالاحتفالات ـ الشعائرية الطوطمية ـ لأضرحة الشيوخ والأولياء ٠

من جانب كلا النساء والفتيات ، والذكور من الشباب ٠

وفى حالة الذكور تضاف أغانى العراسات ، وأغانى الرمى أو التلقيح التى تفيض بالأقوال الفاحشة ٠

أما أغانى الحرفيين والطبقات الوسطى الصغيرة ، من خبازين وبنائين ومبيضى النحاس ، وحلاقين ، وحدادين ، فيبدو انها ازدهرت بدءا من الفاطميين ، متوالية الأكثار فى العصر التركى المملوكى ٠

وكان يحتفل بها فى ليلة رؤية الهلال ، أول رمضان فيما يعرف باحتفالات الرؤية ٠

فالملاحظ هو ان الأنغام والايقاعات التى عادة ما تصاحب **الأغنية الشعبية الفولكلورية** ، تحفظ لها انتشارا أسرع وأسهل من ذلك الذى تحظى به الحكايات بل ان الحدود الوطنية والقومية واللغوية لا تشكل حواجز تستعصى على العبور ، بالنسبة لكلا الشعر والايقاع ، أو الميلوديات الموسيقية ٠

وعادة ما يكون أسلوب الأغنية الفولكلورية أميل الى البساطة ، وأقرب الى أسلوب المربعات الشائع بكثرة فى نصوصنا هذه :

ولدينا شواهد على ان السخرية فى هذه الأغانى باقتحامها للتابوات والضغوط السياسية كانت عنيفة مما دعا السلطات الى وقفها ، ومنعها ، وفرض الغرامات على من يغنونها ، أو وضعهم فى السجن ، بل سنورد أمثالا لمثل هذه الأغانى ، ومنها أغانى الجندية والسجن ، ومأثوراتها متعددة خاصة فى سوريا وفلسطين ٠

وتعتبر أغنية النساجين السليزيين ، التى قيلت عام ١٨٤٩ ، مثالا لهذا الفن ،وان كانت تعتبر كذلك نقطة الافتراق بين الأغانى الفولكلورية والأغانى السياسية ، كما اعتبرها البعض من الفولكلوريين ٠

فهذه المواويل والأغاني جميعا ، تضرب بجذورهـا البعيد فى أعماق التاريخ ، مما يجعل التصدى لها فى كتاب كهذا الكتاب، يقصر بالضرورة عن الدقة العلمية الواجبة • ويكفى ان نقول ان التاليف الفردى لا الجماعى . أمر مؤكد فى هذه الأغانى والأشعار العربية ، ونظيرتها أغـانى الفروسية والملاحم المعروفة فى الغرب بالسيوريتان •

يمكن القول بأن الأغاني الدينية ، تستوى مع الأغـانى السياسية . فى انهـا تزدهـر فحسب فى فترات الحمـاس الـروحى ، كفترة حـركة الفرانسيسكان فى ايطاليا أثناء القرن الثالث عشر ، وحركة البروتستانت فى ألمانيا ، أثنـاء حرب الثلاثين ، فى الغرب • وكذا الثورة العرابيـة فى مصر ، ومعاصرتها المهدية فى السودان ، ورشيد عالى الكيلانى فى العراق •

وبالنسبة لحركة البروتستانت نجد انّ جميع مؤلفى أغانيها الدينية ، معروفون لنا ــ كما يذكر كراب ــ وكذلك الشأن فيما يتصل بالظروف التى أنشأت كل قصيدة مفردة منها • ولم يحل ذلك كله دون أن تصبح هذه الأغانى الدينية ، أغانى فولكلورية أصيلة ، وبعض هذه الأغـانى الدينية أعمال كبيره ، من الناحية الفنية الخالصة •

ولقد ينبغى ان نضيف الى ما سبق ان القليـل النادر من الأغـانى الدينية والجنائزية يستطيع ان يزهو بألحانه المبتكرة الغير المسبوقة •

وخير مثال هنا بالنسبه للأغانى والايقاعات الجنائزية ، ما صاحب جنازة الزعيم العربى الراحل ، جمال عبد الناصر ، وما صاحبها من خلق فورى جماهيرى أو شعبى من مئات بل آلاف القطع الشعرية الجنائزية من عديد وندب ، نذكر منها « ابكى ابكى يا عروبة/على اللى بناكى طوبه طوبه » •

فكان من أثر الاسراع فى وضع هذه الأغانى ، وانتشارها فى بيئة لا تقيم وزنا لكلمة الابتداع أو الأصالة ، ان استخدم مؤلفو الألحان الدينية ، ما كان يصادفهم من ألحان الأغانى الشعبية ، وأغانى الشارع •

ولقد تنطبق هذه الحقيقة ، سواء بسواء ، على ألحان الفرنسيسكان فى العصور الوسطى بايطاليا ، وألحان المتطهرين فى فترة الانبعاث الدينى بالقرن الثامن عشر •

ويمكن القول بأن مؤلف الأغنية الفولكلورية فرد ، بمعنى ان الذى وضعها أول أمرها كان فردا واحدا ، أديبا مغمورا فى بعض الأحيان ، أو رجلا من العامة ظل اسمه مغمورا يطويه الغموض •

وقد يرجع تاليفها الى الارتجال ، لكن ذلك ليس شرطا دائما • ثم ان الأغنية الفولكلورية جماعية ، أي ان نصها لا يثبت دائما ، بل تطرأ عليه تحويرات ، وتعديلات واضافات ، عبر هجراتها وتواترها زمانا ومكانا •

ثم انها جماعية من حيث ان بعض أنواعها ، ومنها اغاني الرمى والهجاء الانتقادية يضعها مؤلفون متعددون ، يضيف كل منهم مقطعا أو أكثر (١) •

وفي الامكان هنا الربط بين الايقاع والميلوديات والغنائيات المصاحبة للشعر الفولكلورى بعامة ، وما ينتظم تحته من تعريعات — كما أوضحنا — ما بين « اغانى ، أطوار العمر المتعاقبة من المهد الى اللحد » ، بدءا بأغانى وأهازيج أشهر الحمل التسعة ، والولادة ، والطهور ، ومراسم الزواج ، ثم الانتهاء — باللحد — عند مراسم الموت والجنازة •

أقول فى الامكان الربط بين الايقاعات والغنائيات المصاحبة لأطوار العمر ، وبين ما يعرف عند رائد علم الفولكلور الفرنسى « فان جنب » بطقوس العبور أو شعائر الانتقال ، أى الانتقال من طور — سواء أكان زمانى أو مكانى — الى ما يعقبه ، وهى الطقوس التى تصاحب وتواكب الانتقال والتحول من حالة الى أخرى ، أو ما يناقضها ، أو من عالم الى ما يخالفه — كونيا كان أو اجتماعيا •

كان يحدث هذا الانتقال أو التحول من العزوبية الى الزواج ، ومن الحياة الى الموت ، ومن أحد فصول السنة الى نقيضه ، وكذا — بالطبع — من قمة السلطة والعز ، الى هاوية الفاقة والامتهان ، ويحفل الفولكلور العربى هنا بآلاف النماذج ، سواء فيما يتصل بهده الأشعار ، خاصة جانبها الدامى الميلودرامى — الموال الأحمر — أو القصص والملاحم ، منها : أيوب — وزوجته ناعسة — وبلائه ، والملك معروف ، والملك الأسد ، وعبيد الغالبة ، حين زالت عنهم الدنيا والنعمة والجاه ، فتهاووا من قمة السلطة الى حضيض الفاقة والعوز والاهانة (٢) •

موجز هذه الشعائر الانتقالية عند « فان جنب » ، يتركز فى ثلاثة أنماط رئيسية هى طقوس الانفصال Rites de Sepanition وهى تعنى انفصال الميت عن ما يحيطه من أحياء ، وما يتبع هذا من مراسم جنائزية ، وهو ما يخالف طبعا شعائر التجمع Rites des Agregation التى مجالها احتفالات الزواج ، والتى تتضمن بالضرورة وتبعا للتقسيم الثالث ،

---

(١) اغانى الرمى والهجاء تشمل النوادر والقفشات ولوازم « اشمعنى » •

(٢) ومن هذا المنطلق عالجت مسرحيتى « الملك معروف » تبعا لطقوس الانتقال التى أودت بالملك من قمة السلطة الى هاوية المهانة : شوقى عبد الحكيم •

ما يعرف بالطقوس الهامشية Rites des Marge أى حالات الاخصاب والحمل والولادة ، وما يصاحبها من تفاصيل انتقالية فعلا الا انها ليست جوهرية ، كالتعميد ، والطهور •

وهى على وجه الدقة المراحل الانتقالية الرئيسية التى فيها وعبرهـا تنشط أشعارنا وأغانينا هذه ، سواء صاحبت الميلاد أو الزواج ، أو الموت وجميعها هنا ، كما يشير ذلك العالم ــ فان جنب ــ غزير الانتاج الذى اعتبر الفولكلور منـذ حوالى نصف قـرن ، علم بيولوجى ، طالما ان موضوعاتـه واهتماماته هى دراسة الكائن ــ البيولوجى ــ الحى •

جميع هذه الشعائر الانتقالية ، تستلزم بدورها ــ العبور ــ لطقوس أو شعائر حماية ، سواء انطوت المراسم الجنائزية وايقـاع بكائياتها على طقوس ــ انتقال ــ الاتشاح بالسواد واطلاق الأصوات ــ النسائية الجماعية ــ طلبا للحماية وخوفا من هجوم روح الميت عليهم ــ أى الأحياء أو المشيعين ــ ، فمن وظائف طقوس العبور الجنائزية هنا استرضاء الميت ، واقامة جسور الاتصال بين عالمى الأحياء والموتى ترضية ــ لروح ــ الميت من جهة ، وحماية وطمأنة للأحياء من ذويه • وتتمثل أكثر فى الفولكلور المسيحى ، فى قرع الأجراس والترانيم الدينية •

وقد لاحظ باخ Bach على وجه العموم ان هناك اعتقادا بأن القوى والشرور تزداد خطورة بصفة خاصة فى فترات الانتقال من حالة الى حالة أخرى : عند الميلاد ، والزواج ، والموت ، وتعـاقب السنين ، والانتقال من فصل الى آخر من فصول السنة ••• الخ • وينطوى هذا الموقف على نوع من الخوف الذى يستشعره الانسان البدائى من كل ما هو جديد ، ولذلك تطلق الأعيرة النارية فى ليلة رأس السنة (١) ، وتشعل النار عند الانقلاب الشمسى وفى نهاية السنة الزراعية عند الفلاحين فى عيد القـديس مارتين Martin بذلك أيضـا لا ينطق الناس اسم الوليد الذى لم يعمد بعد • ويحتفل الناس بليلة الزفاف والزواج عن طريق قرقعة السوط ، واطـلاق الأعيرة النارية وتحطيم أطباق الصينى المتكسرة محدثا أصواتا عاليـة • ولذلك أيضا تقاد المرأة الى حفل زفافها محجبة الوجه تحت حماية بعض الأشخاص المدججين بالسلاح ، ونفس الشىء يحدث للعريس من جـانب الشبان من رفاقه « اذ ان الأسلحة تعتبر وسيلة للوقاية من تأثير الجان » • ولذلك يقدم للعريس يوم الزفاف عروس أخرى أحيانا ــ كما حدث مع يعقوب

---

(١) خاصة فى سوريا وفلسطين ولبنان والاردن والعراق ، كما سنتعرض له باستفاضة •

وابنتى خاله لابان بن ناحور الأرامى ليئة وراشيل ـ وليس ذلك من قبيل تضليل العريس ولكن لتضليل الأرواح الشريرة والعفاريت التى يفترض فيها الغباء وقلة الحيلة ٠

ولعل اقدامنا على ايراد هذه الالمامة ، عن الدور الايقـاعي والميلودى الغنائى المصاحب لهذه الأشعار والأغانى وذلك لاستكشاف علاقـة الايقاع ومصاحبته لهذه الشعائر وكيف ان من أغراضها فى حالات الولادة ، حماية الوليد من الأرواح الشريرة والحسد وغيره ، بالزغاريد ودق الهون والأوانى المعدنية ، وحمايـة الأحياء من الميت ، فى حالـة دق النواقيس ، والانشاد الدينى ـ دلائل الخيرات ـ ٠

فالغناء الجماعي والفردى ، واطـلاق الأعيرة الناريـة ، والزغاريـد ، والنواقيس ، تكثر وتنشط مصاحبة لشعائر الانتقال ، أو مراحل أطوار العمر ٠

ومبعثها هنا الخوف والحاجة الى الحماية ، أو التوسـل بالغناء والايقاع من فردى لجماعي ـ للتشجيع والحماية ، سـواء المصاحبة لاطوار وشعائر التجمع الدنيوية ، أو تلك المصاحبة للانفصال والغياب والموت ذات الصفة الجنائزية ٠

ثم ما يتحرك عبرهما من شعائر انتقالية هامشية وليست جوهرية ٠

وهى الدورة الثلاثية ، التى عادة ما تصاحبها هذه المواويل من حمراء ـ جنائزية ـ وخضراء دنيوية وأغانى موضوع هذا الكتاب (١) ٠

---

(١) علما بانى ضمنته بعض الموارد والاشعار من كتابى الاول « ادب الفلاحين » ـ الذى قدم له د٠ مصطفى مشرفة ـ شوقى عبد الحكيم ٠

- ١ -

الموال الأحمر •• ووهج الثورة المحبط

وتتبدى فواجع ومواجع شعوبنا ، غائرة الجروح والعلل الى أقصى وأقسى مدى يمكن تصوره ، في الموال الأحمر ، ذلك الذى مجاله الجوهرى هنا هو البنية الاجتماعية الطبقية ، في مجتمعات قائمة ومشادة - بالضرورة - على كل ألوان القهر وتصانيفه •

فهو يتحدث - على اعتبار انـه موال أحمر - عن ثورة متاججـة على الدوام • عن اناس أو - جدعان - مفتقدة للجاه وبالتالى النسب ، لا موطن للهموم الا داخل قلوبها :

- جـدع بـلا جـاه مرساة الهموم قلبـه
- يضرب بلا جاه وأقسى من الهموم قلبـه

وعن تصوره للحياة أو الدنيا ، بأنها كمثل خيال يسحب فريسته - الانسان المعدم - مكبلا بالأغلال :

- دنيـا كما خيـال بسحب حبـال جـرانى

فمثل هذا الموال أقرب الى بسطاء الناس من معدمين وحفايا فى التعبير عن قهرهم اليومى ، وعللهم ومجمل آلامهم •

وعادة ما يكون لقائل هذا الموال الأحمر وجمهوره ، خصما ، يتبدى فى بعض النصوص ، أقرب الى أن يكون خصم طبقى :

يا دى العجب يا ناس فى جدع مجروح ومغطى
يفـوت على الخصـم واثـق غلب ومغـطى

وقائل الموال الأحمر ، يصبر على خصمه ، حتى لو انه القى أمامه ـ ككلب يقعى ـ بالسم ، الا انه فى بعض النصوص ، يصل به حقده على خصمه الى حد :

ـ من كتر عسره كوى خصمه على قلبه

كما ان قائل هذا الموال أو الأشعار ، عادة ما يكون مغتربا ، ليس ذلك الاغتراب المكانى ـ وان لم يخل الأمر منه فى حالة عمال التراحيل وما شابه ـ بل انه اغتراب وجودى اجتماعى ـ بحسب المنطق الصورى :

ـ أنا لو شكيت ربع ما بى للحديد ليدوب
ـ الأولة غربتى والثانية المكتوب

فهو هنا يجانس ما بين الغربة ، وبين المكتوب ، المفضى الى الجبرية ، موقنا بالطبع بأن وضعه الاجتماعى ، ولنقل قهره ، مبعثه ذلك المكتوب الذى أراد له سلسلة اغترابات وانحداراته ، ولنقل أيضا تقلباته من موقع الغالب المنتصر المتسيد ، الى ان أضحى مغلوبا ـ مع الأخذ فى الاعتبار المرادف اللغوى للغلب والغلابة والمغلوبين ، من حملة وجماهير الموال الأحمر .

ان ـ شعائر ـ الانتقالات من حالة ، لما يناقضها ، ومن طبقة غالبة لأخرى مقهورة مغلوبة ، هى ملمح جوهرى لهذا الموال الأقرب فى ايقاعاته س العديد أو المراثى الذاتية ، وكذا البكائيات والقبوريات .

واتساقا مع تراثنا العربى بكامله الموغل فى القدرية والدهرية والزمن وتكالبه ، يضرب هذا الموال على نفس الوتر ، بل والدا ء:

بقى زمن شين مر على الصاحب
يعزه بالجهل ما يلقاش ولا صاحب

فهو عادة زمن جائر لا يؤمن له ، ويحق الحذر منه ومن تقلباته وتراجعه وجوره :

ـ ان جار عليك الزمان يا ابن الكرام
وجا مال
ـ وراح متاعك وعزك وخدمتك
خيول وجمال

والزمن هنا هو بعينه الدهر :

لا تـآمن الدهـر اذا ترجـم معـاك وخـدم
دا دهـر ميـال ، يـاما هتـك ملوك وخـدم

ولا حد ولا نهاية لمدى الجروح والعلل ، التى يحدثها ذلك الزمن الجائر وأفعاله ونكائده :

جـرحى القـديم الأولانى أنا كنت راضـــيبو
ولما نزف الجديـد ع القـديم زادت لهاليبو

★★★

ففى معظم الحالات يتبدى ذلك الخصم أو العزول ، أو العدو ، أو النذل أقرب الى ان يكون خصما طبقيا :

ــ عـزول عمـل طبيب للجـرح ورمالـه
حفنـة من السـم من غير وعى ورمالـه

★★★

كذلك ففى بعض الحالات ، لا يبرأ من الهموم والجروح ، حتى انسان غنى ، قد يمتلك غليونا ممتلئا مصنوع من خشب الصندل ــ المقدس ــ :

تاجـر من الـروم واثـق غليـون
وقلبـه م الهمـوم صنـدل
يـا خسارة مـللا تاجـر عـال
بس قلبـه م الهمـوم صنـدل

★★★

وفى أحيان قليلة يأخذ الخصم والعذول دورا جمعيا شاملا ، كقطاع من المجتمع أو الكيـان الصغير ، الذى تعمـل داخـله وعلى أدنى وحداتـه التعارضات والتضاد الاجتماعى الطبقى :

عـوازلى (١) يحسـبونى مت وجـم يهـنوا

---

(١) العوازل والحساد .

مكحلين العيون وكفوفهم متحنى
لكن لما لقونى سليم

غادم يعله

هم للآن معلولين

★★★

وداخل رقعة هذا الموال الفلسفي الشعبي الفولكلوري ، عادة ما يشار الى ان أولئك الخصوم والعوازل والانذال يفتقدون الأصل ، أنهم قليلى الأصل والمنابت داخل البنية القرابية ٠

زرعت فى كفى اليمين أته ومداده (١)
وصبحت أدادى (٢) فى قليل الأصل ما اداده
لما لقيت عيبه (٣) فى الخط سد ما داده
رميت حمله على ظهره وقلت يا عين
كفى القدم عن قليل الأصل وبلاده (٤)

★★★

تركناك تركناك يا قليل الأصل يا مايل
يا ما علملنا فيك معروف وجمايل
وبتضحك على أيه وحملك من وراك مايل

وبما ان هذا الموال مرتبط أكثر ببيئته الزراعية وحملته من فلاحين وأجراء ـ وتميلية ـ وعمال تراحيل ، فان صوره الشعرية وتشبيهاته وتوسلاته التعبيرية عامة ، مزهرة نضرة كمثل حقول وبساتين منفتحة :

أنا اللى زرعتكم قمح يا رفاقة لجل محبتى فيكم
وتركت أراضى العنب ، وجيت أراضيكم

---

(١) نبات القثاء المداد الافرع ٠ كالعوسج واللبلاب
(٢) اداوى والاطف واتودد ٠
(٣) عيوبه ٠
(٤) اى بلا هذا الشخص قليل الاصل

نمت وصحيت لقيت النذل بيمـلا ويسقيـكم
رميـت حملـه على ضهـــره وقلتـــلو روح
يـا عيش بلا ملح يـا خسارة الرفـق فيـكم

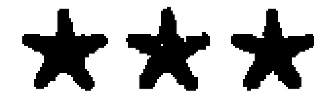
وعليه ٠٠ فقائل هذا الموال الأحمر – وجمهوره – هو انسان منسلب والتعبير الشعبى له أنـه « مسلوب » وجمعهـا مساليب ، انهـم شباب ومراهقى الطبقـات الكادحـة ، التى لا تملك أكثر من قوة عملها ، بـازاء مستغليها من ملاك ، ومقاولى أنفار عمال التراحيل وهكذا ٠

فقائل هذا الموال وجمهوره ، وكما يتضح بوضوح كاف من النصوص المنشورة ، هو انسان **ممزق بعمق** ، يفت فيه الانسلاب المتوارث ، والخرافة الغيبية ، منذ عصور موغـلة فى القدم ، ويمـكن القول بـأن الكم الأكبر للنصوص المنشورة هنا ، لا تبعد بنا كثيرا عن أشـعار ومواثى ونصوص توابيت موتى متواترة بالحفظ ، منذ الدولـة الوسطى – ٥ آلاف عـام – بنصوصها وتمزقاتها ٠

فالبروليتاريا منذ تواجد الانسان المستهدف للعقل ، هى هى بذاتها ٠ انها **العنصر العينى** فى هذا المجتمع ، وجانبـه الموجود الخـلاق وحقيقتـه الكبرى ٠ لكن حقا ما العمـل بـازاء انسلابها ، بازاء محنتها ، من طبقيـة وفلسفية أو روحية ٠ عبر عمليات التضليل التاريخية ، والتى هدفها طبعا افتقاد جماهير هذا الموال ، لقواها الكامنة ، والتقبل طائعة لاغلال انسلاباتها السالفة والآنية ، واسلام زمام **أمورها لقوى غيبية** – أو منتجات روحيـة – تقف جاثمة ، من قدر ودهر وزمن والبين الباطش ، الذى ستطالعنا نماذجه ، هو وابنته وعياله بكثرة شديدة ، لدرجة دفعتنى لان أفراد لها فصلا خاصا داخل رقعة الموال الأحمر ، وما ينتظم تحته من موضوعـات متحددة ، عن ذلك البين الباطش ، والزمن أو الدهر ونكائده ، والتمثل بالجمال واحمالها والافراط فى العلل وذوى المراجع ، كذا المواويل والمأثورات الشعرية عامة ، التى تتحدث عن الردىء أو الردى ، وكذا ثنائية الخسيس والأصيل ونشدان الصداقة الى حد التقديس ، بالاضافة الى الأشعار الدينية ، وأخصها أغانى ومربعات التخمير ، وأخيرا الندب والعديد أو البكائيات والمراثى ٠

وكثيرا ما يرد فى ثنايا الموال الأحمر ، ما يشير الى أسماء آلهة فرعونية وسامية مندثرة ، والقسم بآلهة وثنية وبنيها ، أو وأهل بيتها وقبيلتها ٠

كذلك يورد هذا الموال الكثير من الرموز والشـارات ، الموغـلة فى القدم ، من ذلك الجلبة أو الحلبة التى كان يباع فيها العبيد قديما ، وكذا أسواقهم ، لكن دون افراط ٠



يا أهل الله العجب على عبد من الجلبة كان اشتراه سيده
من ميـلة الزهـر صـبح سيده يبوس ايـده
أنا أعمل أيه يا ناس فى ميدان البخوت والطبع
مثل سـمعناه من أصحـاب العقول بالطبـع
العبـد فيه طبـع ، ان شبـع يـدوس سيده

فملامح العبيد فى هذه المأثورات الشعرية تبدو ضنينة « فلم يثبت وجود العبودية فى السجل الاركيولوجى لمصر فى ما قبل التاريخ ، وحتى فى العصور التاريخية المبكرة ، برغم استخدام الأسرى كعبيد » كما يشير جوردون نشايلد ٠

مع الأخذ فى الاعتبار ان غياب العبيدية من البنيه الطبقية الجوهرية للمجتمع المصرى منذ عصوره المبكرة ، لا يعنى استبعاد العلاقات والتركيبات العبودية ، ذلك ان ـ فلولها ـ موجودة منذ أقدم العصور ممثلة فى الأسرى والنوبيين ، حتى أسرة محمد على ، سوى انها غير مؤثرة فى البنية الاقتصادية المصرية ، بالقدر الذى تشكله مثلا فى بقية الأجزاء والكيانات والحضارات العربية ، خاصـة الجزيرة العربيـة ، وما بين الرافـدين والسودان وهو ما تعكسه حكاياتها وأشعارها الفولكلورية ٠

يضاف الى هذا ان بنية المجتمع المصرى ، تشير بوضوح فيما يعكسه فولكلوره ومأثوراته الشعريـة الى ما هو أفدح من العبوديـة ، وهو نظام **السخرة** الذى عبرت عنه قوة العمل المعجزة التى أقامت « حضارة السخرة » الحجرية الانشائية ، من أهرامات ومعابد ومقابر على طول وادى النيل ٠ فهى **قوة عمل جماعى** تقودها أسواط المشرفين وتستخدم فى قطع الأحجار الجلمودية الجرانيتية ونقلها من أقصى مصر العليا ، الى الوسطى ـ الجيزة ، واهناسيا والفيوم ـ بل وحتى فاروس أو الاسكندرية القديمة ، أى بدءا من أسوان حتى الاسكندرية ٠

بل لعلها هى ذات قوة العمل الجماعى التى حفرت قناة السويس ، وبقيـة أعمال السخرة التى مازالت ماثلة فى الوجـدان الشعبى الجماعى **لمعدمى فلاحى مصر** ، بل هى ما تزال ماثلة فى عمال التراحيل حتى أيامنا ٠

فمن المفجع ان البنية الطبقية للمجتمع المصرى ، بدءا منذ حضارات ما قبل التاريخ ـ الأسرات ـ فى الفترات البربرية التى عثر على ملامحها ومخلفاتها فى حضارات (١) أرمنت والبدارى ، والعمرية أو الامارات (٢) ٠

وجزوة ـ ببنى سويف ـ والسمانية ، وهى ما نزال مخلفة مؤثراتها الى اليوم بالنسبة للتركيبات الاجتماعية ، وأحوال هؤلاء العمال السخرة الذين لم يكونوا ، كما يذكر جوردون تشايلد « اختصاصيين متفرغين يعملون بالأجر ، أى يتعيشون كلية من فائض الانتاج الاجتماعى المتمركز فى يد الفرعون ، فكانوا فى الأغلب يأكلون ويلبسون على نفقة المستخدم ـ مقاول الأنفار ـ طيلة وجودهم » الذى قد يمتد لسنوات ٠

أما الفرعون أو الملك ، فهو فى كل الأحوال تجسيدا للطوطم والآلهة ، وبذا تحول العمل الاختيارى ـ فى العشيرة البربرية ـ الى سخرة اجبارية من أجل الدولة المشخصة فى فرد ـ أو الكل فى واحد ـ مما دفع بالفرعون لان يأخذ مكان ـ الطوطم ـ السلف المقدس أو الاله ٠

فلقد كان الفرعون بالطبع الها منذ ـ ما قبل التاريخ ـ ومنذ أول فراعين مصر « زير » و « زيت » فى مقابر البداوى ـ منذ الأسرة صقر ـ التى اكتشفها ديزير فى أبيدوس ومكانها اليوم العرابة المدفونة ٠

فلعل المكانة المتميزة الى أقصى حد لفرعون ما قبل التاريخ ، ووضعه ـ المحاط بهالات التقديس والتابو ـ فوق المجتمع المصرى ، لعب أخطر الأدوار على طول تاريخ مصر الاجتماعى والسياسي الى اليوم ٠

انها بمثابة ـ شعيرة ـ واصلت سريانها تحت الجلد ـ أو السطح ـ لذلك السلف العشائرى سليل الطوطم ، الى أيامنا ، للدولة المشخصة فى فرد ٠ كما انها تبدت بوضوح كاف فى الفولكلور المصرى بعامة ، فى اطاره العربى القومى ٠

فاستنادا الى ميكانيزم الوراثة الاجتماعية ـ للتراث ـ وكيف انه أكثر سرعة بالنسبة لنظيره البيولوجى ، يمكن القول بأن التراث ـ الدعائى والاعلامى ـ للوضع الطبقى داخل مجتمع ما ـ خاصة مصر ـ واصل توارثه فى تقديس ذلك السلف وريث الطوطم أو الاله ، وهو الفرعون أو الزعيم ،

---

(١) اكتشفها موندو مايرز عام ١٩٤٧ ٠

(٢) مع ملاحظة ما يتردد عن الأمير والامراء ، سواء فى الحكايات الخرافية ، أو لغويا من تكريم وقدسية وجلال ٠

الى حد اضفاء صـفة القدسية على ملوك مصر القريبين (١) وكيف انهم ـ منسبين ـ وهكذا •

فلعل جدلية هذا الموال الأحمر ، تتبدى فى المحل الأول ، فى مـدى ما يعتمل فيه وداخله من تناقض ، ويمكن القول تناقضات ، أولا فيما بين شكله واحكامه البنائى وجمالياتـه وقدرتـه على الايحاء والتركيز ، وبين مضمونه ومحتواه ، الذى قد يصب فى نهاية المطاف ، مجمعا مجمل روافده لينتهى الى تأكيـد مقولات ومضـامين موغـلة فى الانسـلاب والانهزاميـة والاستسلام ـ الدهرى ـ المتسق مع ركائز وميكانيزمات العقل الغيبى •

ذلك برغم واقعيته المنكشفـة حتى العظم ، ما بين تناولـه للاوضاع الاقتصادية الطبقية المتقلبة ، وبين الافاضـة فى التعبير عن علل ومواجـع حقيقية ، أو هى فيزيقية ، لأمراض ، تبدأ ـ بالطبع ـ من سوء التغذية ، مرورا بكل داءات البلهارسيا والجذام والعجز والشيخوخة المبكرة ، وما ينتج عن هذه الأمراض ـ الجسديـة ـ من عصـاب ، ويأس مفضى الى التراخى والاستسلام ، وكل عطب المخيلة والذهن القدرى ، بانغلاقاته وضيق أفقه ، والاستكانة ـ لمخدرات ومسكنات ـ للصبر ، وكافة منتجات العقل الجبرى ، المحبط بكل مخاوف وانتكاس •

---

(١) حتى الملك فاروق ، الى ما نشهده من تخاذل وسلبيات بايزاء مغتصبى السلطة من بعده حتى أيامنا •

- ٢ -

هذه الانتيكات الأدبية الشعرية الجنائزية

قرابة ثلاثين عاما قضيتها جامعا وباحثا ودارسا لهذه المجموعة من المأثورات الشعبية والفولكلورية الشعرية ، من مواويل ورباعيات ما بين حمراء وخضراء ، أو تلخيص العالم بانقسامه ـ الثنائى ما بين مواويل تتغنى بالأوجاع والآلام وضغوط الحياة ومأساويتها الملتهبة ، وبين النقيض ـ الأخضر ـ للحب والعشق والتغنى عامة بالحياة ومباهجها ٠

سنوات أثر سنوات ومادة هذا الكتاب تواصل تراكمها ، وأنا أعيد قراءتها ، محاولا اخضاعها لتصنيف ما ، دون جدوى ، برغم تكرار موضوعاتها التى لا تخرج عن التحدث ومعالجة عدة مأثورات أو موضوعات أو موتيفات محددة لا تعدو العشرة ، ما بين الخسيس والأصيل ، والردى أو الردىء ، والمواجع والتوجع ـ بالأمراض ـ والعلل أو المعلولين ، وكذا البين ، مرادف الدهر والزمن والدنيا والأيام وتقلباتها ٠

أضف الى هذا الصداقة وتمجيد الأصدقاء والرفقاء وكاتمى الأسرار ، والمدارين عن العيوب والعلل والنواقص ٠

يضاف الى هذا مواويل الحب الأخضر ، والتغنى بالمحبوبة والرفيقة ، والكشف عن دفائن أمراض العشق ، والتغنى بجماليات المرأة وجسدها ، والتعبير الصريح عن رغبات الجنس ، بلا حياء برجوازى ـ ملفق ومفتعل ٠

كانت تتملكنى طاقاتها الشعرية ، وعمق معانيها الخشنة المتفجرة الخصوبة والأبعاد ، لكنى فى معظم الحالات والليالى ، كنت أقف عاجزا بازائها ، كيف يمكن اعادة الكتابة عنها ، عن موسيقاها وايقاعاتها الدفينة التى يقصر الى جانبها قامة أى شعر ، كلاسيكى كان أو شعبى ، ينتسب لشاعر فرد بعينه ٠

فهنا نحن بازاء شعر الجماعة الذى صمد وأمتحن أمام عصور أثر عصور ، الى ان اكتسب بصموده متجاوزا معوقات الاندثار وموانع اللا تواصل ، الى ان وصلنا بحالته هذه ، بايجابياته وسلبياته الخادعة المغيبة بالقطع لكل حس ثطورى بروليتارى ، برغم انه المعادل الأكثر توافقا وتعبيرا عن قائليه من فلاحين وفواعلية وعمال تراحيل ، وندابات محترفات ، واناس تطحنهم عللهم ومواجعهم ، أى البروليتاريا ٠

الا انها بروليتاريا مفتقدة على طول عصور التضليل التاريخية لقواها الخالقة المبدعة فى اتجاه الثورة والتغيير لواقعها هذا الماثل ، المشبع بكل ظلم اجتماعى طبقى ، وأمراض ، واغتيالات يومية ، وحديث عن الموت والندب الذاتى لا ينضب ولا يكل ٠ كل هذا دون ادراك وتبصر بحقيقة الحياة الجوهرية ، وما يعتمل فيها من مغالطات وتدليس ، مصدرهما الواقع الاقتصادى والاجتماعى الجاثم المتخلف الى حد توارث بعض البقايا ـ لعلاقات الانتاج ـ العبودية الى أيامنا جنبا الى جنب مع الاقطاعية ٠

والتساؤل المقابل هنا ، هو كيفية وعى البشر من جماهير هذه الأشعار بواقعهم وامكانياتهم وارادتهم فى تملك نواصى واقعهم المغرق فى الكوارث والعلل وبيع الانسان ـ المنتج ـ فى أسواق النخاسة ٠

فالفرد الواقعى هنا سجين بحق لقوى خارجية تقهره على الدوام ، وهى قوى لا تبعد عن أوهام ذلك الكائن الخرافى الجاثم المنكل على الدوام بدوره « البين وعياله » الذى ستصادفنا مأثوراته الدامية على طول هذا الكتاب وكذا بقية القوى الوهمية ، للزمن والدنيا والزهر والبخت ٠

وجميعها هنا تتوحد بالآلهة فى انها « تهب الرزق لمن تشاء بغير حساب » ، كما تهب الجروح وأحط العلل والجوع المذرى لمن تشاء ، فى ذات الآن ٠

والملفت انه بينما ينحو حقل الحكايات الشعبية والفولكلورية العربية، بالاضافة الى السير والملاحم ، منحى خرافى كامل ، من اغراق فى المخلوقات والكائنات والحيوانات الموغلة فى بحار الخرافة ، من جن وعفاريت ونداهات وأعوان ، وهواتف ، ورياح ومنفرات ٠

ويكفى فى هذه الحالة تذكر ، سيرة ملحمية مثل بنى هلال ، أو سيف ابن ذى يزن ، بالاضافة الى ألف ليلة وليلة ، وما يحفل بها من انقسام عوالم الأحياء ، الى أنس وجن ٠

---

(١) انظر كتاب « الحكاية الشعبية العربية ـ دار ابن خلدون ـ للمؤلف ٠

حتى ان التضمينة أو التيمة السائدة المتكررة ، حالما يلتقى شخص بآخر ، فيبادره من فوره سائلا :

ـ انسى والا جنى ؟

الملفت انه بينما تغرق الخرافـة حقول وأنواع فولكلورنـا العربى ، ـ خاصة حكاياته وسيره وملاحمـه ـ تبرأ هذه النصوص الشعريـة ، من معظم ان لم يكن كل الملامح واللوازم والعوالم الخرافية ، والمخلوقات الخارقة وأوهام الذهن الخرافى بكامله •

بل يمكن القول ان الموال والشعر الفولكلورى بعامة يوغل فى نقيض ذلك العالم الخرافى ، وهو التحدث والتناول لتجارب واقعية ، ومعاشية بل وعقليه الى أقصى حد •

وذلك ـ طبعا ـ باستثناء الأشعار الدينية وأغانى ورباعيات و هازيج أغانى التراتيل والتخمير ، الموغلة فى الخرافة وبقايـا الأساطير وأشلائها وأجوائها ، خاصة حـين تفرط فى تمجيد وتجليات « ليـلى » أو الليليث أو آناثا ، الكنعانية ـ الألف الثانية ق م ـ التى هى فى موقع حواء الأولى ، والتى تحلو لمثل هذه الأهازيـج والتواشيح ، تسميتها بالاضافـة لاسمها ـ ليـلى ـ بعروسة الزار ، وست البحار العوامـة ، وهو ما سنتعرض له بتفصيل أكبر ، فى باب أغانى التخمير الدينية من هذا الكتاب •

وقبل الدخول فى موضوعنا عن هذا الموال الأحمر الذى نحن بصدده ، لا بأس من الاسـتطراد المطول ، فى ايراد مجموعـة كافيـة من النمـادج والعينات المتفجعة الدامية لهذه الأشعار ، التى ربما ينظر اليها ـ قارىء ـ اليوم على انها فى حكم « الانتيـكات الأدبية » المنقضية والمنـدثرة • وهى بالفعل انتيكات أدبية ، أو شعرية ، ذلك ان معظمها ضارب الجذور ، لا يبعد بنا كثيرا عن نصوص التوابيت الفرعونية ومنذ الدولة القديمة ـ عصر بناة الأهرام ـ ، وكذا كتاب الموتى وما وصلنا من أشـعار وتوجعات الدولـة الوسطى ، المفتقدة الى كل عدالة •

بالاضافـة الى انها تضرب من جـانب آخر ، فى الطوطميـة ، فهى تتمثـل بالثعابين ، والأبراص ، ومفردها برص و دبيب ، وتكثر فى تمثل الجمال والسباع والكلاب كما سيتضح •

فلا غرابة اذا ما تفتح قارىء اليوم ، على مدى ذلك الواقع المسموم الذى أنبت هذه الأشعار والمراثى الذاتيـة ، الموغلة فى القدم وعطب العلاقات الاقطاعية والتسلطية •

بينما الأمر لا يتجاوز ويعـدو انها كانت بمثابـة الفنون والأشـعار الجماهيرية واسعة الانتشار والتداول ، منذ فترة جمعى وتدوينى لها من قرى مصر الوسطى أواخر الخمسينات · سوى اننى نشرت بعضا منها فى كتابى « أدب الفلاحين » (١) عام ١٩٥٧ ، على ذات النحو البسيط التالى المتبدى فى هذه العينات والنماذج ، من الموال الأحمر ·

المجاريح وأفعال الزمان

فالموال الملتهب الذى يلوكه قائله ويتسلى به ، ويتصرف على هداه أينما وجد ، فى فسحاية الدار ، وفى الحقل ، وتحت الكوم ، ومع الرجال تحت السنطاية ، ووراء حمار السباخ المريض ، وفى كل مكان ·

الموال هنا شكوى ، فهو يشكو مرة للآلهة ، ومرة للأهل،ومرة للطبيب والزمن ومرة أخرى لليله الطويل الهامد الرخيص ·

وهو فى كل مرة يكشف عما يعتمل فى حياته وأعماقه وماضيه وأخطائه وأمانيه ، وحاجته لنصبه الآخر ·

وهو فى كل مرة يبحث عن بدايـة للطريق ، لكنـه كثيرا ما يضـل ويتوه ، ورغم ذلك فلا يغرق أبدا ·· أبدا · بل يواصل من جديد ، ويبحث ويتلمس بداية تقوده الى الطريق ·

فقيود الشعائر المتوارثة ، والمستعمر الاقطاعى ، تزرع له الأشواك فى كل مكان · وتبدأ بفكره ·

وهو يعكس حياته هذه ، وتخبطه وسط بحر الغيبيات وانفعالاتـه ، فى أغنيته الحزينة فى الموال ·

وتبدو الدراما الشعبية المتـأصلة الفاجعـة ، التى يصنعها الوضـع الاقتصادى المغلوط واضحة فى الموال · فهو يقال بطريقـة حزينـة تميت القلب ، أشبه بالنواح :

وكل المجاريـح طـابت بس أنـا جاعـد

---

(١) أدب الفلاحين ـ شوقى عبد الحكيم ـ القاهرة ٥٧ ـ دار « مركز كتب الشرق الاوسط » بتقديم للراحل د· مصطفى مشرفة ·

وطبيب لجــراح عنـــدى بـــالسنة جاعد
ولا بقاش حيلتى يا طبيب غير شى (٢) بس أنا جاعد

★★★

والطبيب فى الموال ، يرمز الى القوى الغيبيــة ، التى بيدهــا اصلاح الكون لو أرادت · وفى الموال القادم ، يسوق مثلا مفجعــا ، عن كيف ان دبيبا ، أى ثعبان أو برص سطى على طعامه وسممه ، بينما كان بسه أو قطه موجود ــ جاعد ــ ودون أن يلتهم القط الدبيب أو الثعبان ، تركه يسممه فى حضوره !

مفيكشى همة يا طبيب تـداوينى وأنا جاعـد
أمانـا يـا طبيب تـداوينى من دواك حبـــه
دا الدود يـا طبيب نقط ع الفـراش حبـه
ومثـل بيـــمعناه من الـلى قبلنـــا قـالوه
دبيب (٣) سطى فى الطعام ، كان بسنا (٤) جاعد

والموال هنا حين يتحــدث عن المرض ، فانه يتحدث عن جانب واقعى عريض من حياتنا وواقعنا المريض الماثل :

★★★

وكل المجاريـح طابت بس أنـا أروح فـين
وطبيب لجـراح عنـدى بالسنة راح فـــين
وجـرحى القـديم نز ، بس أنـا أروح فـــين
نـزلت دمـوعى على خـدى آنـــا واحـــد
أنـا بعـد مـا كنت فى لـة وميت واحـــد
صبحت فى اتنين ، ومن لتنين مـات واحـد
وشكيت وبكيت قالوا لى الناس متواحـد (٥)

---

(٢) أى غيرى أنا ·· جالس ·
(٣) ثعبان أو برص ·
(٤) قطنا
(٥) وحد الله ·

أنا كنت أجيلك يا دار معى لمـة كتير أحبـاب
صبحت أجيــلك ولا معيش ولا واحـــد
اســمع أقــولك مثــل يــا طبيب
وهــو الـلى جنـل واحـد ..
قولى على حرف واحـد صـاحبى مات فـين
كل المجازيع طابت ، بس أنا أروح فين ..

وهو يربط بين المرض ، وهزيمته للانسان ، وبين تأثيره على الأصدقاء والعلاقـات التى تربط الانسان ، وكيف تنفض النـاس عنه ، حتى أهله وزوجته :

لمـا ابتليت ماجـانيش ولـد أمى
وخليت من المـال مـا فيـدى ولا دمى
وملقيتش دوايـا حـدا كافـر ولا دمى (٦)
قـاضى الغـرام ادعـانى قولتـلو كالنـاس
أنـا دخلت جـوا البـلد سرا أريـد النـاس
لقيت ابن العلالى وطى والندل فوق النـاس
أنا عـاشرت كل المـلل حتى الغجر يانـاس
ما لقيت فعل العواهر ولا قرحهم على نـاس
أحنـا سـمعنا مثـل من كبـار النـاس
النـاس بالنـاس . كرهـونى ولاد أمى

وهو يتعامل مع الدنيا ، من منطلق دهرى جبرى ، فهى فى النهايـة ـ الدنيا ـ تملك قدرات المنح والمنع والاذلال ، مثلها مثل الدهر .

يـا دنيـه الشوم يكفيـكى هـزل بزيـادة
ذليتى ولـد عـال كانت عليه العين بزيـادة
وان خس مـالى حدايـا (٧) أحبـاب بزيـادة

---

(٦) أهل الذمة : ومفردها ذمى .
(٧) عندى .

نزلت سوق الدلالة بشترى صبر بزيادة
بطلت كل الملاهى ، وسمعت كلام ناهى
ورضيت بحكمك عليه يا رب بزيادة

★★★

وفى الموال التالى يتحدث الى دنية الشؤم ، وأفعالها السيئة معه ، وكيف أذلته ، وهو الولد المليح • حتى انه مضى يبحث عن الصبر ، وفى النهاية سكن واستسلم •

يا دنية الشوم على المظلوم بتميلى (٨)
سيفك وقع طب على ابن الأصل بتملى
وليكى فعل بطال على الأبطال بتملى
مما جرالو صبح يبكى على روحه
والجرح منه اتسع فاحت كمان ريحه
الله ينعلك يا زمان ما بدلت حلوتى مره
وسقيتنى كاسين يا زمن كاس حالى وكاس مره
شوف الغرورة الدنيا قالتلى تعالى جارى هنا مره
دى دنيا حره تبيع الباش بتميلى (٩)

★★★

دنيا كما خيال بست حبال جرانى
سقتنى كاس صبر ريحته جبر جرانى
وحلفت يمينين لشمت فيك جيرانى
أنا قلت يا دنيا دا فعلك معى موش عال
ضربتنى بالكاف (١٠) ما بين لكتاف جرانى
أمانا يا دنيا دا فعلك معى بقى (١١) شين

---

(٨) أى انها دائما ما تميل على المظلوم وابن الأصل والبطل وتسقيه كأسها المر •
(٩) تبيع الباشا بتميلى •• أى أجير معدم •
(١٠) ضربتنى بالكف على عنقى •
(١١) سىء •

أصـلك بوشين على وحشـين جـرانى
دنيـا كما خيـال بست حبـال جـرانى

★★★

لكنه هنا يتصورها ـ أى الدنيا الجائرة ـ كوحش كاسر يكبله بستة حبال ، ويؤذيه ، ويفعل معه أفعال سيئة ، ورغم هذا فهو لا يستسلم تماما بل يسبها ، على انها ذات وجهين وكالخيال زائلة :

قالوا أترك الدنيا بلاهم ، وانسى معانى هواها
لتصبحك شـايل الهم ، محنى وتجرى وراهـا

★★★

تكايـد الصـبر وجـروحى معايـا فجـر
وعدمت مـالى وخـلى والأعـادى فجـر (١٢)
يـا حيف (١٣) رمـانى على باجـا بلفافـات
أثقـل من الموت لـو خصمى على فـات
يجـد بى أوقـات أبـكى من العشـا للفجـر

★★★

لا أنـا من المهـم مهموم ولا للأشرار عـدت بايـع
أضحك اذا كنت مهموم ، والقلب كله وجايع

★★★

أنا مرتـاح مع النـاس ، لكن القلب تـاعبنى
من عشرة الـدون هتـك عـرضى وتـاعبنى

★★★

---

(١٢) سيئين ٠٠ ليسوا كما يرام ٠

(١٣) يازمنى ٠ يا قسمتى التى أوقعت بى على ساقية من الحديد ٠

لا حد خالي من الهمر حتى قلوع المراكب
حسك(١٤) تقول للندل ياعم ولوكان ع السرج راكب

★★★

ان الحزن ، والهموم هما طابع الموال الأحمر ، وليست العلل والجروح تعنيان المرض فقط ، بل ان كل ما يصيب الانسان من شرور وسوء وكوارث هو فى حد ذاته علة :

عليل بجرحين ، طاب واحد وصحى واحد
والهم والبين دقوا أوتادهم فى نهار واحد
وأمه وأبوه قالوا احنا مولدناش حد
وأعز الأحباب مشى واحد ورا واحد

★★★

عليل ومسكين جاخله (١٥) رقد ريحه
عيش (١٦) معاشه وجا يقول رقد ريحه
الهم البين دقبوا أوتادهم ريحه
امه وأبوه قالوا احنا مولدناش حد
وأعز لحباب سكوا الباب من ريحه

★★★

وهو هنا تخلت عنه كل الناس حتى أمه وأبوه ..

★★★

أنا جمل عال ، لكن الزمان على ميال
ولما جار على الزمان ، حملى من على ضهرى مال
أشيل الحمل التجيل ، وأفوت على العزول ميال

---

(١٤) اياك ان تقول .

(١٥) رقيقة .

(١٦) شاركه فى عيشته ، وعندما حاول العوم ، فشل لان رياحة سكنت .

الله ينعلك يا زمان يالى لك غدرات ونوادر
تعلى الخسيس(١٧) يا زمان وتيجى مع الأصيل نادر
الله ينعلك يا دنيا ما أنت دنيه مال ونوادر
والراجل العال بخته مال مش عادل

★★★

طبيب معى جراح جوا الجوف هدتنه (١٨)
واحنا الجمال البخاتى ، وشيل لحمال هدتنه (١٩)
نشيل الحمل التجيل لم يوم شكينا بلوتنه (٢٠)
الا حمل الزمان شين يغير اللون والصوره
واحنا من الأصوله إلعال ، بس جت ايالى هدتنه

★★★

كنا تلاتة سوا وكان الكلام واحد
لما غدرنا الزمان غريب واحد وراح واحد
وبشيل بعينى لقيت الحمل مال على واحد
أحنا بنسمع مثل من اللى قبلنا قالوه
العبد بيده أيه ما دام الملك للواحد

وهنا تتأكد سلبية الموال المصرى ، ونظرته للحياة من خلال قطاع ترسمه القوة الخفية ، التى تحدد مصائر الناس والتى لا يملك الانسان أى شىء معها :

عليل يقول يا طبيب ، معندكشى دوا (٢١) ربه
يكون من العال ، وأصله من بلاد ربه
والله ان دويتنى يا طبيب، هتشهد لك جميع الناس
وايش تعمل الناس لى ساتره ربه

★★★

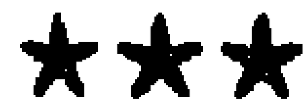
---

(١٧) قليل الاصل .
(١٨) هدمت حيلنا وقوتنا .
(١٩) هدمت حيلنا وقوتنا .
(٢٠) مصائبنا .
(٢١) دواء من بلاده .. من بلاد بره .

في حـــال صبانـــا ، كانت الـدار عزانـــا
كنـا بنضحـك ونلعب نـلاقى الدار عزانـا
رجع لوانا (٢٢) الزمان من بعد عزانـا (٢٣)
وأدى كاســاتى وسقانى بعـد المروق قهر
قلب كاســاتى وســقانى بعـد المروق قهـر
أوعى تعاشر الردى (٢٤) ، يوم يحزن يزيدك قهر
كسر لى مهر كان يلعب ع العود وع الزانة



الناس لها جرح واحد ، وأنا جسمى ملان ومحمل
ويفـوت على الخصـم وأسق غلب ومحمـل
وشايـل الحمـل ياما يقـاسى ويتحمـل
ولا راجل الا لما فى عتمات الليـالى بيدوس
قلبى نصب سوق ودار فيه ما باع واشترى
وقلت يا قلبى سيبك من اللى فات واترك اللى جرى
والـلى عمـل قنطـرة للدوس يتحمـل
الناس لها جرح واحد ، وأنا جسمى ملان ومحمل



طبيب يا جبـار تعـالى الدار وجـابرنى
واكشف على الجـرح بـالريشة وجـابرنى
عيـان ومجـروح وبس الـوقت جـابرنى
مما جـرى لى صبحت أفطر كل يوم ع المر
وفـاتت ليـالى الهنـا وجتنـا ليـالى المـر

---

(٢٢) تغير حاله ، لغدر بنا وأذلنا .
(٢٣) من بعد ان كنا معززين .
(٢٤) الانسان الردىء .

ومـــين يقول الطعام الحلو يشبه للطعام المر
ويا عم فين الرفاجة،اللى كانت على غلب الزمان بتمر
قال ايش رماك ع المر ؟ • قلت الوقت جابرنى

★★★

والزمن هنا ـ أى الوقت ـ هو الذى بدل أيامه الحلوة بأيامه المرة ، وأجبره على الاستكانة •• والخضوع ! •

كان ينوحها عبد الحميد الفلاح الأعمى فعلا الذى داب على ان يقول : اللى كتب غلب ! •

فالبين هنا ، هو حكم الأيام ، وهو نفسه المقدر والمكتوب :

ما تـأمن الدهـر اذا ترجـم معـاك وخـدم
دا دهـر ميـال يامـا هتـك ملوك وخـــدم
أكام ريس وزهزهلو (٢٥) الزمـــان وخـبدم
شوف مركبـه سـوحت بين البحـور وتـــاه
من بعـد ما كان ينادى يـا دجى مين تاه ؟
شوف حكمة الله راح بيت العويل (٤٦) وخدم
ما تـأمن الدهـر اذا ترجـم معـاك وخـدم

★★★

وهنا يلعب الدهر بمصير الناس ، فيعلى من يشاء ويذل من يشاء ، تماما كاله • ورغم هذا فهو لا يؤتمن • كالريح والبحر اللذان يتحكمان فى اتجاه الموج :

أنا ان شكيت ربـع ما بى للحديـد ليـدوب
الأوله غـــربتى والثانيـــة مكتـــــوب
والثالثـة كنت غـالب صرت أنـــا مغلوب
وكام يـــا دهـر تتقلب على قلوب

(٢٥) خدمة ، ورفعة الى اعلى •
(٣٦) العبد •

صبحت عيان قوى لونى صبح مقلوب
روح يا ميتم رويت الأرض وارويتنا
ياما قعدنا في بلاد الناس وربينا
وقلت يا جامع الشمل تجمعنا على أهلينا
وزعقت من عزم ما بى وقلت يا أيوب
كاس الهنا كل ما اديره ياجى مقلوب
أنا ان شكيت ربع ما بي للحديد ليدوب

★★★

وفي هذا الموال المفرط في الحزن تتبدي المأساة المصرية ، التى لو شكيت للحديد .. لاذابت الحديد .

وهي هنا لها جذور متينة مترسبة في الأرض ، وأعماق الناس وحياتهم .

وهى تتضح فى أغلب المواويل الحمراء ، بشكل تشاؤمى عام . وحتى في حلولها للحياة ، تنمو هذه الحلول على حساب الواقع والحقيقة ، فهى تخدم قضايا الرجعية والاستعمار ، قبل ان تخدم قضايا التقدم . والايمان بمستقبل الانسان الثوري المشرق ، تدفعه الى العمل على مواصلة النضال ، والكشف عن جوانب الحياة المضيئة المستقبلية .

فمئات السنين من الاستعمار والاستبداد ليست بالأمر الهين :

★★★

ان جار عليك الزمان يا ابن الكرام وجا مال
وراح متاعك وخدمتك خيول وجمال
شوف حسن يوسف سجن بعد النعيم والمال
الدنيا حالها كده تعطى لناس ناس
أيوب أهو ابتلى ، لما بقى نسناس
والزهر زى الأزاز اذا انكسر بقى شئين (٢٧)
والمال بيحلى قليلة الشوف والعمشة

---

(٢٧) اصبح لا شيء .

وينادى يوسف يا زليخة (٢٨) :
راح فين الوجه المنير وجا مال
ان جار عليك الزمان يا ابن الكرام وجا مال

★★★

والصبر مفعول مسكن أشبه ـ بأبو النوم ـ والمخدرات ، وهو أيضا يلعب دوره في مواصلة عملية التخدير ، لقتل كل ما من شأنه ايقاظ روح التطلع الى آفاق جديدة مشرقة :

يا عبد وحد الهك واذكر فرضه
واستعمل الصبر اذا جالك سؤال فرضه
سليمان لما المهيمن حكموا فى أرضه
وركب كرسى المملكة ع الناس وتعالى
وركب البساط ، خدو فى الجو وتعالى
سمع الندا من قبال الله وتعالى
اخضع يا سليمان ، ان الملك لى وحدى
سمع الآدان فى السما صلى عليه فرضه
يا عبد وحد الهك واذكر فرضه

★★★

منين أجيب صبر يغنينى على بعدك
يالى هجرت المنام والفرش من بعدك
وبياع الصبر حرم بيعه من بعدك
واذا كان على الصبر عندى مية مركب ملانة صبر
دا أنا باسمع منادى ينادى كل يوم العصر
يالى كواك الزمان اصبر على وعدك

★★★

(٢٨) زليخة هى امراة العزيز فى القصة المدائحية انظر السير والملاحم العربية من هذا المجلد .

ـ قـالوا الصبر يـــا عـين جعلوه للأبطـال
ولو كان دوايا عند حبيبى دا كان ينطال (٢٩)
الا دوايـا عنـد خصمى مـا عـاد ينطـال

★★★

أرقد على الشوك عريان ، واضحك لى عادانى
واصبر على حـكم الأيام ، حتى ينعدل زمانى

وهو هنـا يسخر من الذين يعادونـه ، ويسخرونه ويتحكمون فى موارده وامكانياته ، لكنه يتسلح بالصبر على حكم الأيام ، وأفعالها الرديئة معه ، حتى يأتى اليوم الذى يتمناه وينتظره ، ويصنع منه افقا لحياته الجدباء .

أقـوم من النـوم ، وأقـول يـارب عـدلها
بلـدي قصـاد عينى ، مش قـادر أعـدلها
وريس البحر محتـار ما هو عـارف يعـدلها
سـألت شيخ عـالم بيقرا فى معـادلها
سنـه الكتـاب من يمينـه ، والتفت قـالى
بين المســا والصبـاح ربـك يعـدلها

والنص السابق ينسب الى الملك معروف فى سيرته المندثرة وستطالعنا مأثوراته وأشعاره بكثرة :

طبيب يا مهر آنـا فايت الضهر على بـابك
من شـدة القهر (٣٠) ، دمعى نهر على بـابك
من ميلة الزهر رمـانى الدهـر على بـابك
أنا عزمت وحدى مامشنيش فى الطريق مع دول(٣١)
الفـكر تلف النظـر ، حتى الســمع جـاللو
شـايف ولاد الأرامـل حظهـم معـدول

---

(٢٩) يصبح فى متناول اليد .
(٣٠) الحزن الشديد .
(٣١) مع هؤلاء .

وأنا عملت أيه أتجازى بدا كله
جيت أركب التخت شفت البخت مش معدول(٣٢)
جسمى سلى داب ، وحتى العقل راح كله
آهين يا طبيب من ميلك ومن برحك (٣٣)
لفيت وجريت ماشفتش فى الدوا شرحك (٣٤)
طبيب يا مهر أنا فايت الضهر على بابك

★★★

وعلمه هنا مستمد من تجاربه ، وارتباطه بالناس ، والأرض ، واطار حياته البسيط الذى « فى أحيان كثيرة » لا يخرج عن حدود قريته ·

انه يقول عن ثقة : « طول ما النخل بيتقلم ، ابن آدم بيتعلم » ·· وهو هنا يريد ان يؤكد لنا ، انه طالما هناك حياة واستمرار وناس ، فان الانسان يتعلم ، ويربط تجاربه القديمة ، بالجديدة ·

أى انه ليست هناك حدود للمعرفة ، بل هى دائما نتجه الى آفاق جديدة ، وتجارب جديدة · وازدهارات جديدة متصلة ، نحققها ــ نحن النوع البشرى ــ طالما اننا نعمر ونعيش ، ونقلم النخيل :

عاشرت يا قلبى من الناس ألف ، يكفاك لف (٣٥)
وسجدت للموت ، لم جد عليك لف (٣٦)
هما ثلاثة أربعة اللى تمر فيهم
همتك ·· والدراهم ·· والنظر ·· والكف

★★★

وفى الموال السابق تمجيد رائع للجهد البشرى ، من عمل وهمة ونقود ــ أو دراهم ــ وبعد نظر وتسليح بالكف :

---

(٣٢) التختروان أو الهودج ·· أى حينما حاول أن يصعد ، وينعدل له زمانه ·
(٣٣) شطارتك وذكائك ·
(٣٤) مثلك ·
(٣٥) بحث وتنقيب ·
(٣٦) جديد ·

اللى معاه ريالات ، يقضى ليله يمص فى شفايف بيض
واللى ممعوش ريالات ·· لا طال سود ولا بيض

وها هو يؤمن بدور الاقتصاد ، وأنه كل شيء ، فحتى الحب والجنس يهدها الفلوس ·· الريالات ، واللى ممعوش ·· لا طال أسود ولا أبيض ·

تعالى يا طبيب المبالى عنه بيتنا دلى (٣٧)
واكشف على الجرح ، اللى لو زمان دلى
واذا كان دوايا على المخلوق يا ذلى
واذا كان دوايا عند الله ارفع ايدك يا طبيب
وخلى المقادير تاخد حدها منى ··

★★★

السبع سبع ولو قلت مخالبه
والكلب كلب ولو طوقتو بالذهب
لو يعلم الخمر بأن النذل يشربه
ليحلف الكرم ما عاد يطرح العنب

★★★

من عاناك (٣٨) عانيه ، واجعل عيالك عبيده
ومن ضاداك ضاديه ، روحك ماهش فى أيده

★★★

أنا معى جرح دش (٣٩) العضم والعنب
وآتز لحبباب شتمنى اليوم ولعن أبى
وطبيب لجراح جانى الدار والعنب

---

(٣٧) دلنى وعرفنى ·
(٣٨) من ضايقك ·
(٣٩) حطم ·

وتسال عليه أصيل الجد ما طالبهم
وأكيد (٤٠) عزولى وسط الجمع والذهب

★★★

أنا اللى صرفت مالى بكفى ، مدبرتش للدهر حيلة
أم الفلافل تكفى اللى دراهمه قليلة

★★★

الصمت بالصمت ، والعلم جاذوه بالصمت
ومن زرعلك شوك ، ازرع قصاده سنط
واللى يزرعلك سنط ، أزرع قصاده ورد
دا الصمت بالصمت ، والعلم حاذوه بالصمت

★★★

الله يجازيك (٤١) يااللى تصنع المعروف
مع ناس لا يعرفم واجب ولا معروف
الكل فانى وفين هو الملك معروف
وصبحت زى السمك فى البحر ما أنا راسى
وآدى البحور والجزاير لاطمت رأسى
وكتير من الناس يكلمنى كلام قاسى
وعملت تاجر أبيع فى القبح والمعروف
كسب معايا الردى (٤٣) ، وخسرت فى المعروف

★★★

أنه فى هذا الموال ، يود أن يقول : انه من خلال تجاربه العديدة ، ومعاملاته مع الناس ·· التقى بحقيقة ، وهى ان من كان يظن ويعتقد انه خير ، اتضح انه سيىء ·

---

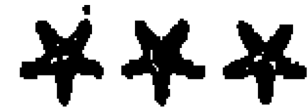
(٤٠) يصيباك بالجذاء ·
(٤١) خصمى ·
(٤٢) السيىء · الردىء ·
(٤٣) عندك ·

وأعتقد ان هذا الموال ، امتداد لوجهة النظر الدينية ، التى تقول ، اتق شر من أحسنت اليه •

يالى كتبت الألف ، اكتبلى حداك (٤٣) عين لام
أكتب وسطر فى الورق ، يشبه الخال عين لام
الحق على اللى صرف مررقه على الانذال مات علام (٤٤)
وأنا اللى نفسى عزيزة ، وبدى أسكن الجيزة
وان خدت خد الأصيل ياقلبى ، لو تصرف عليه جيزة (٤٥)
يونس (٤٦) ما حاز عزيزة ، واللى شرب المرار علام •



زرعت عود الأنا جنبى ، ولما مات
دروا الخلايق (٤٧) ، وجونا الناس لما مات (٤٨)
يا عينى أبكى على اللى فمعهش لما مات (٤٩)
شوف الرفيبج الأصيل ع الود آهو ماسك
أما الخسيس الوطى ع الود موش ماسك
فى الأصل دى أمى ، وآهو داير مع الماسك (٥٠)
وتنه ماسك كلام الزور ، لما مات
زرعت عود الأنا جنبى ، ولما مات



ان الثنائية وانقسام العالم الى الملاك والشيطان ، والخير والشر ، هى بذاتها التى صنعت الأصيل والخسيس فى الموال •

---

(٤٤) مات دون أن يتعلم •

(٤٥) جائزة •

(٤٦) عزيزة ويونس « ورد ذكرهما فى الهلالية » وكانا يحبان بعضهما ولهما موال طويل فى أدبنا الشعبى •

(٤٧) الناس .. المخلوقات •

(٤٨) جماعات .. جماعات •

(٤٩) لها معنيين : ناس أصدقاء ، وعندما مات •

(٥٠) البخيل •

ومن خلال الصراع بينهما ، بين الخير والشر ، والأصيل والخسيس يحكي الموال الأحمر ·

وحتى في معتقد الجنة والنار ، والتناقض الكبير جدا بينهما ، يبدو هذا التقسيم أكثر وضوحا :

سبحان من أوقف البحر المحيط باسماه (٥١)
وخلق لنا طير يسبح فى الظلام بأسماه
خلق الخلايق وعارف كل شيءباسماه
الأنس والجان ، خلقهم عدد أنفار
والسالك اللي اشتغل قلبه السليم أنفار
بكره تقوم القيامة ويحكم الغفار
اندهو ملوك السما ، هاتم فلان بأسماه

★★★

أبويا نهاني وقال ع الكسل بطال
أعمل بقرشين وحاسب من البطال
خالفت شوره ، وادينى وقعت فى البطال
انا كنت خادم لهم بقضيلهم لوازمهم
وعملت فيهم جميل ـ وجميلنا بتمام
وبقيت اقول لقلبى ، ما نقضى لدول (٥٢) لوازمهم
وكنت عندهم كمثل العسكرى ، يحضر فى كل تمام
ندهت ماردوش من بعد نعم وحاضر
وبقيت مكسوف أروح يم العزول وحضر
ما راح شقانا هدر فى الفارغ البطال

★★★

كيد النسا كيد ، من كيدهم سرت هارب
بتحزموا بالحنش (٥٣) ، ويتعصبوا بالعقارب

★★★

---

(٥١) باسمه ·
(٥٢) لهؤلاء الناس ·
(٥٣) الثعبان ·

النـدل لو ملعم مالـح ، ولو خصـايل ذميمة
القـرب منه فضايـح ، والبعـد عنـه غنيمـة

★★★

النـدل ميت وهو حى ، ماحد حاسب حسابـه
هو كالترمس التى ، حضـوره يشبه غيابـه

★★★

مسكين من يطبخ القلقاس ، ويريد مرق من حديده
مسكين من يصاحب الناس ، ويريد من لا يريـده

★★★

والمربعات الأربعة السابقة من قول ينسبون الى « ابن عمروس »

شـيبتنى يـا زمن فى الصبـا وجـنيت
والقوس منا احتنى على غير أوان وحنيت (٥٤)
والخطـوة معـرفتشى طريـق البيت
وضروسـنا كانوا جماعـة ، واتقلعـوا بالبيت
والعيش أهو اتبـل ولبقاش لنا نفـع للبيت
والشـوف منـا قل ، ونهـارك اتبدل بقى ليل
والشعر منـا شاب ، والعضم واخر (٥٥) بـان
والهـدمة (٥٦) دابت لم عرفتلهـا يتك ويـدن
وشـل منـا البـدن حتى العصب وحنيت

وهو هنا كبر ٠٠ وشاب ، وتخلعت ضروسه ٠٠ رغم انه ما زال فى عز صباه ٠ لكن الزمن الذى أثقل ظهره بالهموم على غير أوان ، ونفض عنه أهله وأصدقائه الذى شبههم ، بضروسنا كانوا جماعة ، واتقلعوا بالبيت ٠

(٥٤) حنيت ظهرى ٠٠ عجزتنى ٠
(٥٥) هو الآخر ٠
(٥٦) الجلباب القديم ٠

وتبدل نهاره الى ليل حالك ·· مظلم وجلبابه بلى ·· وداب وتاه فلم يعرف له قبة من ديل ، وصبح محطما محنسا ، عجوزا رغم انه ما بزال فى عز صباه ·

انه هنا يتحسر على أيامه الرخيصة ، وبؤسه ، ويلقى بكل هذا على عاتق الأيام والزمن ، فالزمن هنا هو الوضع الاقتصادى · والحاكم الظالم والفترة الزمنية – المغرقة فى الظلم – تلك التى عاشها ·

فكل هذه الشرور ، التى تحالفت عليه ، دفعت به الى أن ينوح ·· ويبكى ·· ويتحسر ·

مللا(٥٧)زمان شين بقت عتمه كحل ·· واحنا لسه ضهر
شيب شبابات كانوا مرد (٥٨) وحنوا الضهر
اللى معاه مال ، وأمه جايباه م الخال (٥٩)
يقدموه الرجال ويصلوا وراه الضهر

★★★

راح الفقير يوم بيطلب م الغنى حجاه (٦٠)
ضربوا الغنى كف قالوا اللى قاعدين حجاه (٦١)
لو كان للفقير عزوه (٦٢) تاخدلو م الغنى حجاه
الا بلا عزوه والجلسة عليه مالت
وجلسة اليوم بتضيع للفقير حجاه

★★★

ذهب الفقير يوما ليطلب من الغنى حقه ، فضربه بالكف ، ووافقه الجالسون ، وتجنوا على الفقير ، ولو كان للفقير أهل وضهر – أو عشيرة –

---

(٥٧) يا له من زمن مشين ·· سىء ·
(٥٨) ما زالوا شبابا فى عز الصبا ·
(٥٩) خالى الاهل · والمقصود بها من الحرام ·
(٦٠) حقه ونصيبه ·
(٦١) مع الغنى حق ·
(٦٢) وعائلة عصبية ·

لكانت ردت له حقه المسلوب ، الذى سرقه الاقطاعي والاحتكارى ٠٠ لكن « اللى ملوش ضهر ، يضرب على بطنه » ٠

يا عين متبكي على اللى كان فنجرى (٦٣) وهناه
وغلبوا زمانه ما بين الجبال الداويه وهناه
صبح حاله شين ، يبكى بسمع العين ويقول
يارب روح فين ٠٠ آهى ضاقت بى هناك(٦٤) وهناه

★★★

وهو هنا بشكو غلب الزمان ونكائده معه :

اذا كان بدك تريح القلب وتهدى
اترك هوى الدنيا لا تأخذ منها ولا تدى
حسك (٦٥) تقول عمى ولا خالى ولا جدى
دا اللى معاه مال ، مالك دى ومالك دى
واللى بلا مال تارك دى وتارك دى
اللى معاه مال آهو أصيل كامل
واللى بلا مال طفشونى (٦٦) وأبوه هامل
ونسأل الله بس ع الختام ونعدى

★★★

وهو هنا ينكر العصبية ، ويؤمن بأن « المال » ، هو كل شىء واللى معاه مال ، مالك دى ٠٠ ومالك دى ! ٠

★★★

حوشوا الغنم عن عليق الجمل ، أكل الغنم فيه عيب
لو كان جمل فى جمل ، مكنشى جد منه عيب

---

(٦٣) جدع وابن بلد ، ومعه القرش ٠
(٦٤) هنا وهناك ٠
(٦٥) اياك أن تفاخر بعصبيتك وأجدادك ٠
(٦٦) الرجل الذى لا يملك مال ٠٠ ضائع ٠

شيبتني يا زمان ، وأنا ما كنت أستحق الشيب
وخـدت منى اللى أريـده ما اختشيت العيب
داناا(٦٧)ماشيت لمرود • •وأبو لفيه • ؛ وغزير الشيب
ما لقيت أجود من الفتى جيبى •
حلبت (٦٨) عن الغنى والفقر ماهوش عيب •

★★★

ملالا (٦٩) زمن شين لما البندقى (٧٠) دا صوم
وجابو الصـدف فى حـرير صندمى وشالوه
ومطاوى الخشب ، اتهجمت ع السيوف جرحوه
حتى الحواوى فى الوكر ، من السحالى صرخت وقالت: يوه
البخـل موجـود وصنـدوق الكرم قفلـوه
الخـير موجـود وولاد الزنـا نـكروه
لا المخطر النـدل فى الحـاره وشافلو يوم
ولا الفتكرشي هبـا جسـده وجـوع أبـوه

★★★

يا للعجب فى دار بطول العمر ما فرحت يـوم
ضحـكت ولعبت أتاهـا الحزن تـانى يـوم
من بعـد مـا كنت فى لمه وآكيـد القـوم
زعـق على غراب البين ، مخـدتشى لمتى منـه
وادينى شفت الندل بتمخطر فى الحارة وشافلو يوم

★★★

---

(٦٧) انا صادقت وماشيت كل الملل •
(٦٨) اعتقد انه لابد • •
(٦٩) يا له من زمن مشين ، لا يؤتمن ، عندما تركل البنادق بالاحذية •
(٧) الذهب البندقى عيار ٢٤ •

عشب الجبال اتحرق من كتر امراتى (٧١)
وعـــلاوى الأرض رويـت من دموعــــاتى
ومراقـــد النمـــل أوســـع من منامــــاتى
ومقاطــــع النيـــل أضيـق من جروحـــاتى
يهـــون على مخـــول القبر يحيـــاتى
ولا قصـــاد اللى أحبـــه عنـد خصمـــاتى

★★★

وليس الحب في نظره ، هو العلاقة التى تنمو بين رجل وامرأة ، بل ان الصداقة حب ·· والأرض حب ، والوطن حب ، وهو فى اطـــار حياتـه الاجتماعية ، يمجد الصداقة ، ويطالب – رفيجه – بالكبير ·· فهو صديقه ··

لك رب يـــالى لا لك عزوة ، ولا عنـدك مال
وجـــرحك بـــالغ ، والطيبـة (٧٢) يعزوا المـــال
قالوا ليكشي (٧٣) رفاجة يا ولد ، أيوه ليه أمال
آكتر من الميـــة ، ولما وقعت فـــرطم (٧٤) فيه
وكانـــوا واقفـين وشافـــوا الحمل لمـــا مـــال

★★★

عليـــل بجرحين وصفولوا الدوا تنحـــال (٧٥)
من قوة النار آهو راقد ع الفراش لتنحال (٧٦)
وآدى كلمة الدون فى الجسم السليم تنحال (٧٧)
ماحـــد جالــــوا من الأحبـــاب يسلامــــة
ومـــين بقى يصـــول الهـــم غـــيرى آنى
يـــالبلا السلامـــة من الـــلى كلمته تنحـــال

★★★

---

(٧١) من شدة حزنى الشديد ، وحرقتى
(٧٢) الاطباء يطالبون بالمال ·
(٧٣) اليس لك أصدقاء ·· ورفاقة ·
(٧٤) تركونى ، تخلوا عنى ·
(٧٥) يشفى وتتحل عقدته ··
(٧٦) لثانى حول ·· اى لثانى بسنة ·
(٧٧) كلمة النذل ، يتحل فى الجسم ، يتؤذى الرجل الاصيل العالى ·

منين أجيب خل (٧٨) عادل ، يكون عدلى وأنا عدله
يكشف على الجرح وان كان فيه خلل عدلــه

★★★

آهـــين (٧٩) على ســو بختى وانقطاع الـــود
وكل طــير بلوفـــو (٨٠) ، يلتقالـــو ضـــد
آهـين على سيف مـاضى من بــلاد النهـد
البين قالى ، ليكشى وفاجة ، قالتلو كتار ياما تعد
أكتر من الميــه ، ولمـا وقعت فرطـم فيـــه
وف ميلة الحمل،قالوا سيبوه خلى اللى وقع بيسد.

★★★

ان جانبا كبيرا من مواويلنا وأدبنا الشعبى ، يأخـذ شـكل التحسر والشكوى ، من الأصدقاء .. والخلان .. والرفاقة .. والحبايب خاينين الود ، الذين يتخلون عن الذين تهزمهم الدنيـا والأيام ، ويتعثرون .. ويصابون بالكوارث والأمراض .. والفقر .. ويتقهقرون :

حجاه

تعا يا طبيب داوينى ، العيا خد فى جسمى السليم حجاه (٨١) آدى مدة مع سنين ، وأنا راقد لما اتبرى حجاه (٨٢) .

تعا يا طبيب داوينى ، وأديك من حق الدوا عربون
علشان يـا طبيب مـا يشهد بينى وبينك العربـون
أحسبـــك طبيب زيـــن على عشرتـــك هتـــدوم
أتريـــك طبيب شين ، وبتاخـد صاحبـك ع الجنب

---

(٧٨) صديق جدع .
(٧٩) يا خسارة على سوء بختى .
(٨٠) وكل حبيب أحبه .
(٨١) حقـه .
(٨٢) هلك مؤخرة جسدى من طول رقادى . وملازمتى الفراش .

كشف الطبيب ع الجرح ، لقيه بيقلب قلب
صبر الدوا وقالى ارقد مقدرتش على حجاه (*)

★★★

طبيبه نزلت دموعى على الخدين مدامتشى
علشان رفاقه عزاز عشرتهم مدامتشى
شوف لما أتانى العيا ، هدمنى الحيل وشبابى
وجيل الزمان دا كده ، جيل يزيدك قهر
الله ينعلك يا زمان ما أنت تميل ع الضهر
دا البين عمل معى صدفة ، وطلب المهر
وانـدار كسر لى مهر ، كان ينط الحيط وشبابى

★★★

خايف قول آه .. يطلع للعدا سرى
من قلت وليف زين ، أشكيلو على سرى
متحسبونيش يا رفاجة م العيا بطلان
أنا بقيت أتقلب على الجنبين شبيه بطلان
وعشرتى مع قليل الأصل سمانى (٨٣)

★★★

دخلت بستان بتفرج على اللى فيه
آدى سنة حول ، وأنا أتفرج وأقول ياما فيه
لقيت طبيب زين فارش ونايم فيه
جانى طبيبى ووصفلى الدوا فى ماعون
وآدى كل ماعون ينضح يا أخى بما فيه

★★★

غايبين عن العين ، بقالهم سنة حول مدامتشى
كنا المبالى يا طبيب وكانت طابت مجارحنا
وجتنبا ليالى الهنا والسعد وفرحنا

(٨٣) جعلتنى كالمسموم .
(★) حقه وثمنه .

واتــدار علينــا الزمـــان زود مجارحنــا
كنا فرحــا يــا خسارة ، بس ليام مــدامتش

★★★

عــوضى على الله فى يـــوم العــزم وشبابى
وكان حدايا (٨٤) عزم ، آكيدبو الخصم وشبابى
أنا عجبى على راجل زين، كان ليه ميه ومية صاحب
ولما خس مالــه ، ماعــدتشى ليــه ولا صاحب

★★★

(٨٤) وكان عندى قوة وحيل ، تكيد خصومى من الشباب .

- ٣ -

طبيب المبالى والأوجاع

من ظواهر الموال الأحمر ، استخدم مأثورات أو Motifs أو رموز محددة والنسج حولها عبر عصور الاظلام المتتابعة التوالى ، كالاكثار مثلا من العلل والمعلولين ، ومفردها عليل

ومنها بالطبع الحاجة والتوسل بالطبيب أو الحكيم الذى من مهامه ابراء وشفاء هذه العلل والأوجاع ، التى عادة ما تستعصى على آلاف الأطبة والمطببين والحكماء ٠

فالطبيب هنا لا يتوقف دوره على ابراء وشفاء العلل الجسدية ، من جروح غائرة ، وأمراض مباشرة جسدية ، بقدر ما يمتد طبه الى تلك البلايا ، التى يمكن أن نطلق عليها روحية ، وكذا نفسية ، التى لا بد و ن يحدثها خصومه وأعدائه المتحكمين فى مسار الحياة ، والدنيا ، التى عادة ما تقلب كدولاب ، لتأتى بمن كان موقعه الى الوراء أماما ، والعكس ، وكذا فهى تملك - أى الدنيا - قدرات التنكيل والاجهاز على من أرادت ٠

فالطبيب المداوى هنـا ، ما هو سوى طبيب المبـالى ، أو من ابتلـوا بالداءات المتعـددة ، لعـل داءات وأمـراض العشق Love sicness وكذا أمراض المخاواة ، والرفض الى حـد أقصى درجات القرف للواقـع الماثل ، وتراكيبه الاجتماعية والطبقية السلطوية ٠

كما انه طبيب يمتلك قدرات على المزيد من قهر مرضاه - من المبالى - بل والاجهاز عليهم قتلا واغتيالا ، كما سيتضح من الأمثلة المرفقة ٠

وفى الموال التالى ، يتحدى العليل طبيبه ، الذى وزع مراهمه ودواءه ، ولم يعطه ، وهو لهذا لن يـدنى نفسه لأى نـدل ، حتى ولو كان حكيمـه المداوى الذى سيجلب عليه الشفاء :

مر الطبيب يوم بالمزحم ولا ادانا (١)
وأنا جدع زين يا ناس (٢) لا اتحشر ولا اداانا
النفس نفسي واقدر أعففها
وأصحن الصبر في كفي واسففها
وان رمتني على الانذال لحلفها
واحلف يمينين لا اتحشر ولا أدانا

أما علة المريض التالى ، فهو عيب أصابه ، كما خف منه عاوده :

طبيبى بتنسه عايز مين
سبب بلايا عيب آتانى
كلام العوازل عايز مين
خلا (٣) اللى طاب عبا تانى

★★★

اياك يا طبيب المبالى تصبح ولى تنذار
وأنا أسفف الصبر قلبى وأزيد قنطار
عشان ما حكمت يا طبيب وحكمك علينا صار

فى الحوار التالى يتضح مخالطة وتوحد الطبيب أو طبيب المبالى ، لنقيضه مسبب البلايا والكوارث ، وهو البين :

عليل ونادى على بيت الطبيب وحديه
نص الليالى وسمع له أنين وحديه
وآدى عمود السراية وكرسى المملكة جنبيه
ما أصل بابين على بيت العامرين (٤) كناس
وخلفتلى (٥) جرح من جوا الحشا كالناس

★★★

يا أيها العبد اذكر رب الاله وحاديه

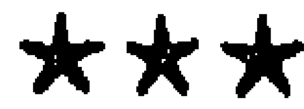
---

(١) ولم يعطنا شيء .
(٢) لا أحشر نفسى ولا ادنئها لاغير . .
(٣) فأعاد للجرح الذى طاب وشفى اسقامه .
(٤) تكنسهم بالموت .
(٥) تركت واخلفت .

خالق الخلايق وخالق نسرهـا وحاذيه
أهل الشقاوى يقضوهـا هموم وساعات
والرزق لو ساعات فى لحظة بيجى وحديه

وكثيرا ما تذكر هذه المأثورات الفولكلورية الشعرية ، كيف ان الدواء كثيرا ما يجلب من بلاد الشام :

عليل وفارش وتايم تحت حيط واقع
قلبوه ع الشمال التقوا اليمين واقع
قالوا هاتولوا دوا نافع
جابوا الدوا من أراضى الشام
لقوا الدوا واقع
أنا قلت يا ناس حطوا الدوا فى علبو
وودوه لصحابو ٠
ايش يعمل الدوا فى اللى بختهم واقع



ومن المألوف تواجد حكايات شعرية موجزة محكمة التصميم والبناء تحوى حوارا داميا بين هؤلاء المعلولين بالحب والعشق والمخاواة ، وبين الطبيب ، الموكل بالمعلولين والمبتلين والمتيمين :

سمر الحصير داب من مرج العليل عليه
أم العليل تقول يا اله العرش طل عليه
أبو العليل يقول يا وليه أبنك ماهوش عيان
دا الولد فاجر

أيدى وأيدك يا وليه برا الخلا نرميه
أيدها وأيده برا الخلا ورموه
وردوا الباب وقالوا :
ما ولدناش حد
صحى العليل من منامه وقال آخ

يالقات (٦) لحباب
بيت الطبيب فين أنا أرحله واقف ع البـاب
سمعه الطبيب وقال :
مين دا اللي واقف هناك ع الباب
قاللو :
غيرشي (٧) متيم فاتوني رفاقاتي
وحتى الأهل يا طبيب كرهوني وردوا الباب ·

★★★

الطبيب ويا الردى (٨) آتم لتنين براني
ولا يطيب العليل الا باذن براني
بختك نصيبك أتم لتنين براني
ولا يطيب العليل الا باذن براني
والله الرفيج (٩) الموافج في الزمان دا صدف
وآدى كلمة الحق هيـا اللي عليها النص (١٠)
من بعد ما كنت بصـــطاد في الغـــزال والنص
نصبت فـخي على بختي قفـــل وصـــدف
انا رحت أتـاجر في المكسب خسرت النص
جت وقعتي في الصـدف مشـغول بـراني ·

★★★

وهنا ، يا له من حوار بين العليـل وجرحـه ، الذى ينتهى به الى ان الناس كلها على هذه الحال أى معلولين ومجروحين ومبتلين :

وكم يـــا جـــرح أجيبلك ولا يملك (١١)
ان طبـت يا جـرح لعمـــل ولايم يمـلك

---

(٦) يا لقاء الاحباب ·
(٧) ليس غير ·
(٨) الردىء ·
(٩) الرفيق الموافق ·
(١٠) النصر ·
(١١) واعطى لك ·

وان ما طلبت يا جرح آدى الناس كلها على دى الحال
وافعل خلاصك يا طبيب وآدينى ع الفرش نايملك

« واجى فين »

أنا اللى دلنى دهر المشوم (١٢) وآجى فين ؟
العفو يـــا عـين من دمعـك شـكيت بلدين
توم اسمع الصبر مبقـاش الخـلاص باليدين
وملا زمـان شين ، بقى حكم اللعـين بلدين
وبقى زمان شين ، وفات ع الديار ما وعين (١٣)
أنا قلت يـارب تبسطلنـا الأرزاق بقى ونعيش
وتسبل الستر من فضلك نعيش بلادين (١٤)
أنـا اللى دلنى دهـر المشوم وآجى فـين ؟

« وبخت مفيش »

أنـــا الـلى دلنى دهـــرى وبخـت مفيش
آدى البين هدم قصور ملكى وعزوه (١٥) مفيش
ورقدت عيان سنة حول ع الفرشة وقوة مفيش
يـا دمع عينى ع الخدين بدارى
على خـــل كان صـــادق
خدوه منى العوازل عمال يدارى
يجد بى أحوال بعد أوقات بدارى (١٦)
ويياما ناس ولاد ناس دايره فى الحب (١٧) محتارة

---

(١٢) دهر الشـــؤم .
(١٣) لسنا واعيين .
(١٤) نعيش باليدين اى نعمل ونكدح . وايضا نعيش بلا ديون .
(١٥) اى انه بلا عشيرة او عائلة .
(١٦) اداری نفسی .. حتى لا يعرف الناس بلوتى .
(١٧) اى فى خضم الحياة .

وايـــه شطارة يـــا عـــم ، وبخت مفيش

« داريني .. »

يادنيـــه الشوم عليـــه ليـــه داريني (١٨)
نـــزلت دمـــوعي على الخـــدين داريـــني
وعـــوازل الســـو بالفتنـــة داريـــني (١٩)
نـــزلت دمـــوعي على الخـــدين دبراشي
ومن بعـــد ما كنت اكيـــد الخصم وأنا ماشي
صبحت ماشي واقـــول يـــا حيط داريـــني

يا سيد

من أجـــل الضرورة بقـــول للنـــدل يـــا سيد
انظـــر لحـــالي وشـــوف الحـــال يـــا سيد
العيـــال يتـــامي وكيف الحـــال يـــا سيد
قـــام اتلفت يمي وقـــلي من جبـــالي روح
والمنـــال بيحـــلي قليـــل الشوف والعمشة
غـــيرشي دي .. كانت قســـم ونصـــايب
وغيرشي دي عـــين في جسد السليم صـــابت
والصنعـــة خـــابت ، وكيف الحال يـــا سيد ؟

« في الدنيا »

كيف العمـــل يـــا ربي في الدنيـــا وحالتها
جـــابت عفوش (٢٠) نـــاس رقتهـــا وحلتهـــا
وآدى الامـــارة على الباجـــات (٢١) حالتهـــا

---

(١٨) اى دايره عليه .. لكى تؤذيه ، وتعطل ريحه .
(١٩) يدرون بلوثتي .
(٢٠) أناس « كالعفش » او الهفايا ومن لا قيمة لهم .
(٢١) اى انها اذلت الامراء « وأحسن الناس » .

وابن الهفايا انعدل ، ولبس جوخ وقطامى
واحترت يارب فى الأول وفى التانى
أكام سلاطين عزتها بحالتها

« يا عين ما تبكى »

يا عين ما تبكى على اللى صبح فى فكر وحسابات
ومركبو بلطت تحت واح (٢٢) سوبات
وكلمة الحق ضاعت من قلة الاثبات
حتى جيرانو اشتكت منه قوى واندل
وكان راكب على السرج ، قام قاللو الزمان انزل
حكمت على السبع تحت واح سوبات .

« على الدنيا ! . »

زهزهت (٢٣) يا زمان وذليت ناس على الدنيا
وحوجتنا يا زمان لقل الناس على الدنيا
من بعد لبس الحرير لبسنا الخيش على الدنيا
وعوازل السو يحسبونى م الصجر مقطوع
وانا جدع جد وليه وسط الرجال منابين (٢٤)
تسأل عليه تلقانى ماصل الجدين
وحلفت يمينين ما أماشى حد ع الدنيا

« وعد لهم .. »

شوف الزمان اللى دل الأسد وعدلهم

---

(٢٢) تتكون الكلمة من ثلاث مقاطع : واحة سيئة وبات . أى بات لى فى أسوأ مكان !

(٢٣) رفعت يا زمن من شأن أناس .. وذليت آخرين .

(٢٤) بدلا من ناب واحد ، أى حقه ، بحق رجلين .

كواهـــم كى ع الجانبـــين وعدلهـــم
لبسـهم الخيش بعـد الجوخ وعـدلهم .
أنا قتلتلو : بالله يا زمان مشيك معى موش عال
من بعد نوم العلالى ، وركوب المهاره (٢٥) العال
قاموا صبحوا لنـدال بلغوا القصـد وعـدلهم

« وخــلا بى •• »

أنا الذى سهران وليلى طال وجرحى نز وخلابى
لو كنت أعلم بأن الدهر (٢٦) لو ميلات وخلابى
وحـوجتنى يـا زمـن للأهـل (٢٧) وخـلابى
أنـا كنت جـدع عـال فى زمان (٢٨) جهـلى
وكنت مماشى ناس عـزاز تعلم بيهـم
جميع أهـلى
شوف لما ابتليت بالعيـا لـم حـد نادهـلى
وف عـز جهـلى غـدرنى الدهـر وخـلابى

« لـو كنت اعلم »

لو كنت اعلم بأن ليالى الهنا حاتميل عن الأول
أنا كنت حشت ليالـيـا عن اللى مضت أول
والـلى انعـــدل ريحـه انعـــدل مـن الأول
أنا قلت الله يقطعك يا زمان ! •
ما أنت هرجمت(٢٩) قصوره كانت مأسسة برخام

---

(٢٥) جمع مهرة •
(٢٦) اى دهن خائن ، يخلو بمن يأتمنونه •
(٢٧) تركنى وحدى ولم يبق الى جوارى •
(٢٨) لها معنيين : زمن جاء ، ومر على • ويوم ان كنت انا الوحيد المتعلم فى زمانى •
(٢٩) هدمت •

ما قللى الزمان : أنا كده اللى ورا بجيبه قدام
وأركـب الهلـف (٣٠) على لكتـاف من الأول

« تالت »

بـايت (٣١) بجرحـين ، صبحتَ التقيت تـالت
بالطعنتى جنـب حيطـات العـدا طـالت
فـاتت علينـا ليـالى طيبـة كانت
لقينـا آخـرتها حنضـل وصبر ومـر
يـا ريت ليـالى الهنا كت قصرت ولا طالت

« تعا اتفرج »

لـو كانت دمـوعى على خـدى بتتفـرط
مـا كانت النـاس على حـالى بتتفـرج
من بعد ما كنت بطلع سلالم العـز بسـلرج
زعـق عليه غراب البين خلانى سقيم وعليل
يـا حاسد النـاس على اللمـة تعـا اتفـرج

« دهر المشوم »

أنـا الذى دلنى دهـر المشوم وآجى فـين
وبليت مع ناس شرسات العقول وآجى فين ؟
وابطـين لى فى الطـرق كما وحش الجبـال
وآجى فين ؟
أنا الذى دلنى دهرى ، وسقانى كاس المرار والخل
والبـين ضربنى بنبـلة كمـا المشعـال
وطبيب لجـراح مشيو معى مـوش عـال

(٣٠) الذى لا يصنوى شيئا .. الفاضى .
(٣١) ما ان هممت بالمبيت .

وأنا أعمل أيـه فى المقدر واللى انكتب والبخت
وحـكم عليه زمانى مشيت فى سـكك زلق (*)
حافى مع بخت

وأنا كان طعامى رميس(٣٢)ضانى اللحوم والبخت
انا قلت يا بين ٠٠ لهو أنت ليك جدانا طار
من فعلك الشين يابين عقلى من دماغى طار
نزلت دمـوعى على كرسى خـدى كما لبحار
واحترت يـارب مش عارف أروح وآجى فـين

« عريـان »

عاكست ليه يقى يا زمان ، وخليت الأصيل عريان
النـدل عـايره وقـالو روح يـا فقير عريـان
ما قلت معلهش ، القمر فى لاحة الفجر بيغطس
وساعـة العشا بيبان
والله قليل الدراهم ، لو لبس الحرير عريان
يليق لوالخال يلوم ، ما هو ماصدقوش (٣٣) الزمان
ولا مره
اكمنه صبح مسكنه سرايا من بعد ما كان
مسكنه عشه
وشوف الكرام من ميـلة الحظ مسـتنظرين
الفطـور والعشا
الفكر عشق معايـا خـلانى عليـل ما بنـام
الجسـم منى بـلى ، والعضـم راخر بـان
دخلت أسال شيخ عـالم والكتاب فى يديـه
رمى الكتـاب من يمينـه ، والتفت قـالى :
بقى زمـان شـين ٠٠ بيت الجبـان ارتفـع
وبيت الأصول عريان ٠

---

(٣٢) الرمسيس ٠٠ أى الخروف الصغير ٠
(٣٣) لم يصادفه زمانه ليفتك به ٠
(*) زلق : مطينة ٠

« بتربيه »

شوف دنيه الشوم حكمت ع السبع بتربيه
تلبسه خيش بعد الجوخ بتربيه
اكمنه خالف كلام الأهل بتربيه
اكمنه خالف كلام الأهل واللمة
وف (٣٤) باطنى جرح من حوا الحشا لما
دقدق عضايا ، وطير جملة اللمة
وآدى اللى يخالف كلام الأهل واللمة
ليام ويا الليالى غصب بتربيه

★★★

العين تقول للقلب طاوعنى وأنا ريحك (٣٥)
وان تعبتنى لأتعبك وأتهب أنا ريحك
خليك ولد جد اذا ملك العدا ريحك
خليك ولد عال على طول الزمان غلبان
واصبر على بلوتك لما ينعدل (٣٦) ريحك

« حاسدينى »

طبيب البلا فين ؟ · جرحى شين حاسدينى
عامين بشهرين ، وأنا ع الفرش حاسدينى
وأنا أعمل أيه فى المقدر واللى انكتب (٣٧) بلدى
وكلام عزولى فى حدايا (٣٨) أكثر من رصاص بلدى
وعلمت مالى وولدى ، وبرضه الناس حاسدينى

---

(٣٤) وفى باطنى جرح . من داخل أحشائى ، لما دق عظمى وطرد عنى أصدقائى واهلى ·· وهكذا اصبحت وحيدا بلا أهل ·· ولا أصدقاء ·· الا من جرحى ! ؟
(٣٥) أجعلك تستريح ·
(٣٦) حتى ينعدل زمانك ·
(٣٧) ما كتب على بين القدر العاتية ·
(٣٨) فى حقى ·

« مما جرالى »

مما جرالى صبحت أعدى البحر على الركبان (٣٩)
وأنـا مالى رفاقـه ولا عـزوه ولا جـار يان
مقـالات عيسى بن مريـم فى زمـان جيـله
الـلى ابتلى (٤٠) بـالقشل مـا حـد بيجيـله
والله ان سقيت الخسيس سـكر وتـكريره

عمر الدهـان ع الوبـر مـا ينفـع الجربـان



فى الموال السابق ، يتحسر قائله على فعل الزمان معه وما جرته عليه الأيام من المصائب و « القشل » ، أى الفقر الشديد المدقع ·

ثم يربط بين حالته هذه ، وبين الرفاق والأصدقاء والجيران ، مؤكدا كلامه هذا بحكمة « عيسى بن مريم » ـ المسيح ـ :

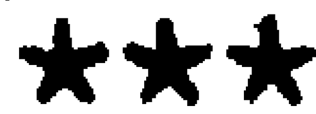
« اللى ابتلى بالقشل ما حد بيجيله » ·

والمواويـل التى تتحـدث عن الصداقـة ، كثيرة · وكلها تربط بين الصداقة ، وبين الأوضاع الطبقية المتقلبة · وكلها تلوم وتعيب على الصديق الذى لا يقف بجوار المرء فى محنته ·

ولقد كانت الشرائع الدينية الفارسية القديمة ، تقول حكمة مأثورية مبلبلة هى :

« خسيس من يسدى الخير لخسيس » ·

وبعض المواويل التى تدور حول الأصدقاء والجيران وعلاقات الناس ببعضهم ، تكاد أن تصبح امتدادا لها ، أى مثل هذا المأثور :



---

(٣٩) على ركبتى ·
(٤٠) أى الفقر المدقع ·

عشمـــــان يا قلبـى لأنــك خــلى البــال
عشمان فى ناس ، لكن ما انتش عندهم على بال
أنـا عاشرت راجـل يدق النبـل ع السندال
قرا الهجايـة ، كتبـل الميـم على السين دال
كان ليـا رفاقــة ، وكنت منقيهم تقاوى عـال
وحـــرتهم حـــرت طـيب ، وسـقيتهم عـــال
وضـميتهم فى النـدا ، يـاما لموا وراهـا غمار
ووديتهـم الجـرن درسـتهم وقعـدت ادريهم
يا حصر بالى (٤١) ، ما طلع منهم أجرة الجمال ·

★★★

« ولو كان الطبيب ع الباب ! ·· »

راحوا فين الرجال الكرام اللى كانوا يحيوا الضيوف ع الباب
بيت الطبيب فيـــن ، دلـونى أروحـــلو واقف ع الباب
من توت (٤٢) لهـاتور ، وأنـا واقف دليـــل ع البـــاب
ما التفت الطبيب وقـال :

يا عليـــل دا احنـــا كلنـــا ع البـاب

★★★

طبيب معى جـــرح من جـــوا الحشـــا شـــله
ورفـــق الـــزمن دا بقـى شـــله
ويا ويـل من يمسكولو النـاس على ذلة
يمـــوت بعله ، لـو كان الطبيب ع البـــاب

★★★

دخـل الكبر ع الصغر والله العظيم مـادريت
والشعر آهو أبيض من بعد السواد ما دريت
ولضراسى اتقـلعت بعـد السنان مـا دريـت
واللحيـة دارت ، يـاللا حسن الختام والعقـل
سبب العلوم أيه ، غير حفض الأدب والعقـل

---

(٤١) يالوعتى ·· ويا مصيبتى ·
(٤٢) اشهر السنة القبطيه المصرية ·

ولما حوجني زماني ، قام فرمني العقل
ولما فرمني العقل ، جبت للأصل الردى رمان
وقعدت فرطت ، وف نفسى فرطت
وخدمت العويتل (٤٣) وما دريت

★★★

أنا ما حد غلبان في الدنيا كما غلبي
شايل التبلا تربع في البلوه بآسيها
خدني اليسر (٤٤) جي لحد السوق كمل غلبي
ما دريت الا لما قبض تمني على الأكمل
سلمت روحي لملك الموت وسهلبي

★★★

يادي العجب في جدع يشكي قوي غلبوه
يرتك كما الدست يا خسارة العيال غلبوه
كان جدع زين سموه الرجال غلبوه (٤٥)
كان جدع يقطع م الكلام ويسدد وحياة الالة وبينه
وكان معاه مال ما حد يقدر يعد حصاه
منو ذهب راح في وادي اليمن ما حصاه
زعق من عزم مابو ياويلا من تاه
والزهر كدب معاه في منقله غلبوه

★★★

شوف دنية الشوم بعد ما عطت وشها ليه
قلبت كما دولاب خمت اللي كانم ليه
كان ليا صحاب يزيدوا على الميه
الدار خليت ولا بقاش فيها ولا واحد
وصبحت أدور ع الرفق القديم ما لقيت

---

(٤٣) قليل الأصل .
(٤٤) من يقوم بأسر الناس ، ويبدو انها كانت وظيفة ديوانية منذ العصر التركي المملوكي « اليسرجي » الموكل بأسر الناس .
(٤٥) لم اع وادر الا بعد أن باعني وقبض ثمني .

أنا سألت شيخ عالم ومن بعده كتب ماقيت
رمى الكتاب من يمينو والتفت قالي
أمرك الى الله ما دام الناس مالهيه
شوف دنيه الشوم بعد ما عطت وشها ليه

★★★

حسك تلوم مبتلى دا الهم في الدنيا
عيني رأتش ملوك دامت لها الدنيا
انظر بقى وشوف أفعالك مع الدنيا
كلام اقولك عليه اسمع معناتو منى
عاشر مسيرك تفارق طالع من الدنيا

★★★

ما تآمن الدهر لو ترجم معاك وخدم
دا دهر ميال هتك ملوك وخدم
أكم ريس اداري جا معاه ريح الطياب وخدم
دى مركبو فى اللجاجة تاه
من بعد ما كانت تعدى يا خسارة تاه
زعق من عزم ما بو يا ويلا من تاه
شوف حكمة الله جا بيت العزول وخدم

★★★

انا عملت جمال فى الحارة ورا بكرى
أعمل بقرشين واتمخطر ورا بكرى
الا وربى وعدنى بيهودى شاطر
مكره غلب مكرى
بيعنى بكرى وصبحنى وراه مكرى

---

(٤٦) غالى على ابيه .

ـ ٤ ـ

الرديء والخسيس والندل وقليل الأصل

ومن ظواهر هذا الموال الشاكى ـ المتوجع ـ الانتقادى الأحمر ، الاكثار من الحديث والشكوى من ذلك الانسان السيء أو الرديء أو الخسيس أو قليل الأصـل ٠

وما أكثر بالطبع هذا النمط من الناس ، الذين تعج بهم الحياة وترجح بهم .كفة صراعاتها وتطفح ٠

فهذا الانسان الرديء ، سواء أكان صديقا أو شريك حياة أو جـار أو زميل ، عـادة ما يكون أقرب الى أن يكون ، بطبيعة تعبده لكل سانـح ، وافتقاده لكل قيم ، الى أن يكون سلطويا جائرا منكلا٠

وعادة ما يبدأ قائل هذا الموال ـ جمهوره ـ شكواه ، بالتنكر وانتقاد عيوبـه ، حين أقـدم على اقتنـاء أو « شراء » الرديء ، سواء أكان صديـق أو زوجة أو رفيق عمل ، أو دابة وهكذا ٠

والشراء هنا يشير الى الاقتناء ، بالمعنى الاختيارى الارادى ، وعـادة ما ينتهى بدورة البيع ، اى بأخذ هذا الانسان أو الكائن الرديء ، واعادته الى حيث جلبته ، وهى السوق ـ مرادف السوء ـ وبيعه ولو بأبخس الأثمان ، وتراب السوق ، والخسارة بل وتراب السوق ذاته ٠

الا ان الملاحظ ان مثل هذه المأثورات من شعرية وحكايات ومواقف ملحمية وروائية ، تتبدى فى السير وصراعاتها وحروبها القبائليـة ، التى تتخذ من ـ نمط أم Prototype ـ الأصيل والخسيس مادتها الرئيسية، كما ان من المألوف ان تسقط فى براثن الثنائيـة ، التى موجزهـا انقسام العالم ، الى خير وشر مبـاشرين ، أو نور وظلمـة ، وعلى هذا النحو أصيل وخسيس ٠

والثنائية أقرب الى ان تتحدد داخل تراثنا العربى ، كمؤثر ــ آرى ــ فارسى فى الصراع المتصل الذى جاءت به الايفستا بين ــ اله ــ قوى الخير أهورا مزدا ونقيضه الشرير أهريمن ، وتواترات فيما بعد الى شهنامات الفرس (١) المتصلة المتوالية ٠

ومن أقوالهم « خسنيس من يسدى الخير لخسيس » ٠

وهو ما يتقارب مع ماثوراتنا ، ومنها تهديد قائل المربع ، لحدقة عينه ، اذا ما عادت الى اتخاذ الخسيس حبيبا :

ان عـادت العين تعمـل الخسسة حبايبهـا

ان أهـد طـربتها وأقـلع من حبايبهــا

ويرد هذا الصراع ــ المثالى ــ فى معظم السير والملاحم المندثرة أو المهشمة مثلما وصلنا فى السيرة أو الملحمة التى يتعاقب فيها الشعر والنثر ،حول الملك معروف ، وابنه الشاطر حجازى ، ونقيضهما الرامز للشر والخسة « البين » ، المتوحد ، بست أو ستغ أو طيفون ، مرادف الشيطان فى التراث العربى ٠ كما يرد فى السيرة ــ المندثرة ــ « عبيد الغالبة » ، وكذا فى الحكايات الخرافية ، نعناعة ، والاله ــ الحمار ــ سعد الدين ، مرورا بصراع ابراهيم مع الملك النمرود ، وموسى مع فرعون مصر ٠

فالثنائية سمة بين كلا التراثين المتجاورين أو المتتاخمين ، الفارسى الآرى والعربى السامى ، اكتمل فى الشعائر ، أو تلك الطقوس ــ الهامشية ــ المتصلة بالبدء ، سواء أكان البدء فى حصد المحصول ، أو بدء حرب قبلية أو هجرة ، أو اطعام ، وانتهاء بقراءة وتراتيل النصوص الدينية :

ــ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ٠

الا ان هذا الملمح الانقسامى الثنائى ، لا يقتصر على تراثنا ، بل هو يكاد ان يكون ملازما لخرافات الجان على رقعة العالم أجمع ، كما لا تخلو منه الحكايات التعليمية والوعظية ، عن أخوين أو شقيقتين ، احداهما تناصر الطيبة والخير المطلق ، وثانيتهما تقف فى صف الخسة والشرور ، كما هى الحال فى التراث الأسطورى والشعائرى ، الزرادشتى الفارسى القديم ؛

---

(١) للاستزادة من هذا الموضوع حول الثنائية ــ الارية ــ الفارسية يرجع لكتاب الحكايات الشعبية العربية ــ شوقى عبد الحكيم ــ دار ابن خلدون ــ بيروت ــ ص ٨٦ عن « العلاقات التاريخية والتراثية بين العرب الساميين والفرس الاريين » ٠

كذلك لا تخلو نصوصنا التالية ، من استهداف التقابل التعليمي الوعظي ، والتحذير والابتعاد عن الندل والردئ ومن لا أصل له .

يا للي اشتريت الردى وايش كان عجبك فيه
أنا اشتريتو ملمع ما كنت أعرف اللي فيه
لما اشتريت الردى بدربو وروح ع السوق
وكل ما جالك في الردى حمل وقوللو سوق
وقفت بك يا ردى لما شلت تراب السوق
ما حد جاني ولا فصلي بعتماني
رميت حمله على ضهره
وقلت يا ناس معيوب
اللي يسوق يسوق

★★★

جرحي القديم الأولاني أنا كنت راضيبو
ولما نز الجديد ع القديم زادت لهاليبو
وسر تربة بني زين وعبد العال ونسيبو
لناخذ حقنا من قليل الأصل ونسيبو

★★★

ان عادت العين تعمل الخسسة حبايبها
انا أهد طربها وأقلع من حبايبها
ولما عملتو الفرح ليه ما دعيتونا ش
اشمعنى في الغلب طونا نوايبنا

★★★

يا اللي اشتريت الردى وحملت عنه الدين
وصبحت من عشرته تلطم على الخدين
ساعة جلبت الردى كانت عيونك فين

لهو أنت بعدما تقبض التمن تدور ع الاصول بعدين
لما اشتريت الردى بدربو وروح السوق
وكل من فصلك فيه اسعى وقوللو سوق
أنا وقفت بالردى لما صفصفت عليه السوق
رميتللو حبله على ضهره وقلت اللى يسوق يسوق

★★★

زرعت الجميلة فى أرض واتارى الأرض مقطوعة
مردومة بالخرسان بالجبس مقطوعة
سافرت برا وجبتلها تقاوى عال
وقلت دى تنفع وتبقى زراعتها عال
أتارينى بنفخ فى قربة والقربة مقطوعة

★★★

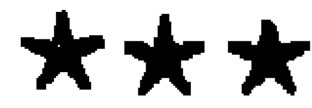
يا نفسى كونى معايا ع الحال والماشى
لاستعملك الذل وآكل الحال والماشى
يا نفسى دا أنت رضية بتعشقى لندال
ان قابلك الندل فى السكة ليه بتقفيلو
واذا سمعتى حسه فى تانى حاره ليه تروحيلو
والله الأصيل عال كفايه اللفظ وسؤاله
وان قابلك الندل فى السكة وقعد يجر فى كلامو
صهين كلامو وفوتو يرن ع الماشى

★★★

جرحى فى جنبى كلعنى
وجار الردى عبتانى
وأخويا شجيجى كلعنى
زمن الجرح بعد ما طاب عبتانى

★★★

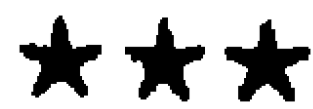
ان سبنى النـدل ما انيش نـدل أرد عليـه
أحفـظ لسـانى عن الغلـط مـا أرد عليـه
أصلـه وفصلـه ظهـر عنـه ما أرد عليـه
مجـرم قبيـح ودايـر فى البـلد كـداب
مـا عـدت آجى حـارتهم ابـدا وأخشى الدرب
واذا كان لـو أب كان يـوجب نـرد عليـه



الـلى يعـاتب قليـل الأصـل مالوش عقـل
ينسب عرضـه واذا كان ابن هولـه عقـل
يـا عم سيبك من اللى دايـر بالفتن والنقـل
واذا كان قليـل الأصـل يعتب على روحـو
دا كان يجيب سـم ساعـة يسـمبو روحـو
بينصـد على النـاس ولا ينقـدشى على روحـو
دا أصله قليل الأصل وجتلو السعادة تقـل

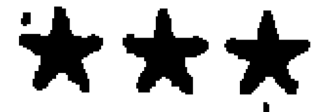


يا ريت نهار اشتريت الردى كان مات جلابو
ولا كنت اشتريت الردىء من يـد جـلابو
أنا اشريتو بحسبو حر تخشى الناس جلابو
لقيتـو مشنير يلبـخ فى الكلام ويزيـد
أنـا رحت أبيعـه لقيته بينقص فى التمن ما يزيـد
أنا خدتـه من ايده وأديتـه لبتـاع الوقيـد
واشتريت جلابو ٠



اكل الخشن ضرنى مـا أدرشى على الضـانى
فـلوسى شـحيحة وآدى الأيـام عضـانى
لـو كان لى أب زى النـاس ربـانى
مـا كـنت أسـكر وانسى ذكر ربـانى
مشى الخسيس عـيب لـوعنى وربـانى
مشى الأصيـل زيـن عـدلنى ورقـانى

الله ينعلك يا زمن حوجتنى لأقل الناس
دا البين طحنى كما الحنة وربانى



خسيس وشتم أصيل قاللو نهار مندى
ضحك الأصيل شوفوا فوق دى من دى
قام الخسيس قال : خليها سطيحة لاعندك ولا عندى
التفت الأصيل لقى الجلسة عليه مالت
قال اشهدم يا رجال حق الخسيس عندى

وفى التناظر السابق بين الخسيس الذى سب الأصيل ، الذى ما ان اكتشف ان الزمن والأيام فى غير كفته ، حيث يتسلط الخسيس فكان ان اشهد الجميع على ان حق الخسيس ــ الجائر عليه ــ عنده .

ـ ٥ ـ

البين وعياله .. ونكائـــده

تعرفت على شخصية البين ومأثوراته ، فى تراث الحكايات الفولكلورية، ثم اكتملت لى شخصيته الخرافية فى الموال الأحمر ، وكشخصية ماثلة فى كوميديات مسرّح الفصول المضحكة ، أو مسرح الفلاحين المرتجل .

فعادة ما تجـد فرق المزيكة والفصول المضحكة أو الأفصـال مجالها وجمهورها فى السركات ـ أو التروكة ـ التى تقام فى الاحتفالات الجماهيرية والموالد ، يضـاف اليها مختلف الألعاب والنمر البهلوانيـة والأكروباتيـة والكلاونية عامة ، ما بين بنوره المسحورة ، والمرأة الطائرة .

يضاف الى هذا صناديق الدنيـا ، التى كانت تقـدم نمرا وروايـات ومأثورات : السفارى عزيزة ـ أو السفيرة ـ عزيزة وورد وسلبند ـ وهى بالأد مندثرة خرافية ـ ونعناعة وتعذيب البين لها .

وللبين بشـكل عام ، حكاياته ومأثوراته وخرافتـه التى لا تنقطع ، خاصة فى تراث الملاحـم وأشلاء السير المنـدثرة ، مثل : « الملك معروف ، وابنه الشاطر حجازى ، ووزيره البين » .

فالبين فى كل الحالات رمز الشؤم والشر ، مثله مثل ست أو ستخ أو طيفون فى تراث مصر الفرعونية ، قاتل أوزيريس ومغتصب عرشه ، كما انه طيغون ـ بالمقابل ـ فى تراث الحكايات السامية العربية الأسطورى .

الا ان من مزايا البين ، انه كائن ـ خرافى ـ محترق مذرى فى الهواء . انه ذلك الشر الذى يخالط الشهيق والزفير فى المعتقد الجمعى الشعبى لذا فهو يمتلك ذرية كاملة ، تنمو وتتوالد ، بشكل متوالى مثلها مثل أجيال البشر .

ومن الصعب حصر مأثوراته فى التراث العربى ، الا انه يرد على نحو متحدد « فى الملك معروف » ومأثوراته ، وفابيولاته .

فقبل احتضار الملك معروف ، عينه وصيا على عرش ابنه ووريثه الشاطر حجازى ، الا انه حبس حجازى فى هاويه ، وانفرد بالسلطة مغتصبا فى ممالكه بشكل شرير ضار • لكن ما ان ينتصر الشاطر حجازى ويسترد ملكه ، حتى يقتل البين ، ويذرى رماده فى الهواء هو وابنته ، التى عشقت حجازى ومكنته من سرقة سيف والدها ـ البين ـ الطلسم ، والاجهاز عليه ، وبرغم هذا آثر حجازى عدم الزواج منها ، وقتلها ونثر رمادها فى الهواء ، استنادا الى موقفها فى خيانة أبيها ، وبالتالى قبيلتها ، موصيا بالولاء للقبيلة ، قبل الزوج والحب •

واصبح كل من حلت به كارثة أو حدث شؤم ، يصرخ :

ـ يا ترى أنا اصطحبت بالبين واللا عياله •

كما تناثرت رموزه ، وحيواناته وطيوره ، غراب البين ووجه البين ، ودبيب البين •

فلم تبرأ من تمثل شخصيته وشروره ، السير والملاحم ، وكذا مسرحيات الأفصال ، والحكايات ، خاصة الخرافية ، وبكثيرة كبيرة للغاية • بالاضافة للمواويل الحمراء ، التى عادة ما تتحدث عن نكايا الزمن والدهر ، والأيام ، والخطوب ، مجانسة وموحدة بينها وبين البين • كما يتضح فى هذه العينات البسيطة التالية التي جمعنها للبين • ونكائده ، وللتوسع يرجع لكتابى « أدب الفلاحين » ـ ١٩٥٧ •

فالبين فى النص التالى ، يقوم باعداد طبيخ من الحنضل ، لكى يروح ينتقى ويسقى المحرومين والشقيانين والمعدمين ، بدلا من مغتصبى حقوقهم •

كما انه فى ـ الخماسى ـ الذى يعقبه ، يتبدى كاله كامل ، فهو الذى يهب الناس الغلب والشقاء ـ حتى أن مخاطبه ـ الغلبان ـ دعاه الى مشاركة ما هو مغروز فيه « يا بين تجيش على الغلب تشاركنى » •

البين طبخ طبيخ حنضل ومر على العللة وبينقى
سقى الغلبانيا وبيت المحرومين نقى
البين ضربنى بشرموخ شوم ومعقى
كتير من الناس قالى روح تستاهل
شبكتنى بالغرام هوا الغرام ساهل
يامـا جهلنـا واتارى الجهل بيعقى

★★★

البين لما عطانى الغلب باركلى
صابح مسافر لقيته فى الطريق باركلى
أنا قلتلو يا بين تجيش ع الغلب تشاركنى
قالى أنا مرسال والمرسال لا ينضرب ولا ينهان
وأنت هديه وآدى الدلال بيعاكلى

★★★

وها هو البين يتوعد مهددا ، بكسر الأيدى ، والأحمال ، والغربة بلا رجعة :

البين قالى ربايـة عـز لاهينـك
اكسر شمالك واخليك بس بيمينك
واشيلك حمل عمر ما نظرته عينك
واغربك غربة منها الرجوع قليل
لجل ما تعرف عدوك من محبينك

كما ان للبين أسلحة حربه ، من مقاليع ونبال :

البين ضربنى بنبلة ع التراب طبيت

أنا قلت ليه يا بين :

قالى اكمنك ع الأصل الردى طبيت
تستاهل يا قلب مين يخزنك فى جب
شوف الدهب من غلوه بيتخزن فى العب
وانت درت بخرجك م الصدف عبيت
يا قلبى قولى على وقعتك وازاى ما انطبيت

انه هنا يتبدى كقبيلة عاتية :

حاروح فين من البين وخال البين وعياله
وآدى اهل الفصاحة لأخذ التار وعيالة (١)
يلعنك يا زمن ما أنت عمايلك معايا سود
زليت آنفس كانت تشبه لأسود
مثل سمعناه من اللى قبلنا قالوه

---

(١) واعية له ، أو مدركة واعية .

من صــادف البين قليــل ان فــاج لعيالــو .

★★★

البين قالل : ايش اسمك
قولتلو : جمعة
قالل : بتضحـك وتلعب
قولتلو : صنعة
اضحك والعب وأكايد العزال
لكن يابين عليه حاكمة الصنعة .

★★★

البين جعــد على أعـــلا بـون وشـــاورلى
وســكن عضــاى فى اليمـين وشـمالى
زرده من الليـف بخــزام سـد مفتـــوللى
البين كبـكب الغـلب فى منـديل وعطاهـلى
أنــا رحت ع الســوق بشرى لحمى بايدى
الا وجـزار قطـع الكبـد ويـا الـلى
أنــا رحت ع الطبــاخ شخط فيـه

عاودت أبكى ولحمى نى

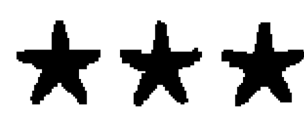
ألا وخبر شين أتى مـــا رمتنـا وفتنـاه نى
أنا صبرت لما الليـل انجسم وفجـرى بـان
فتحت خــان لهـم ويـاما تكسرت بيبــان لى
الا وعليــل جض قولتـــلو سـد بــلالى
أنا لا عــاوز شر تجيبولى
ولا طـــبيب تجيبــولى
قالى سن سلاحك وأقتـل فى العدا وجاديك
وهــات غـزالك من موطنـك جنـص ولى

★★★

فى الموال السابق يتضح مدى تجبر البين ، ومدى حلوله فى أعضاء جسد ، من يعن له البطش به ، فى شماله ويمينه كمثل مرض عضال ،

حتى انه اذا ما ذهب الى السوق لشراء لحم ، قطع الجزار كبده وليته ، واذا ما ذهب الى الطباخ أعاده يبكي ولحمه نيىء :

البين عاداني وحسب ما رام سماني (٢)
نده وقال يا غراب وأنا مكتوب سماني
باعنى لغجر صبر مش لتجنار سماني
خايف أقول آه يطلع في البلد سراى
وبضحك بسنى لكن الحنك بطلان
من قلة وليف زين أشكيلو على سرى
فرحوا العوازل وقالوا الجدع م العيا بطلان
جاني طبيبي على بكره وخد سرى
أنا قلت ما تفرحوش يا عوازل
وتقولو الجدع م العيا بطلان
أنا عشرتي مع قليل الأصل سماني



البين جابني في حاصل ضيق وجالي أدخل
واندار سجاني كاس الحنضل (٣) وجالي ادخل
ولفيت الكون وأنا فردي وجلة (٤) خل
ولقيت الكون لا باخد ولا بدى
البين فصل ثيا ب الحزن جاعلي جدى
وجا عازولي يباركلي وجالي (٥) ادخل

وقد يتخذ البين هيئة القاضي والسائل داخل رقعة مأثوراته :

أنا اللي عاشرت حداد يدق النبل ع السندان
ازى الهجاية وكتب الميم ع السين دال
البين قالي :
ليكشي رفاقة ؟
قلت : ناس انذال .

---

(٢) ما اراد .. أسماء .
(٣) وقلة خل .
(٤) وقليل الخل والاصدقاء .
(٥) وقال لى انك تخيل ـ من خيلاء .

أنا اللي حصدتهم في الندى ياما رموا أغمار
أنا اللي درستهم ما لميت منهم أجرة الجمال

★★★

البين جاب لي غراب نوحي وقالي : شوف
أنت حا تجيلك ليالي مثل دا وتشوف
تستاهل العين محوار نار ورفروف صوف
اللي تفوت الأصيل وتدور مع المتلوف

★★★

يابين داير ورايا ايه بقى عندي
قلعت عيني اليمين ، اشفق على العين دي
ما قال البين : والله لا آخدك عندي
اقطع يمينك وأخليك بالشمال عندي

★★★

ويمتلك هذا – البين – قدرات فائقة حقا على التكاثر والتقمص والتحولات ٠ انه في المأثور التالي ، يتخذ هيئة طبيب أو حكيم جوال ، يستطلع بنفسه جروحات الناس ، ويوزع عليهم مواجعهم وهمومهم ، مصطحبا بغلا وصبيا :

الناس بها جرح ، وأنا بي تلتميت ميه
ولما جاني البين وخروجه م الدوا موثوء
كشف على الجرح مالتقاش دوا عنده
ركب صبيه على بكره وقاللو : سوق

★★★

وللبين حكايات ومأثورات قصصية ، من نوع البالاد الشعرية ، جيدة التصميم تكشف في هذه الحكاية التالية ، عن مواقف ايجابية ، لعليل نازل البين وحاربه وجها لوجه ، برغم غلبه أو فقره وعوزه ، وعلته :

– يا أهل الله العجب لعليل له قلب لاقى البين في شدة الغلب اتحزم وقابل البين أمه تقوللو :

يـا سلام يـا ابنى على القلب دا الـلى لك
قـابلت البين ، وزدتنى يـا عليـل على الغلب
دا غلبين

أبوك يـا عليل كان ابتلى قبلك وعـاود طاب
دا بـلاك يـا عليـل يحكى يـلا جـدك
أبوك يا عليل كان ابتلى قبلك وعـاود طاب
أم العليـل سافـرت سنة حـول
أشهر تلاقى أيام

تـلاقى طبيب ابنها ع الأرض ماسكه جان
فى سـجن ضيق ، والجـان عليـه سـجان
مرات العليل شافت بلا جوزها نطت(٦)من الحيطان
أخت العليل جت فى داك الدن (٧) وانحطت
وجـابت دراهـم فى حـق العاهـرة خطت

نده العليل يا أختى تعاليلى
شيلى اللذق يـا أختى واسـعى فى تعليـلى
قالتلو سلامتك ياخويـا فى الحى هات ايدك
فين رفقتك العزاز ، يشوفوا سقم حالك وتعديلك
صرفت مالك عليهم ... كنت لم أيدك

قالها لا أنا عاوز رفقتى
ولا حد من أحبابى ياجينى

خـدينى من ايـدى ووديـنى على النهـر
اغسل جروحاتى ، وأنقى غشى (٨) دا اللى بى
طلب العليل جبن ، قلت أم العليل جبن آه ؟!
جبن اللبن يا عليل يتعبك
كل يا عليل م الشماه
سافرت أم العليل جابت طبيبين
اشى راكب واشى مشاه
يا فرحت أم العليل نهار الطبيب مشاه

★★★

---

(٦) تركته وهربت وسقطت ، اصبحت عاهرة .
(٧) فى ذلك الدن .. أى من البنالة النيلة ، واصبحت منحطة أو عاهرة .
(٨) وازيل واتخلص مما علق بى من غش .

وفي هذه الأقصوصة ـ البالاد ـ التي يحكيها الموال ، عن عليل . انفضت عنه كل الناس حتى زوجته ، التي نطت من الحيطان .. وسقطت ـ كبغى ـ وأصبح العليل وحيدا ، الا من أمه واخته وتجربته .

وفي النص التالى يتوجع قائله من تعذيب البين له ، بل ان البين يتوحد صراحة هنا بالجبرية ، الا انه يتحداه وينازله ، مستشهدا بما تواتر في السيرة الهلالية :

ليه أنت يا بين لك حربه وسجاله
تضرب بلا نبل في المهجة وسجاله
دا البين ركب على بكرته
وعلى من بعد ساج حاله

من صغر سنى يا بين وأحكامك عليه جبر
لفعل معاك يا بين كما فعل الزناتي في جبر
هو أنت يا بين مش خايف من الآخره ونزول الجبر
دا البين طبخلى صبر في حله وساجانى

★★★

وتطل السلفية وعبادة السلف في هذا النص عن البين ، الذى استمد قائله تشبيهاته من عمله في الجرن ، وكيف ان البين كان يهدم له عمله ، بخلطه القمح على نخالته من تبن وغلت :

البين كاوانى وبعد الكى غلبنى
تبنى تعتل وايه يفيدك بعد ما تبنى
وقعدت أدرى خلط قمحه على تبنى .
وقعدت أدرى خلط قمحه على الغلت (١) تانى
وكله عند الله مكتوبلى ومشتالى ومتدارى
والى عملته في أبويا ضرورى يخلصه ابنى

ان البين ذلك الكائن الخرافي المتجبر يملك على الدوام التحكم في ـ شعائر ـ انتقالاته ، بذله واصابته بالعمى وحرمانه من الابن أو الضنى :

يا بين داير ورانا بالأسى ما رايناه .
جرحت والفرقة دى مدة سنين مارايناه .
وصبحت معى جرح ساكن في الحشا مارايناه
هو أنت يا بين عندى تابعه ولا دين
لف البلد يا بين تلاقى ما ورايا ولا دين
وعميت العين وشبنا حتى الضنى مارايناه .

---

(١) الغلت : حبوب زراعية من الحشائش الضارة .

ـ ٦ ـ

الجمال وجماهير الشغيلة

تفيد الاشارة هنا الى أن الجمل ذلك الحيوان المتميز باحتمال كل مشاق ، فى مجتمعاتنا العربية المجدبة ، ان لم تكن الصحراوية ، والذى يتمثل به قائليه من جمهور الموال الأحمر بكثرة ملفتة جدا ، كما يتضح من النماذج الكثيرة التى سنوردها ٠

وكانت انثاه وهى الناقة ، منذ المجتمعات الأموية القمرية ، من قدم وأبرز المعبودات من آلهة ـ انثى ـ وطواطم عربية ٠

فالعربى القديم كان يتبدى على طول التاريخ الحفرى ـ الاركيولوجى ـ بدءا من المصرى القديم ، والأشورى ، والبابلى ، والفارسى ، جمالا ٠

فالجمل حيوان هام جدا عند مجمل شعوبنا الصحراوية البدوية القديمة ، فكان وحدة قياس لمهر العروسة ، ودية أو فدا ء القتيل ، ووحدة والميسر ـ أو القمار ـ والتضحية والفداء ، يشرب البدوى لبنه،فى حالة ندرة الماء وما أكثرها وأشقها ـ سورة النحل ـ ٠

وحفظ هذا الحيوان الصحراوى داخل مجتمعات الضرع ، فتبدى فى معظم اللهجات السامية التى اكتملت روافدها فى العربية ، فأضفت عليه اللغة الفصحى ، ووحدت بينه وبين تعبيرات : جمال والجمال والجميل ، أى حسن الطلعة ، وبالاشارة الى الفضائل من جيد وجامد ، وكذا الجمائل ٠

وتحوى اللغة العربية وتحفظ للجمل نحو ألف اسم مختلف ، ويرى البعض ان الجمال أو البعير ، كانت من العوامل الرئيسية التى سهلت الفتوح العربية والسامية ، المتزامنة والمعاصرة للدولة الحديثة فى مصر الفرعونية ، ثم الفتوح الاسلامية ، فيما بعد ٠ نظرا لجلده على تحمل مشاق العطش ـ شتاءا ـ ٢٥ يوما ٠

والجمل كالحصان حيوان أمريكى الأصل ، أدخل الى فلسطين وسوريا، مع غزو الميديانيين ـ الفرس ـ لهما فى القرن١١ ق٠م ـ قضاة ـ ٦ : ٥ ـ ، وبدوره أدخل الى مصر ، مع غزو الأشوريين فى القرن ٧ ق ٠ م ، ولم يعرف فى شمال أفريقيا قبل الفتح الاسلامى فى القرن السابع الميلادى ، مع الفتوح الاسلامية ٠

كذلك عرف العرب الجاهليين ، شعائر النوق والجمال السائبة ، تلك التى تترك لترعى حرة فى حما الأرض الحرام ، مثل ـ حرم مكة وحما الطائف ، منافعها للآلهة دون غيرهم ٠

فاعتادوا اذا ولدت الناقة خمسة بطون ، آخرها ذكر ، ان يشقوا آذانها ويخلو سبيلها سائبة للآلهة أو لذلك البانتيون العربى الجاهلى ـ الأصنام ـ ، فلا تركب ولا تحلب وتصبح مشاعا ـ طقسيا ـ ، سائبا تحمى بالتابو ، بمعنى ان لا يصبح المساس بها من جانب الأحياء ، فكانت تنذر للآلهة والأرض المقدسة أو المحرمة ٠

ويحق للعربى القسم بالناقة والجمل ، فيقول « اذا شفيت فناقتى سائبة » ٠ وهكذا تصبح الناقة محرمة أو تحت التابو للآلهة الأصنام ، بدلا من الناس ٠

ولقد تسبب وصاحب قتل ناقتين من تلك النوق الطوطمية الطقسية السائبة ، فى اشعال نار حربين قوميتين ، أولهما ناقة النبى ـ الطوطم ـ صالح ، أو ناقة الله ـ السائبة ـ حين عقرها له قومه ، فكان أن دمر ـ رجل ـ الله قبائل ـ ويمكن القول حضارتى ـ عاد وثمود ٠ حين أرسل عليهم الرعاف أو السيول كعقاب ، كما هو الحال مع سالفة نوح وقومه والطوفان كعقاب ٠

ويلاحظ ان ـ صالح ـ الذى أرسل الى قوم أو قبائل « ثمود » الأرامية ـ البائدة ـ وكانوا يسكنون اليمن الى أن طردهم الحميريون القحطانيين ، ورأسهم هو حمير بن عبد شمس الملقب بسبأ « لانه كان يسبى أعدائه » فنزلوا مدائن صالح بالحجاز ، وأصبحوا مضرب الأمثال فى التفرق ، فقيل فيهم « لعبت بهم أيدى سبأ » ٠

وعنهم أنشد المتنبى :

أنا من أمة تداركها الله
غريب كصالح فى ثمود

وقيل :

فأهلكوا ناقة كانت لربهم
قد انذروها وكانوا غير انذار

كذلك يلاحظ أن الكشوف الحفرينة ، اثبتت وجود مدائن صالح المعروفة بهذا الاسم ، شمال غرب السعودية الى اليوم ، ومن معالمها ـ أى السعودية ـ الأثرية الاركيولوجية ٠

وأورد اسم مدائن صالح المؤرخ « سترابون » ٢٠٠ ق ٠ م ٠ وذكر الطبرى أن ثمود اقامت فى الحجر وضواحيها ، بين الحجاز وسوريا ، وهى تفوق فى ضخامتها مدينة البتراء ـ الأردنية ـ وآثارها المتبقية ، عبارة عن ضرحة ومدائن ، يبلغ عددها ١٣٠ مدفنا ، عليها كتابات ثمودية ونبطية ٠

وما يهمنا فى موضوعنا هذا الماثل ، عن **الجمال وماثوراتها** الكثيرة الملفتة ، داخل رقعة **الموال الأحمر** ، هو العثور على نقوش ورسوم الجمال الآلهة الطواطم ـ كوحدة أساسية فى هذه الحفائر الثمودية ٠

كذلك تتوحد ناقة صالح ، مع ناقة البسوس ، السائبة أو المقدسة بدورها ، حين اقتحمت حما كليب ـ ملك العرب ـ ٠ فكان ان ضربها بسهمه، فشخب ضرعها « بالدم واللبن » فاندلعت حرب **البسوس** الشهيرة التى امتدت أربعين عاما ، وعنها تؤرخ سيرة الزير سالم أبو ليلى المهلهل ، التى تجرى أحداثها ما بين الشام وفلسطين (١) ٠

وفيما يلى نورد مأثورات الجمال ، القاسم المشترك الاهم للموال الأحمر :

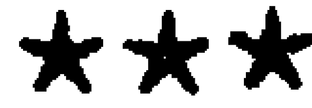
حلف الصفا من محلبه ما أنتقل لعويل
اكمنكم بدلتو الجمال البخاتى كلهم بعويل
وليه ينا رفاقه على ناكرين ودى
والقلب من يمكم عمال يجيب ويودى
وأنا لحلف على العين ما تأخد منكم ولا تدى
اكمنكم بدلتو الجمال البخاتى كلهم بعويل

★★★

---

١ ـ تعرضنا لهذه الأحداث فى دراسة المؤلف لهذه السيرة الفلسطينية المنشأ ٠

فيطلق على جانب كبير من مواويلنا الحمراء مواويل جمال وفيها يلجأ الشاعر الشعبى ، للتستر وراء هذا الحيوان ــ الطوطم ــ الذى لعب أهم الأدوار (٢) داخل رقعة الآداب الشعبية والفولكلورية العربية ، فالجمل فى هذه المواويل ، يرمز الى الرجل « العال » الذى يتحمل ويصبر ، ويكدح ، ولا يكل ولا « يتضمضم » • فتشبيه الشعب بالجمل ، تشبيه يستهدف كلا القوة والجلد •



« جمــل المحامــل »

جمل (٣) المحامل برك، وكان جاله القعود وسند •
يقوللو يا بدر خدنى معاك ، وأنا أكتبلك حجاب وسند•
يقوللو لفيت الكون ملقيتش صدر حنين وسند •
يفوت القعود ع الجمل ، يقوللوا ياما مهابيل (٤) تقول وتطول•
حملى وحملك يا جميل ، الناس علينــا تقول •
شوف من سوء بخت الجمل ، جالو القعــود •
وسند •

« خطــابى »

لو كان لينــا جمل فى وقت الشيل خطــابى (٥) •
ما كــان غـــراب البين حــاربنى وخطــابى •
يــا نــارى •• قلبى قــادوه اتنين خطابى •
سايق عليك النبى يارب يا خالق اللبن فى البز •
تقوم البكر(٦)مثل عاداته، يحسن راحت ليالى الهنا•
وآدى ليــالى الغـــلب ســـد تحطــابى (٧).

---

(٢) منها ما ذكرناه سابقا •
(٣) الجمل الذى يشيل الحمول الثقيلة ، أما الاعود فهو الجمل الفتى الشاب •
(٤) رجال اغبياء •• ليسوا عال •
(٥) خطابى فى مواسم الشيل ، مثل أيام جمع القطن والغلة •
(٦) اى الجمل الاعود ، كناية عن الرجل الأصيل •
(٧) تعنى الكلمة : حاطه به ، اى ملقاة على كاهلى •

« ودعـد غني »

جمـل الينـا عض فى كتفي ودغـد غني ·
وبليت بدائين داء ظاهر ·· وداء دغني (٨) ·
إلـداء دا الـلى خـفى ع الجمر قـلبني ·
والـداء دا اللى ظهـر الفين طبيب جـولوا ·
وكل ما اطلب دوا من طبيب منهم يمضيعنى ·

« ليه يا جمل ؟ »

ليه يا جمل جبت حملك فى معاقيلك (٩) ·
وسرت معقول يا جمل ، لمن كانوا معاقيلك (١٠) ·
لما ابتليت بالعيا يا جمل ··
خدفوك برا الألسن (١١)
وصجرة المر يا جمل عملوهـا مراعى لك (١٢) ·

ويستهدف هذا المأثور ، ان يتصدى الانسان لمنازلة ومحاربة من هم أقوى منه ·

عجبت للسبـع لمـا فى البـرارى مـر
مـاشى يهـز الجبـال الراسية فى البـر
زامت عليـه الوحوش ، ضحك الأمير وانجـر
قالولوا : رايح فين يـا حامى جبـال البر ؟
قال : أنا رايح أحارب أسـوده زايـده عنى
ان مت قالوا فعـل ، وان عشت طاب لى البر

وعادة ما يرمز الحوار بين الجمل ـ الرجـل ـ والأعود الشاب ، الى حوار بين جيلين :

قعود يقـول للجمل
مالك سقيم ودليـل ؟
قوم كل عليقك يا جمل ·
وبكرة يبقالها فرج ودليل ·

---

(٨) اى داء ظاهر ·· وداء مخفى ·
(٩) اى ركبك ·
(١٠) اى اصبحت عبدا ، بعد ان كنت سيدا ·
(١١) مربط الجمل ·
(١٢) اى اطعموه المر ·

قال الجمل للقعود :
أنا شايف الطرق متسعة
وصبحت حيران مش عارف العشرة من التسعة
وخـايف أبـرك ، يجيني جمـل غـيرى
تحت الحمول يسعى
أبقى بما معيرة ، وسط الجمال ودليل (١٣) .



وكثيرا ما تستقل بعض المأثورات والأشعار ، عن سيرهـا وملاحمها ـ الأم ـ ، منها هذا النص عن الهلالية ، والتهديد بفرس أبو زيد المعروفة بالحمرا :

حلف (١٤) أبو زيد يمين ، وآدى العرب جاعـداه
لنخربلكم تونس يـا زنانـة ، وافرق الجاعـداه
واستقيكم السم يازنانـة ، وأملالكم الجاعـداه
ماتعرفوش يازنانة نهار ماكنتوا تحت الصجرمسكين
ومعلقين فى رقـابى ، وكل أربعـة ماسـكين
وجالكم العـلام صاحبى ، وقال سيبو العبـد
دامسكين ؟!
والله دوركم طين يا زنانة طول ما هى حمرتى(١٥)
جاعداه



وتمثلا بالجمل وقدرته على حمل الأحمال الصعاب ، أصبحت الحمول والأثقال ميزة للتفاضل والتباهى :

يـادى العجب فى جمـل يمشى يـرى حمله
يشيل بعينـه مـا يلقـاش حـد راحمله
تقول العوازل يا ناس خفـوا عن الجمـل حمله
يقول الجمل يا ناس هـاتولى على الحمل دا علوان

---

(١٣) دليل .
(١٤) قال أبو زيد هذا الموال ، وهو على باب تونس اثناء الريادة .
(١٥) المقصود « بحمرتى » المهرة التى كان يركبها أبو زيد .

أحسن يقولـــوا الولـــد خـس عن حملـه

ومن المشين تمثل الرجل ، بالجمل البارك :

ايـاك تميـــل يــا عليـــل وعوازلك بـراك
ويســـمعوا الحس منـك يقولوا الجمل بـراك
قوم شد حيلك عليهـم تلقاهـم رابطين براك
قوللهم تعالوا يا خاينين العيش ٠
ايش كان جرا منى ٠
اذا كنتوا بتجروا ورأ نفر
أنا بجرى ورا ميه ٠
والله ان سعدنى زمانى ٠
واذا كنتوا الفيه (١٦)
لاقصكم قص واخلى الدما براك ٠
اياك تميل ياعليل وعوازلك براك ٠

★★★

وفى بعض الحلات تتمثل هذه المأثورات الشعرية ، بالأسد أو السبع الذىهو بدوره اله ـ شمسى ـ عربى ـ سامى قديم :

سبع الفـلا جض من الأيـــام ومـا نابـــه
عيـان ومـابو عيـا غير المكتوب ومـا نابـه
يا عين نوحى على اللى صـــبح فى الحى ما نابه
والأهـل كرهـوه وقالـو يـروح وما نابـه
يعمل أيـه الولـد ما دام الدهـر خاليبـو
مـاشى ينـوح فى وسـط الطـرق خاليبـو
مشى مع نـاس كانوا فى الأصول أخصـامو
انما السـبع برضـه ولـو خست مخاليبـو
السبع سبع ولا فيش أحـــد زيـــه
يمسـك على الجــد والشرف المليـح زيـه
والأسد حلف يمينين ما يحاوب الا أسد زيه
يا اما يفـوت حقـه على الأنـــدال ومـا نابـه

★★★

(١٠/) بضعة الاف ٠

السبع لما كبر ماحدش عبر ريحه
الكلب شم الخبر وجا سكن ريحه
السبع ضرب الكلب وقاللو روح
سبع سنين السنادى وأنا ع الفراش مطروح
شوفوا ليالى الهنا بتيجى قوام وتروح
أما ليالى الزعل طالت على المجروح

★★★

أمانة يا سبع تحمى غابتك والـلا (١٧)
والـلا يقولـو عليك سبع الفـلا ولى (١٨)
والله ان ما كنت تعاود على الغابة وتدلله
لا خير فى عيشته طول العمر بمذله

★★★

أسد راح يسم كرم السبع وزغر فيه
ونوى يلم الأسودة فى الظلام ويجيه
اتنبه السبع ونصب فخ وسهر فيه
فايت الأسد اتشنكل ووقع فيه
ما طل لو صقر شاهينى وقاللوا والنبى ترضيه
قاللوا ازاى أرضيه لما يجينى كبار القصد واعاتبهم
دا كرمنا ساب للأندال يخطروا فيه

★★★

ولموا (١٩) الكلاب بعضهم ع الكمان وانعدوا
وقاللوا ادينا بقينا كتار على السبع ونعضه
اتلفت السبع ربع لفتة
راحوا كسرة ورا كسرة
كبشة كلاب جرب لا سدم ولا ردوا .

★★★

---

(١٧) والا .
(١٨) ولى الادبار او جرى هربا .
(١٩) جمعوا بعضهم بعضا .

وكثيرا ما يتمثل الانسان المعدم بالجمل الصلب ، الا ان علته هنا هو صاحبه ومستغله الجمال ٠

انا جمل صلب

أنــا جمــل صــلب ، لكن علتى الجمــال
غشيم مقــاوح ، ولا يعــرف هــوى لجمــال
كار الجمــل له جمــل ، يــا علــة الجمــال
وربى زمــانى حــدا نــاس ميعرفوش قــدرى
وشيلونى التراب بعــد الحمــول العــال
وصبحت عيــان قــوى ، يلعبوبى العــال (٢٠)
وطلعــونى الســوق بــاعم واشتوم فيــه
من يدواحد لواحد ملقيتش حد يصون الود والجمال
أنــا جمــل صــلب ، لكن علتى الجمــال

★★★

أنا جمل صلب من قبل الخزام (٢١) والكام
غيرشى الزمان هد حيلى من نوم الحصا والكام
ولبست توب الصفا جت ناقصه البدن والكام(٢٢)
دا أنــا كنت أشيل الحمــل التجيــل ٠٠
وانجعبــوا (٢٣) فى الطريــق وحــدى ٠٠
رصرص (٢٤) عليه الحمل ع الجنبين وجا مال
خايف أقول آه ، يــا حمــلى التقيــل وحــدى
أســألك يــارب تجبهــا ستر وجــامال
وصبحت تيهان موش عارف الطريق م الدار
وعاشرت نــاس قلبهــم كاليهود مــدار
كلوا متــاعى ، وبعــد الغنــدره ذلــونى
وساونى (٢٥) كاس المــرار علقم صعيد مــره
وصبحت كالعبــد موش عــارف حسابى كام

★★★

---

(٢٠) يلعب بى العيال ، ويهزؤون منى ٠
(٢١) من قبل أن يخزمونى ويكمموني ، ويشلون حريتى
(٢٢) الاكمام ٠
(٢٣) واركض فى عزم ٠
(٢٤) اصبح ثقيلا لا يحتمل ، ومال على الجانبين ٠
(٢٥) يقصد انهم بالغوا فى اذلاله وتعذيبه ٠

فهو حين يربط بين مصيره ، ومصير الجمال · ويقول : انه جمل صلب من قبل الخزام والكام ! · أى من قبل ان يكممه الاقطاعى والحاكم والمستعمر فهو حينئذ يصدق ·

فالجمل هنا ليس هو الحيوان الضخم المنقاد ، بل هو الشعب المصرى ، من فلاحين وأجراء ورعاة ·

انه حين يؤكد ، انه جمل صلب ، لكن علته الجمال ، يعرف تماما ما يعنيه هذا التشبيه ·

★★★

ولا يوم كل

جمل الحمول الصعايب ، تلب (٢٦) لا يوم كل
صايم عن الزاد ، لا اضمضم (٢٧) ولا يوم كل
جابوا المحاوير صلب على زنوده وشلوه شل
وشيلوه حمل قاسى غصب(٢٨) عن عينه وهو تعبان
اترجت الأرض من تقل حمله ولا يوم كل

★★★

أنا بقول على جمل من تقل حمله صام
وفصلولوا الزكايب ، وطولم لخصام (٢٩)
وعيشوه مع تلاتة ، والتلاتة خصام
وحملوه حمل تاكى ، ومشى فى الطريق وحديه
الله ينعلك يا دنيه الشوم ع السبع المليح لوتيه(٣٠)
وف لفتته ع الأعادى ، بيرعب الأخصام

★★★

(٢٦) صلب لم يتخاذل ·
(٢٧) لم يرغ ويزبد ، ويثور ·
(٢٨) بالرغم منه وهو تعب ·
(٢٩) أى أطراف الزكايب واخصامها ·
(٣٠) ذللته ، وضاعفتى من متاعبه ·

سبيع الفلا جض من المكتوب وما نابه
هيعمل أيه ياناس فى قسمته وما نابه

★★★

ماصل يا سبع فايت موطنك ودليل
عمال تعجب تلاقى كل شيء لو دليل
دا أنا ماكواني وخلانى عليل وذليل
غير الشريك المخالف والزمن لعوج
وطبت السبع من دون معرفة ودليل

★★★

عيان يا طبيب

عيان يا طبيب ولا حدش يقول عوافيه (٣١)
كرم الحبايب نشف حتى الشجر عوى فيه (٣٢)
والسبع نام واختلى ، وكلب الخلا عوى فيه
واحنا بلانا أيه ، غير المعيرة واللوم
ماتفرحوش ياعوازل، ولاحد(٣٣) ع الدنيا أما جاله يوم
لا بد عن يوم وترجع للجدع عوافيه
نوادر الوقت خلت السباع نامت
عطاشى جواعى جار حيط ـ العويل (٣٤) نامت
والطل نازل عليهم فى الخلا نامت
يا ميت خسارة كانت مضايفهم لكل الناس
وكانوا يحموا طنيبهم (٣٥) من كل شى يأذيه
الله ينعل أبو الوقت الـلى بيسلم لأقل الناس
وشلت بعيني، التقيت القرش بيدى وشه لأقل الناس

★★★

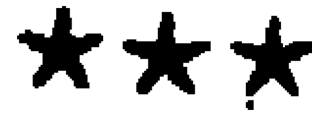
---

(٣١) يسأل عنى وعن صحتى .
(٣٢) مشتقة من عواء .
(٣٣) لا أحد .
(٣٤) العويل هنا بمعنى النذل أو الخسيس .
(٣٥) ضيفهم ومن يحتمى فيهم .

والله زمن شين وبيبجى ع الأصيــل يأذيــه
دنيـــا غرورة ملهـــاش تنـــا (٣٦) ولا أصـــل
خسيس شبع يوم قالت الناس بقالو أصـــل
أهــل البلاد عزلوا سكنوا الجبال بلا أصــل
وجت ناس بلا أصل على أحسن فراش نامت

ان تحسره ، ووصفه للزمن شيء مشين ٠٠ سيء ، يؤذيه وهو الأصيل ٠ ناتج عن عدم فهم واضح أكيد لأعدائه ، ومن هم ٠٠ وأين يكمنون ٠

فالوضع الطبقي ، والمرحلة الزمنية المظلمة ، والتضليل التاريخي ، كل هذا تحالف عليه ، وجعله يتوه ويضـــل ، ويفقد الطريق الموصـــل الى أعدائه الحقيقيين ٠



حق الدوا على مين ؟

جس (٣٧) الطبيب فى شمالى ، أنا قلتلو عليمين
صابح مسافر يا طبيب ، وهتفوتنى عليل على مين ؟
قال الطبيب للعليل أداويك يا عليل وحق الدوا على مين ؟
قال العليل للطبيب ٠ أنت تحسبنى ياطبيب من الفلوس خالى !؟
دنا لى عزوة الفين يا طبيب غير عمى وغير خالى
قالت أخت العليل ٠ داويه يا طبيب وأنا أوهبلك (٣٨) حجلى وخلخالى
أم العليل قالت ٠ داويه يا طبيب ويقالك عندنا علامات (٣٩)
قام طق (٤٠) العليل مات ٠ من قولة حق الدوا على من !؟ ٠٠



انه هنا لا يبالغ ، ولا يتجنى ، بل هي الحقيقة التى يعيش فيها ٠ فهو يريد أن يعكس مدى الصعوبة فى كيفية حصوله على ثمن الدواء الذى يدفعه

---

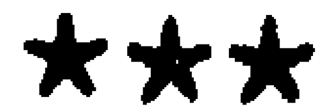
(٣٦) مبدأ أو قاعدة ٠
(٣٧) كشف الطبيب على جنبى الشمال ٠
(٣٨) أعطيك ٠
(٣٩) جمائل وأفعال حسنة ٠
(٤٠) انفجر ميتا من فشله فى ايجاد ثمن دوائه

للطبيب ، لكى يشفى من مرضه •• وفى النهاية فشل ، وانفجر ميتا ، من قوله حق الدوا على مين ! •

والحوار بينه وبين الطبيب ، وبين أمه واخته والطبيب •• رائع ، وينبض بالصدق والخصوبة •

يـا دنيـا

الله ينعلك يا دنيا ، ما انت دنية مال وخواطر
الحظ دايمـا يميـل فيكى على الشـاطر
والغنى عشان معاه فلوس بيعمل على ولاد الأصول شاطر
وآدى الكـلام اللى النـاس العـاقلين يقولـوه
طول ما الحرمة موجودة مفيش ع الدنيا جدع شاطر



وطالما ان هناك نساء يولدن ، فان هناك أفضل وجديد وأجيال مزدهرة متقدمة •

طول ما معاك مال تلاقى الناس تحت ايدك
يرحبوبك قـوى ما دام الجنيـه فى ايـدك
لو خف مالك حبيبك حمامه وطار من ايدك
وقبـل متمـاشى الدون حـرص على ايـدك
ولا ينفعـك فى الزمـان ده الا شقا ايـدك
مالك ومـال النجوم ما دام القمر فى ايـدك

- ٧ -

ياما بكيت عليك يا صديق ، كما بكى الاعمى على الطــريق

ويحتفى هذا الموال التراجيدى الملتهب الاحمر ، بالصداقة والصحبة ، مفردا لها مكانا رحبا خاصا · وهو - كما سبق ان ذكرنا - ملمحا عربيا ، ضارب الجذور بل ان الصداقــة تتحدد منــذ النصوص المبكرة ، لملحمة جلجاميش - ٣ آلاف ق · م - منذ ذلك البحث المضنى للبطل الالهى الخارق « جلجاميش » عن الصداقــة حتى اذا ما اختلقت الآلهة خصمه أو نقيضه ، البرى أو الوحشى الحيوانى « انكيدو » الذى تربى مع حيوانــات الغابــة « وشعر رأسه كرأس امرأة » ·

والذى خلقته الآلهة بقصــد منازلة جلجاميش - المــدنى المتحضر - والصراع معه مما يشغل جلجاميش عن أوره أو مدينته بحيث ينشغل كلاهما، جلجاميش وانكيدو فى صراعهما العملاقى وتنعم المدينة وأهلها بالأمان ·

وما ان تصطحب عاهرة أورورو انكيدو وتعود به الى المدينة ، بعد ان ضاجعها سبعة أيام لمنازلة جلجاميش ، أمام بيوت البغايا المقدسات ، ويقدم جلجاميش على منازلته والفوز به ، حتى يتراجع مفضلا التقرب اليه ، وعرض صداقته ، أو احلال صداقتهما محل البغضاء والاقتتال والموت ·

وحين ينجــح جلجاميش فى صداقــة انكــيدو ، ويخوض البطــلان الصديقان رحلتهما العبورية - الكونية - استكشافا للمجهول ومصارعة الشر ، الى ان يمرض انكيدو ، ولا يغفل جلجاميش عن تطبيبه والسهر عليه، الى أن يموت ، فيمضى يبكيه ويرتدى السواد عليه ، بل هو يرثيه ويندبه ، ويروح يؤرقه السؤال الكبير ، عن الموت الذى ذهب بحياة صديقه وصفيه انكيدو ·

فالصداقة ونشدانها كانت على الدوام ملمحا تراثيا عربيا ، وقاسم مشترك لكلا الأدبين ، العربى الكلاسيكى ، والشعبى الفولكلورى ·

وكثيرا ما يتحسر قائل الموال الأحمر ، على الزمن والدهر الذى ذهب بحياة أفاضل الناس الكاملين ، فأنهى الأصدقاء عن آخرهم :

ـ زمانا فض كمل
ومشيتها ملاجى ملاجى
وصبحت أدور على ناس كمل
أمشى معاها ٠٠ ملاجى (١)

فهو هنا فى المربع السابق ـ يتحسر على افتقاده للصديق ـ الذى عادة ما يتغنى به الشبان وهم يزفون العريس ليلة صباحيته ودخوله على عروسته ، وهم عائدين حوله عقب انتهاء عراسته واحتفالاتها ، التى تشتمل على يوم سمر كامل ، فى الحقول والبساتين خارج البلدة ، حيث يطلق على العريس « الملك » ويختار له وزيرا أول وحكومة ويظل أصدقاؤه يلعبون ويمثلون أمامه لعبة السلطة ، وتمثيل كلا العسكر والحرامية الى مغيب الشمس ،فيعودون يغنون له ، أغانى أو مربعات قصيرة يستخدم فيها « الفرش والغطاء » الشعرى الى ان يوصلونه داره ، فيتغشون عشاء جماعيا ويهنئون منصرفين ٠

وهو ما سنورده باستفاضة فى كتابى « مسرح الفلاحين » ٠

وتتفق آدابنا الفولكلورية عامة على الاحتفاء بالصداقة ، سواء فى حقلى السير والملاحم أو الحكايات والمأثورات ، ثم هذا الموال ـ الأحمر ـ والأشعار التى نحن بصددها ٠

انها تتحدث باستفاضة عن حاجتها المضينة للصديق أو الصاحب الذى « على طول الزمان ينعاز » وعن « الصاحب اللى بطيب ـ أو طيوب ـ البرربيناه » ٠

كما ان هذه الأشعار الفولكلورية ، لا تغفل دور الصديق ، المتنكر لماضيه وأصدقائه ٠

فالصديق الأصيل يجب مراعاته ، وعدم اغفال العين عنه ، فهو الوحيد الذى يظل يحتاجه المرء ويعوزه على طول الزمان :

الصاحب اللى على طول الزمان ينعاز ٠
راعوه بالعين دا فى آخر الزمان ينعاز ٠

---

(١) لم أعد ألقى أو أجد ٠٠

ولا تؤاخذوه باللى جرا منه ٠
دا أصيل والأصيل على طول الزمان ينعاز ٠

وهو ما يخالف تماما الصديق الرفيق الخسيس الندل الذى لا يسوى شيئا :

أنا عاشرت حداد يدق النبل ع السين دال ٠
أرى الهجايه كتبلى الميم ع السين دال ٠
البين قالى : لكشى رفاقه
قلت : ناس اندال

أنا اللى حصدتهم فى النفا ياما رموا أغمار ٠
أنا اللى درستهم ما لميت منهم أجرة الجمال

★★★

الصاحب اللى بطيب البر ربيناه
منه ظهر عيب جازفنا وبريناه ٠
ظهرت عيوبو وكل الناس دريوبو ٠
قبح ركبنا مطايانا وهملناه ٠

ويجىء النص التالى اتساقا مع مأثورة « حبيبك يبلع لك الظلط » وان جدلية الصداقة ، تستلزم من كلا قطبيها ، تجاوز العيوب ، أو تقبلها والردم عليها :

الصاحب اللى تركنا اليوم وراد منا
ومافتكرشى قعادى وشرب الراح وراد منا
أنا قلت يا عم قاصدين الحما حانبات
ياما شربنا بتاتى سوا خمره على نيبات
ياما فحتنا على العيبات وراد منا

وقائل النص التالى ، لا يطالب صديقه أكثر من أن لا يبيعه برخص التراب . بل أن يعلى من قيمته وقدره فى مواجهة الخصوم والعواذل :

يا صاحبى ان بعتنى فى السوق غلينى ٠
انده عليه بكتر المال غلينى
وان جا اشترونى العوازل لازم تغلينى
واذا كنت ذليت خدنى فى الجمر وأغلينى

ما أصـــل يـــا طبيب على بيت العليـــل بتمر
ســـقيتنى كاس من أيـــدك لقيتـــو مـــر
لمـــا أنت ريس أراوى واســـمك غ البحور بتمر
ادعـــى على مركبـــك بـــالشرد غليـــنى

★★★

وفى النص التالى ، يتحسر القائل على افتقاده للعقل والحكمة ، وحاجته المعوزة للصديق ، كاتم السر .. خازنه .

مع ملاحظة القدرة الفائقة فى استخراجات الألفاظ والكلمات ، ومدى تناقضاتهـــا وثرائها ، مثـــل استخدام لفظة « خزانـــة » السر ، وذلك الذى استبدل عودا من الجوهر ، وأخذ ـ بدلا منه ـ زانة ، أو عصا من الزان :

شـــابت لحانـــا (٢) ولسه العقـــل مـــا جانـــا
ومن عيانـــا بنســـمع شتمة أعدانـــا
منين أجيب نـــاس لكتـــم السر خزانـــه
على اللى ركن عود من الجوهـــر وخد زانـــه
على ناس يا ضحكهم من زمرد
يا لعبهم من ياقوت
وليهم عقـــول من عقـــول النـــاس وزانـــه

★★★

تمشى على غير شكلك (٣) بطول العمر ماتحلاش (٤)
وصرفت مـــالك على المـــايل ولا تحـــلاش
تقعـــد فى وسط المجـــال تتعب ولا تحـــلاش
حبيبـــك يبقى مـــاشى وراك بـــالفتن والغش
ولا حـــد خالى م الفتن والغش
عصـــر الماعون اللى فيـــه المش مايحـــلاش .

★★★

---

(٢) جمع لحيـــة .
(٣) نمطك وما يشابهك .
(٤) ليس حلوا .

انـــا اللى درتهـــا صـوان ورا مـــالى
صيتى فجـــع لف فى الوديـان ورا مـــالى
وسبـــع الخـــلا جض منى ليـه ورا مـالى
الحمد لله انا ما انكرب ع الشر
وأدى مركبكم رست ع البر
أنا أصبر على الخصم لو جاب سم ورمالى (٥)

★★★

جدع (٦) بـلا جـاه مـرساة الهموم قلبـه
يضرب بـلا جـاه وأقسى م القـلوب قلبـــه
برضه جدع زين فى حالة الضيق ينقالبوه (*)
برضـــه جـدع زيـن شال حملو ونقلبو (٧)
جـــاز الأدب والكمـــال والسر مـسابحبوش
من كتر عسرو كوى خصمـــه على قلبـــو .

★★★

بقى زمـــان شين مـــر ع الصـــاحب
يغـره بالجهـــل مايلقـــاشى ولا صـــاحب
اذا مال عليك الدهر أوعى تذم فى الصاحب
الصـــاحب الهـزل نهملــو المكان ونـروح
والصـــاحب الجـــد نصرف عليـــه الـروح
بيت يحبك بيجى وبيت تحبـه روح
ايمتـه يـــؤن الأوان ونعـــاتب الصـــاحب

★★★

حاتنام يـا قلبى وأفكار الزمـان جت (٨) ليـك .
والحنضل المر وصفولك طبيب جوت (٩) ليـك
مشيت مع نـاس خـدو مالك وايـه جت ليـك
زعلان على ايه ما هو أنت السبب فى الدور
واذا كنت منـك ما أقول للنـاس على حـالى
لعمـل ثـاره واخـل مسكنى فى الـدور

---

(٥) والقى لى بالسم .
(٦) رجل جدع لا جاه له .
(٧) حمل حمله الثقيل وانتقل به .
(٨) جاءت اليك وقتلتك .
(٩) قوت لك .
(★) يشاد به .

واحلف يمينين ما أقوم سنتين على حالى
تنهم وراك العوازل لما وقعوك في الدور
وجابوا الطعام غش خلطوا المش ع الحالى
وما كنت مبسوط ولا جالك أحد ردك
عن اطرق الفساد والمشى القبيح ردك
الصاحب اللى أنت واخده فى البلد ردك
ياكل (١٠) فى كدك ويدبر على جتليك

***

يا صاحبى ان بعتنى ماتبعنيش (١١) لعادم الخال
يقل من قوتى ويطممنى بعد العلام نخال
لانه عادم الخال لبسنى بعد الحرير نخال
بقيت أودع وأتكلم كلام عن أصل
أوعى تعاشر اللى شورتو مره وعادم الأصل ·
دا من الصغر للكبر ناقص وعادم الخال ·

***

الصاحب اللى على كل السنج واقع
عقلوه للسيف محكاش كلام واقع
روح يا رفيق لعز الناس وتواقع
وان حلفك بالأمانه استعين واحلف
واكتم بسرك ولا تحكى على الواقع

***

رفق الزمان ده محال لله مش خالص
واذا كان لى علمه لكن القلب مش خالص
مما جرالى أنا اللى فتة قرايبى خالص ·
وآدى الاشهر اللى عليها المعتمد هلت
وآدى الدراهم من اديين الناس قلت ·
والخلق ضلت وفاتت ربها خالص ·
رفق الزمان دا محال لله مش خالص ·

***

(١٠) ياكل من كدك ويستدير ليقتلك ·
(١١) من لا خال له ·

أصحابك (١٢) أحبابك اللى منقيهم تقاوى عـال
وبدرتهم فى أرض وآدى الأرض برضه عـال
شوف لما جينا بنحصدهم ياما قطعم ورانا أغمار
ولما جينا نبدوسهم ياما قطعم ورانـا آدوار ٠
ولما جينا ندربهم ماجاشى منهم أجرة الجمال

★★★

يـادى العجب فى جـدع مجـروح ومغطى
يفـوت على الخصـم واثـق غلب ومغـطى
يا عين خديلك رفيق من خيال النـاس اذا خدتى
يبـقى ذخيرة لغـدرات الزمـان اذا مـال
يبـقى يـداري على العيبـات ويغـطى

« الليل كما الغول »

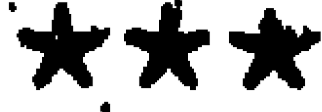
الليـل كمـا الغـول تسرح الأسوده فيـه
والورد مهما نشف ريحتـه الزكيـة فيـه
زرعت حب الوداد قدام بيت العليل شفتيه
كان عيان جبتلو الدوا شفتيه
أطـرى من الورد وأنعـم م الحـرير شفتيه
اذا جافاك من تحبه يا قلبى أوغى تفرط فيه
ما تهجروش تعدمـه اسـعى ودادى فيـه
من قدم السبت لقى الحد قدامه
ومن خـدم النـاس صـارت النـاس خدامـه
والصاحب اللى يا عين مايجيلك ساعى على لقـدام
كأنك يا عين لا شافك ولا شفتيه ٠

★★★

يـا زارع الخـوخ ازرع بس خوخـالى
وسـد البـواب وافتـح بس خوخـالى

(١٢) يبدو انها اغنية عمل ، مصاحبة للحصاد وجمع الغـلة ، ودراستها فى

قسما وبالله ورب العرش يلزمني
ما يخفض الود الا الصاحب الغالى



وفى نهاية هذه الالمامة بخصائص الموال الأحمر ، أغانى فقراء الناس والمحتاجين ، وذوى العلل والمواجع والأنكاد على طول بلداننا العربية • وأبرز العناصر والمواضيع والمآسى التى يتناولها ويتمثلها الموال الأحمر •

يمكن الانتقال الى حقل تال من حقول الشعر الفولكلورى المصرى والعربى المترامية ، وهو حقل « الشعر الجنائزى » الذى مجاله دورة الانتقال بالغياب والموت ، والذى لا يبعد بنا كثيرا أيضا عن مجال وحقل وايقاع الموال الأحمر ، موال البكاء والندب الذاتى الدنيوى ، للحياة أو الدنيا المغلوطة •

- ٨ -

شعر المراثي والبكائيات الجنائزيه

أصعب ما يمكن أن يصادف جامع الفولكلور · هو التصدى لجمع البكائيات ·· أو العديد · اذ يقتضى هذا الاتصـال بالنساء بشكل عام اللواتى يحفظنه ويتناقلنه فيما بينهن · وبالمحترفات منهن · وهن اللواتى يحترفن انشاده عندما يموت ميت ويعرفن بالندابات ، يتوارثن هذه المهنة ، أجيالا اثر أجيـال ، وربما منـذ العصور الفرعونيـة ، حيث كان للنـدب والندابات شأن كبير ، كأقدم مهنة للمرأة ملازمة للموت ، مثلها مثل مهن البغايا والقابلات أو المولدات ·

وهي فئة متضهدة تعامل على نفس المستوى الذى تعامل به البغايـا والنساء « الموعودات » ·

وكما هو معروف فان أقدم عمل للمرأة فى العالم القديم هو القابلات أو المولدات ويطلق عليهن الدايات ·

فالقابلات والندابـات والبغايـا يشـكلن ثالوث الوجود الانسانى · الولادة والزواج والموت أو الولادة والجنس والموت ·

ولا تخرج الابداعات مجهولة المؤلف عن تناول أحد أضلاع هذا الثالوث سواء ما يتصل بالبذرة أو الولادة ثم التفتح على الجنس متضمنا علاقة النوع بالآخر · الرجل بالمرأة والعكس ·

وتنتهى الدورة بالحتمية المعهودة التى هى الموت أو الغياب والمرواح ، كما يسمى فى البكائيات ·

والبكاء والعديد ، ليس وقفـا على وقـوع الموت عنـد النساء من غير المحترفات · فكثيرا ما كنت أفاجىء امى تندب وتنوح فى وحدتها بصوت شبه هامس · وأذكر ان هذه كانت حـال النساء العـواجيز والمسنات من قريباتى ·

ومثلا عندما ترددت على احدى القرى البسيطة الواقعة على مشارف اقليم الفيوم من ناحية بحيرة قارون • تعمدت نزول هذه القرية في مطلع النهار • وفي يوم معين ، يقام فيه سوق البلدة القريبة ، ويرحل اليه ، اغلب رجال هذه القرية والكثير من النساء صغار السن • ولا يتبقى منها الا العجائز والمسنات والكلاب الضالة •

وللعزبة حكايات وقتية متجددة • تتناقلها النسوة في المجالات النسائية ، وهي أشبه بالأسرار •

ويتناقلها الشبان والعجائز في مجالسهم وسمرهم •

ولقد ظلت النسوة يحدثنني عن « أم سلطان » ويصفونها بأنها :

ـ وعارة • وشايله كتير •• وبتندب في الموت •

وعرفت منهن أنها ليست ندابة محترفة • بقدر ما هي غاوية وقالوا لي ان كبيرا من أهل العزبة يدعى « حميده أبو ادريس » طلب منها يوما قبل أن يموت قال :

ـ يا أم سلطان • لما حايفرغ أجلي وأموت • حاتقولي عليه أيه ؟

قالت :

لبسوا الجبابي الزين
والمسك علينا فاح
يادي الندامة اليوم
على أحسن رجالنا راح •

فبكى الرجل ، قبل أن توافيه المنية •

وقالت « أم مقبوله » يوم ان مات :

ما تقوم تكلم واحد كبير جالك
تقضي أقوالك
عليك قضيه
تسدها وتعود
تسدها وتطلع غزالة بحيره •

وعندما يكون الميت شابا يقولون :

شاب يا عود القرنفل
يا روايح للثياب

قالولو يا شاب روح ·
قال نويت على الغياب ·
يا شابنا يا كبير
جودك علينا زى بحر النيل
يا شاب عاود لهم عاود ·
دا أنت طويل البال ومهاود ·

والميت الزوج هنا يحذر زوجته من أن لا تخون عهده بها ، فتتزوج وتزدهر وتينع نوارا ، كناية عن الخلفة وانجاب الأطفال ·

فتجيبه الزوجة ، انه هكذا شأن الأحياء قليلى العقل ، الذين سريعا وفى التو ، ما ينسوا ما قطعونه على أنفسهم من عهود :

هو اصحى يابت تخونى العهد
تزفى وتجيبى نوار
هى تم الحى جليل عجيله
فى ثوا ينسى اللى صار

وهى هذه الأشعار الجنائزية ، عادة ما يكثر التخاطب مع العين ، او العين الحارسة :

انتى يا عين جهلتى ليه
انتى ساريتى غير اليوم
انتى ساريتى (١) « فلان »
اللى غايب لا عدا اليوم

وتتحدث البكائية التالية عن فرس الميت ، وتدعوها بالحمرة مثل مهرة أبو زيد الهلالى ·

كأنى بك يا حمرة ، أصبحت تيممين ، ناحية رياح الندابات فلقد غاب عنك وطواه الموت ، ذلك الذى كان يعرف ويقدرك حق قدرك · فيملأ لك « عبارك » فى مربطك حتى حافته ، وان خس الكيل من التبن والشعير ، زاده قمحا :

كنك (٢) يا حمره بتصيرى ·
تحت ريح الندايات ·

---

(١) عادة ما يرد الاسم العينى للميت ·
(٢) كانك ·

غـاب اللى يعـرف مقـدارك ٠
يمـــلا لحـــد عبـــارك ٠
وان خست م القمح يزيدك ٠

★★★

والبيت العالى ذا الشباك ، الذى أقسم بأنه لن يفرح ويزهو الا اذا ما عاد صاحبه أى الميت :

البيت العالى بوشباك
حلف مانزهى الا أن جه

ويلقب الميت بالغالى :

يا بوابه يا منهابـه
صـــوت الغـالى
ماهيش فيـكى

وليس هناك أروع وأبلغ من لحظة تصوير الاستسلام للموت فى هذه الشطرة :

مـــدوا أياديهـــم
واستمتلوا (٣) للى جرافيهم

كما ان من المألوف تصوير الموت وملاكه ـ عزرائيل ـ بيـده منجله الذى يحش ويقطع به رقاب العباد ، كما يحش نبات الملوخية :

حشيتهـم يـــا موت حش الملوخيـــة
الـلى بـــارم شنبه ليـــه على ليـــه
وهدومهـــم ع الغســـل مـــرميه ٠

★★★

والندابة هنا تعاهـد الدف او « الطار » الذى تضرب به ، قـائلة انها ستشترى له حنه وتحنيه ، اذا ما عاد بالميت الغالى ٠

انها ستظل تضرب بدفها الى ان يعود ، وستعمل من ضفيرتها معلاق له ـ الدف ـ ولن تلقى به أبدا :

---

(٣) استسلموا ٠

آحيه يا طارى
ان جبت الغالى
نشترى حنه ونحنيك
ونعمل قرنى لك معلاج •
ونعاهد ما نرميك •

★★★

وهن هنا يبكون الفلاح منشىء الشجر والحياة • ويصفونه بانه شجاع غير هياب ، يضرب بسلاحه الذى هو نبوته فى خضم العتمة الضارية :

يــا خسارة الفلاح نشاى الصجر
يضرب بالنبوت فى العتمة الضكر

والميت الرجل هو عمود البيت :

يا عمود البيت •
يا ضى القمر

فتقال البكائيات •• أى « أى الندب » حزنا على الميت ••

وهناك نساء محترفات ، يقمن بهذه العملية نظر أجور يدفعها أهل المتوفى •

ومن التقاليد المعروفة فى بلادنا ، ان جنازات النساء المتشحات بالسواد ، من أهل الميت ، تمضى تطوف الشوارع والحوارى ، تتقدمهن « الندابة » المحترفة والغرض من هذا هو « اعلان » حزنهم الشديد على الميت • حتى يعرف الكل ان له أهل « وناس باكيين عليه •• » •

وفى البكائية القادمة التى تصور حوارا ، مغلقا فى الحزن بين ميت وأمه •

ففى رد الميت عليها ، تتمثل رغبة الانسان الجارفة وموقفه من الموت ، حين يقول :

أشم الهوا وأغير الملبوس

ويبدو وكأنه يناضل الموت •• يصرخ •• ويولول •• ويستغيث ثم حين تتمنى هى ان تتحول الى سحليه ، لكى تراه ، وتمسح جبينه كل صبحية •

الأم :

عيان .. يا عيان　　أنا بسندك ، وقلبى عليك تعبان
يا عيان هات ايدك　　أنا قلبى وجعنى من كتر تنهيدك
يا عيان هات اديك　　أنا قلبى وجعنى وأنا بطل عليك

عيان ولو مده　　وآخر العيا ورد على العطبه
عيان ولو زمان　　وآخر العيا ورد على لكفان

القبر ضيق ولا يسيع طوله
ولا يسيع رفقه يخشوله
القبر ضيق ولا يسيع رجليه
ولا يسيع رفقه تطل عليه

الميت :

يا عيزانى (٤) افتحيلى القبر بالدبله
أشم الهوا وأغير البدلبه
يا عيزانى افتحيلى القبر بالدبوس
أشم الهوا وأغير الملبوس

الأم :

يا مين يعملنى فى القبر سحليه
وامسح جبين الجدع فى كل صبحيه

★★★

والندابات طبقة محطمة تماما أصبحن يعاملن عبر ربع القرن الأخير فقط كالزانيات ، سواء بسواء ، ولك من حيث وضعهم الاجتماعى فى أريافنا .

فالناس يكرهونهن ، وعلى الأخص الرجال ، ويحطون من عملهن ، ويقولون عنهن :

دول ملاعين .. جسمهم لن يعرض على جنه .

---

(٤) استخدم هذا النص د. لويس عوض ، من تصدير احد مقالاته النقدية حين عرض مسرحية توفيق الحكيم التجريدية « يا طالع الشجرة » .

وفى بعض الأحيان كانوا يضربوهن ، ولا يدخلوهن بيوتهم ·· ففى هذا فال سيء ·

ولهذا لم أتمكن من جمع شيء يذكر من « الندب » لصعوبة الاتصال بالندابات من جهة ، ولخوفهن الشديد ، الذى يصل الى حد الرعب والانكار ، على طول الخط ·· من جهة !

ومما يؤكد ذلك الخوف ، ان الحكومات المحلية فى الأرياف ، تطارد الندابات وتفرق جنازات النساء ·

وهناك قصص كثيرة ، تتحدث عن الندابات ، وما كتب عليهن · فالناس مؤمنون بأن « الندابات والغوازى والعاهرات » مكتوب عليهن أن يولدوا ليؤدوا هذه الأعمال المخزية ·

★★★

ومن القصص الطريفة التى تدور حول الندب والندابات · يقال ان جنازة من جنازات النساء ، التى تسير وتلف البلد ·· كما هى العادة ·· كان فيها اثنان من الندابات ، واحدة اسمها « شمس » والثانية تدعى « هدوه » ·

ومن عادة أهل الميت ان يكرموا العطاء للندابات · فجاءت ابنة المتوفاة، برطلين أو ثلاثة من اللحم « لحم السده » ، وغمزت بهم شمس ·· فأخذت شمس اللحم ، ولفته ، لكن « هدوه » لمحتها ، فمضت تلطم وجهها ، وتقول :

وده أيه يا أختى اللى بتلفيه ·
وده أيه يا أختى اللى بتلفلفيه ·

فأجابتها شمس « مطمئنة » ، الى انها ستعطيها نصيبها · مولولة نادبة :

دا نايب يا أختى ، وليك النص فيه !

وصرخت النساء ، فى حرقة :

يالهوى ·

★★★

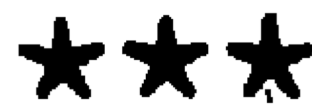
وحتى سنوات قريبة ،كانت تمتلأ قرى مصر وأريافها بالاضافة الى المجتمعات البدوية العربية ، بهؤلاء الندابات المحترفات ، وكان البكاء الجماعى والنواح ، تسبقه جنازات نسائية راقصة ، تصل الى بضعة مئات النساء المتشحات بالسواد والنيلة ، يطفن شوارع البلدة ودروبها ، حول الندابة ـ الأم ـ المحترفة ، وهن يرقصن رقصات جماعية جنائزية ، محددة الايقاع ، يطلقون عليها رقصات « الأسمية » فكن يدرن على أقدامهن وهن فى شكل دائرة محيطة بالندابات يلطمن خدودهن راقصات مغنيات ، على ايقاعات الدفوف الخشنة العنيفة ·

ويذكر فريزر أن ما تبقى الى أيامنا ، من كلمات وتشبيهات شائعة عن الميت فى مصر ، هى بذاتها ما تبقت متواترة من ندب ايزيس ، وأختها الربة الندابة المحترفة « نفتيس » على الاغتيال الموسمى السنوى لاوزيريس ، من جانب قاتله ومغتصب عرشه ،الست أو ستخ أو طيفون ·

ويرجع يورى سوكولوف (٥) ، المواسم والبكائيات الجنائزية ، الى عصور موغلة فى القدم ـ فيما قبل القبائلية ، كاشفا النقاب عن ازدواجية الموقف من المتوفى من خلال ممارسة طقوس الدفن والجناز · بما يشير الى الخوف من الميت وحاجة الأحياء لحماية أنفسهم منه عن طريق المبالغة فى الاغراق فى الأكل الجماعى ، عقب الدفن ، المعروف بالسدة ، والاشادة بفضائل الميت ومناشدته بطلب العون ، مثلما يتضح من بكائياتنا ونصوصها التالية « يا سبعى ، يا جملى ، هات ايدك ، يا عمود البيت · يا ضى القمر ، ها أنت مسافر ـ أو غائب ـ وتاركنا يتامى » ـ وهكذا ·

كما أشار الى ما بها من تكرار ، بل وعبارات هزلية لا تتفق ومراسم الجنازات ·

وأشاد بقدرة الندابات المحترفات ، ومدى ما بها من طاقات شعرية ، وكيف ان شاعرا مرموقا مثل « نيكروسوف » قد استفاد من احدى المعددات فى قصيدته « من يحيا سعيدا فى الروسيا » ·



ولم يصادفنى طيلة جمعى ، بكائيات أو عديد ، من ذلك النوع الذى عادة ما يصاحب الرحيل الى الجندية ـ أو الجهادية ـ والحرب ومعاداتها وتكثيف مثل هذه النصوص للأوضاع الاجتماعية والحياتية ·

---

(٥) دراسات فى الفولكلور ـ الفولكلور الروسى ـ عبد الحميد حواس ص ٨٧ ·

لكن صادفني خلال تعاملي مع التدابات المحترفات ، والهاويات أو الغاويات الظروف أو المراثي التي تقال حسب ـ حالة ـ الميت وعمره ، سواء أكان ولدا لم يبلغ ، أو أنه بلغ ، تزوج أو لم يتزوج ، وكذا ما يتصل بالمسجوعات في حالة موت أب أو أم ، أو شيخ ، أو ولي أو نسان ـ سلطوي ـ عالي الهامة •

كذلك تتدخل ظروف الوفاة ، متطلبة بكائيات بعينها فالوفاة الطبيعية ، تخالف الموت في حوادث ، كالحريق ، والاغتيال ، والأخذ بالثأر ، والكوارث القدرية •

وأكثر هذه الظروف والملابسات الفاجعة تتمثل في موت الشبان والشابات ـ البالغين ـ قبل زواجهم ، حيث تجرى مراسم جنازاتهم « بالمزيكة الحزايني » وأحيانا بجوقة ندابات ، تشتعل البلبلة حزنا ودموع لأيام •

ولا تختلف مراسم الجنازات في مصر ، كثيرا عنها سواء في المشرق العربي أو مغربه •

كما يتضح جليا في هذا الانموذج ، لبكائية يمكن أن نحصل على نصوصها في فلسطين وبيروت والشام بعامة :

يومك يابو فلان ما تعشينا
كبينا العجاين من بواطينا
على شيخنا لنطيح ع بيروت
نطلعها سمعة ونقدم البيوت
على شيخنا لنطيح ع الشام
نطلعها سمعة ونقدم الخيام

★★★

والخلاصة انه في حالة اخذنا بنظرية عالم الفولكلور الفرنسي « فان جنب » ، بالنسبة لطقوس أو شعائر التفرق المصاحبة للموت ، وحاجة الأحياء من أهل الميت وذويه الى الأمن ، بازاء روح ـ الميت واسترضائه بالبكاء والأشعار الجنائزية والأصوات العالية بعامة •

المـــراجع

١ ـ محمد قنديل البقلى ـ وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام (الأنجلو المصرية ـ القاهرة) ص ١٨٨ ٠

٢ ـ نمر سرحان : أغانينا الشعبية في الضفة الغربية من الأردن (عمان ١٩٦٨) ص ١٩٠ ٠

٣ ـ شوقى عبد الحكيم ـ أدب الفلاحين ـ القاهرة ١٩٥٧ ٠

٤ ـ محمد المرزوقى : الأدب الشعبى فى تونس (الدار التونسية للنشر) سنة ١٩٦٧ ٠

٥ ـ يسرى جوهرية عرنيطة : الفنون الشعبية فى فلسطين ـ مركز الأبحاث الفلسطينية ١٩٦٨ ص ١١٩ ٠

٦ ـ المرزوقى : الأدب الشعبى فى تونس ٠

٧ ـ أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية (القاهرة ١٩٥١) ص ٣٧٣ ٠

- ٩ -

أغاني التخمير الصوفية ·· والمخاواة

ورغم ان الكثير من النصوص والمـأثورات التي يضمهـا هذا الكتاب الانطباعي عن آدابنا الفولكلورية ما بين بكائيات ، ومواويل خضراء ، وأغاني مسرح الأفصال قد أكون جمعتها من أفواه حملة هذا التراث المتوارث منذ ما قبل الثـلاثين عامـا الأخيرة وظلت حبيسة لدى ، آتحين فـرص حفظها بالنشر ·

برغم ان معظم هذه النصوص قد لحقتها أيـدى النسيان والاندثار ، ذلك اني لحقتها بالجمع والتدوين آنـذاك ، قبل ان يتعـاظم دور الأجهزة الثقافية الاليكترونية ، وأخصها هنا الترانزستور ، كوسائل ثقافية بديلة لابد وأن تضعف وتذوى سابقتها ، ربما الى حد التلاشي شبه الكامل ·

ان حلقات ومسلسلات رواة السير والملاحـم الشـعبية · وشهرتهم الطاغية بازاء مسلسلات الراديو والتليفزيون ، حتى داخل رقعـة فلاحينا الأميين ، منذ تلك الحقبة ــ القريبة ــ على أيامنا ــ المعاصرة ــ هذه ·

ولقد ساعدني بالفعل عدم الاكتفاء بالجمع الميداني ــ البارد ــ الذى لايسمح لي بالتدخل،ولو باعادة الصياغة اللغوية ، بل الاهتمام أيضا بتدوين الملاحظات على رواة المأثورات ذاتهم ، من ندابين ومداحين وحكواتية ومغنيين وممثلين شعبيين ، بتسجيل أبرز ملاحظات عنهم وعنهن ، الأسماء ، الأعمار ، العمل أو الكار ، علاقتهم بما يحملونه من مأثورات ·

من ذلك مثلا كيف ان من يتعرض لان يؤدى ، دور شخصية شريرة ، كالبين ، أو الزوجة الخائنة التي تدفع زوجها الى العماء والقهر ، كما هو الحال مع زوجة « القائد الأعمى » ، يتعرضون لسخط الجمهور ومحاولات الاعتداء الجسدى عليهم بالضرب والافتراس من جانب الجمهور المشارك ، الذى تستفزه أفعال البين ، والمرأة ــ الحية ــ وكل أفعال سالبة أو شريرة ·

وكيف ان راوى حكايات خرافية دأب معى كل مساء أزوره ــ عقب صلاة العشاء ــ على قص حكايات ومأثورات ، تتغنى وتعلى من كل قيم المرأة المحبة الوفية ، حتى فى غياب زوجها عنها مواسم وسنين طويلة ، حيث انه يمتهن ويعمل مسامرا للملوك فى أرض الشام ، حين أعطته زوجته قبل سفره وردة بيضاء نضرة ــ تابو ــ لا تذبل وتموت الا فى حالة خيانتها له ، بالاضطجاع ومجامعة رجل آخر ، غير زوجها مسامر الملوك المحب .

وكنت أربط بين الراوى الكهل ، وبين زوجته الحضرية اللدنة المفرطة الجمال والاثارة ، وهى الى جانبنا تصنع لنا الشاى أدوارا أثر أدوار ، فى ساعات جمعى لمأثوراته وأشعاره التى تصب بكاملها فى منحنى متوحد المغزى هو وفاء الزوجة .

والأمر هنا ليس بشاق ، طالما ان الراوى ذاته ، يعمل فى تجارة الحصر والمنتجات الخوصية ، بالعاصمة البعيدة عن بلدته وحيث لا توجد زوجته الحسناء الشابة ، ويتغيب عنها بالشهور .

كذلك من ملاحظاتى على الآداب الدينية والشعائرية ، وجمهورها من الخرفيين بأكثر من الفلاحين ، المرتبطين بالأرض والزرع ، بل ان من العمال الزراعيين والأجراء والمغشوهين والصبيع ، من يتخذ طريقه مباشرة الى بحار الدروشة والاغراق فى الطرق الصوفية ، وحلقات الاذكار ، والأوراد ، والزار ، وجلسات التخمير ، والمخاواة .

بما يمكن إن يشكل أحد ظواهر الشعائر ــ أو الطقوس ــ الهامشية الأقرب الى ن تصبح شعائر تجميع ، تنتهى بالقطع الى مدلولات سياسية .

وكيف ان المصابين بأمراض عشق المخاواة ، أو الأنسى بالجنية ، يفرطون فى الميل الى حفظ الأغانى والمأثورات والأهازيج الدينية التى تعرف بأغانى التخمير ــ ويلاحظ الاشتقاق اللغوى وعلاقته بالخمر ــ وانهم عادة ما يقيمون فرادى أو عزاب فى أماكن مظلمة أو لم تدخلها الكهرباء بعد . مع ملاحظة ان المخاواة ليست بقاصرة تماما على الشخص الأعزب بل هى تلاحق أيضا المتزوجين ، وعادة ما تسبب فى الطلاق والانفصال أو فى نشوب ذلك الصراع ، بين كلا الجنية والانسية ، أو الزوجة المخاوية ساكنة تحت الأرض أو أعماق البحار ــ وضرتها البشرية ــ الفعلية الواقعية ــ فى الطبيعة .

بل وفى ملف المحاكم الشرعية ، آلاف الحالات التى يرد فيها ذكر الزوجة الجنية ، المخوية ، باسمها وسماتها ، وينشب الصراع الضارى .

كما ان من سمات المصابين بهذا العشق الانسى للجنية ، ارتباطهم أكثر بما يسود من غيبيات في مجتمع أمي جبرى ، فهم لا يبعدون كثيرا عن جماهير الاذكار والطرق الصوفية ، وحفلات الزار ، ومنشدي دلائل الخيرات ، والأوراد في شكل كورس يرددون غناء جماعي ديني أو شعائرى محيطين بنعش المتوفى ، ويشير كثرة أعدادهم بملابسهم ـ الفقهية ـ واتساع شهرتهم وأصواتهم ، كصيبيتة أو منشدين ، الى مهابته ـ الميت ـ ومركزه الاجتماعي ، وعلو شأنه بل وخوف الأحياء أنفسهم ، من سطوة الميت وتهجمه على الأحياء ، عبر لحظات متوترة مصاحبة لخروج تابوت الميت أو نعشه ، وتخطيه لعتبة داره ، والطواف به على طول الطريق المؤدى الى المقبرة حيث قد تتعرج هذه الطرقات ، تبعا لزيارات الميت ، وما يبديه لحملة جثمانه الأربعة ، من كرامات وقدرات ، تتضاعف تبعا لسطوته بين أقرانه من الأحياء ، وعلى مستويات عدة ، من مادية اجتماعية ، وشعائرية أو دينية ، كأن يكون مريد طريقة ، أو ولى ، أو شقي أقرب الى ما يعرف بالأبضاى ٠

فتبعا لما أسماه الفولكلورى الاثنوجرافى الفرنسى « فان جنب » ، بشعائر الانفصال ، أو الغياب ـ بالموت والأسفار ـ تشتد حاجة الأحياء الى الحماية ـ لحظة الجنازة والدفن سواء باحداث الايقاعات والتراتيل الدينية ، والأصوت العالية الجماعية أو اطلاق الأعيرة النارية ، التى هدفها اضفاء أكبر قدر من التحمل والالتئام والهلع من جانب الأحياء ، بازاء الميت ، كلما علت هامته ٠

وعادة ما يعقدون حلقات انشادهم ، فى المقابر والاحتفالات الموسمية الدينية ، وطرق تغسيل الموتى ، وأساليب الدفن والتلقين ، وما يجب أن يرد به الميت ثابتا ، في مواجهة محكمته أو محاكمته حين يزوره الملكين ليستجوبانه في قبره عن ربه ودينه ، وكاره وذنوبه ، وتوبته ، وربما الطريقة التي كان ينتمي اليها ، وأى عهد أخذ ، وعلى من من الأولياء ، وشيوخ السجادة من أوليائه ٠. بل ويصل الأمر الى حد الاشارة والانقاذ من جانب الملقنين للتحايل على الذنوب والخطايا ٠

كما انهم يتواجدون بسورهم ـ المنشدين ـ داخل مجاريب المساجد وأماكن العبادة ويكثر تواجدهم وسمرهم وغنائهم الذى امتد الى أجهزة الاعلام الاليكترونى من راديو وتليفزيون ، فى شهر رمضان ٠ وما تزال لسوريا والأردن الصدارة فى هذا اللون الانشادي ٠

وبالمقابل يحتفى بهم الى حد كبير حتى أيامنا ، فى المغرب العربى وتونس ويصل بعض حفظة هذه التراتيل الغنائية ـ الكورالية ـ الى أقصى

درجات الشهرة والهيمنة والقدرات الصوتية فى السعودية وتونس ، فهم عادة ما يتغنون ـ طبعا ـ بجمال النبى ، الجسدى ومعجزاته :

من معجزات النبى بـاض اليمـام على العـز
والـــورد فتــح كرامــه للنبى المختــار
وأبـو حـلاوة ينـادى كل دار بـسـدار
من كان ضمينـة النبى لم شق جسمه نـار

★★★

يـالى أنت عيـان مـالكشى مش ويانـا
قـوم حـوش مطايـاك لا تعـدى مطايانـا
وسر تربـة نبى زيـن بعيـون كحـلانا
مـامزين الـركب الا بـكرتى واااتـه

★★★

السيد (١) اللى من الشـباك مـد ايـده
من بـلاد الكفر جـاب الأسير بحديـده
فى أول الليـل يقـرا الـورد ويعيـده
وفى آخـر الليـل يسلم ع النبى بايـده

★★★

فـز العليـل من منامـه مالقيش حـد جنبه
مابـو جروحو ومـابو طفـل سهـران بـه
دا كان معـاه مال على طـول الزمـان كالبـو
مابو جروحـاتو ومـابو الطفـل سهـران بـه

★★★

ها هو مريد الطريقة ، يستجيب لندائها ، متوسلا ومقسما ، لكن بمن بسر تربة « نبى طيبة » .

يالى ناديتونى أدينى جيت
وسر تربـة لبى طيبـة
والحرم والبيت

---

(١) السيد البدوى .. من رؤوس الش..لية .

تنخـــلى نفسك معانـــا
ان رحـــت والا جـــيت

★★★

دخـل العريس ع العـروسة
اســتعجبم يــا نــاس
حملت العروسة من العريس
اســتعجبم يــا نــاس
لقــوا العـروسة الجلالـة
والعـريس كلمـة الاخـلاص

★★★

ويلاحظ توحـد ـ الله ـ أو الجلالـة بالعروسة الأنثى ، فى المأثور السالف : « لقوا العروسه الجلاله » .

وكثيرا ما تفرط مثل هذه المأثورات فى كيف أن كثيرا من القتلة وقطاع الطرق واللصوص ، قد أصبحوا بين عشية وما يعقبها من مريدى الطريقة وجلساء الأنبياء والأولياء ، كذلك فهناك أناس لصوص ونشالين يفتحون ويقتحمون ويتهجمون على المنازل ، والناس عنهم غفلانين ، ورغم ذلك يحرسهم الأنبياء والأولياء ، بل ولهم فى الجنة آلاف الأفدنة :

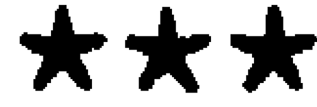
قـولى على نـاس حـرامية ونـاس نشـالين
يقتحمـوا فى الضبب والنـاس غفـلانين
ان كنت ولـد شاطر ، تعرف الألف من الميم
هـات لى خبـر دول واللى حارسهـم مـين
حارسهم الخضر والياس ومرسى أبو العبـاس
و ف جنـة الخلد قاسو للهم الرجال فـدادين

★★★

ياجى غاوى الطريق ايش عليـك م النـاس
عمـك شديـد العــزايم يعرفوه النـاس

★★★

خطر النبى الـزين فى وادى اليمـن جمعـه
ولربعـة الـلى اصطفاهـم ربنـا جمعـا
قاللـو تعـالا يـا على صليبنـا الجمعـة
مـا سجد على والصحابـة ساجـدين وراه
ياما أسـلمت كهنـه على يـد النبى جمعـا



وتصاحب الأناشيد الدينية دقات الدفـوف العنيفة ، أو « الطار » ، ويهتز على وقعها الرجال ، ذات اليمين ٠٠ وذات اليسار ، كما فى حالات الاذكار وجلسـات التحضير والتخمير والزار ، وانشاد وتـلاوة النصوص الشعائرية بعامة ٠

يقف واحد أمام الصف ٠٠ أو السطر ، كما يدعونه ويأخذ فى الانشاد، والترتيل ، وأحيانا ما يكون ممسكا بعصا من الحديد ، أو النحاس وسبحة كهرمان ، يوقـع كلامه بطرق السبحة بالعصا ، والملفت ان هذه العمليـة البسيطة تحدث الحانا وايقاعات جيدة ٠

وغالبـا ما يـكون مع المنشد صبيين صـوتهما جميل ليقوما بـدور الكورس ، فيرددان مقاطع النشيد ٠

وأغلب الأناشيد الدينية ، تتحدث كلها عن النبى ٠٠ وسيرته وبهائه ومعجزاته وأقاربه وكل ما اتصل به من بعيد أو قريب ٠

وأحيانا ما تصفه الأغنية أو صافا ملفتة مثل : بعيون كحيلة ، وخـد النبى نور :

ليـه يـاولاد النبى تهجـرونى ، وأنـا الغـالى
وترخصـوا السـعر وتنـادوا الـدلالى
كنتـوا اعلمـونى ٠ وأنـا لسـه على حـالى
دلال دلـل عليـه ، واعـلم الشـارى
دا القـول على عبـد سيـده باعـه
ولا هوش بالخبر دارى
دارى على بلوتـك يـاللى ابتلـيت دارى
ليشيـع خبـرك ، ويبقـا بـو العـزول دارى
مـا فقت من منـامى ، لمـا لقيت روحى مـع
الدلال والشارى

دخلت ديوان الامـارة ٠٠ يـا أم هـاشم
يسأل على حالى ٠٠
لقيت عـروس القيامة هنـاك بالقـدح مـالى
خمـار أتى فى الـدجى بالليـل وأنـا مـالى
محبكم عبـدكم ، تهجروه ليـه ٠٠ من غير عيب
هوا ماله ؟
وان كان عاب عيبه يا كرام الحى سامحوله
واتلطفـوا ولـو بالعـين نظرا لـه
وان كان عيان « يا أم هشام » ابعتيلو مطيـة
تنقل أحماله

★★★

مثل تعدد أوصاف النبى ، كالآتى :

يـالى رأيتـوا النبى ٠٠ وازى وصفاتـه
وكيف عـلم النبوة بـين كتافاتـه
أنا بامـدح اللى ولدتـه آمنـة وبصت ليـه
كـامل مكمـل ، وعـلامة النبـوة فيـه
خدى حبيبى يـا حليمة ، وضنايا ونور عينى
خدى النبى غطيه ٠٠
واوعى يـا حليمة من عيون الحاسدين تورية
ازاى نور النبى اوريـه ، وأنـا اللى قصـدى
ومرادى ٠٠ وشوقى فيـة
وحـق من أوجـد علامـة النبوة فيـة
أنـا بروحى ٠٠ وجسمى ٠٠ ومالى ٠٠ وأولادى
للنبى أفديه

وعادة ما يرد ذكر المرضعـة « حليمة » فى هذه المأثـورات الطقسية بكثرة :

قالت حليمـة : أنـا شـفت النبى فى النـوم
بعيون كحيلـة وخـدود نداهـا عـوم
كشفت حليمـة على خـد النبى نـور
لقيت عمـود نـور لسـابع سـما نـور

فرحت حليمة وقالت :
آدى اللى عليه الناس بتدور
ولولاك يا زين ، ما كان القمر نور
دى آمنة أم النبى تقول :
يا حليمة خدى النبى وأوعيه
اسقيه لبن الرضاعة يا حليمة
أوعى تفرطى فيه .
واحنا الجماعة ، كلنا أمة النبى
يوم القيامة تلنا الشفاعة بيه

★★★

« قصيدة طويلة فى مدح النبى »

مرادى وقصدى ، واعتقادى ونيتى
فى مدح رسول الله خير البرية
نبيا رأته الشمس حسنا تعجبت
ومسكنه الفردوس أشرف جنة
نبينا رأته الشمس حسنا تعجبت
قالت له : أنت من أنهو قبيلة ؟
فقال لها : ربى من النور سقانى
قالت له الشمس : يا حبيبى ، أنت مرادى وبغيتى
قال : مالاسم يا حبيبى . قال : محمد
شفيا لمن صلى عليه وسلم
دا آدم من نور ، وفى الأصل طينة
هنيئا لعين شهدت أرض مكة
وطافت ببيت الله . سبع ولبت
وفى حجر اسماعيل صلت ركعت
وفى زمزم اتزمزمت وأنعمت
على عرفات يجمع الله شملنا
أقمنا ثلاث أيام على منى
ورابع يوم أمرنا برجعة
ودخلت من بيت السلام مسلما
على المصطفى الهادى ونفرح بالبشرى

قول جيت لك يا رسول الله قاصدا
تكن لى شفيعا يا أجل الورى كرما
مقامك محمود وأنت محمد
رب العطا عطاك حوضا وكوثرا
ندرن عليه ان وصلت ولبيت لمقام النبى (١)
لأفرغ الخدين على لعتاب

وأقول : « يا عين ·· يا عين ·· يا ·· عين · عين عين »
السلام عليكم، والمنام حرام،ومن فارق الأحباب كيف ينام
والله ما كان الفراق بخاطرى
لكن هذه حكمة الأيام
تغربت فى الدنيا ، وطالت غربتى
يا حزنى على الدنيا ، لموت غريبا
لكن يا قلبى لا تحزن ولا تخف ··
لأن حبيب الله مات غريبا
الشمس تطلع كل يوم وتغيب
والليل يجمع كل شمل حبيب
ويكون شيال نعشى أخويا ابن والدى
يبكى بدمع العين دم صديد ·· « مدد··مدد ·· »

★★★

اغانى ـ تخمير ـ دينية

عروسة السهران من على الأدنات بتلالى
تقول صجر رمانى طاب فى الجنة
صجر رمانى طاب يا عاشق الزين تعالالى
وحياة جمال النبى أبو مقام غالى
ما يقطف الزهر فى الجنة الا التايب الغالى

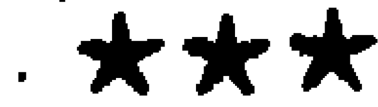
★★★

عروسة النوام بتيجى بالليل وتقولو
أنت عطيت أيه ، تنام الليل دا كله
وحياة نبى زين يفك الكرب ويحله
ما شفت نوام يجيله الخير لمحله

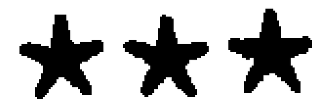
★★★

(١) أى لبى النداء ·

عـروسة النـوام ماسـكه الطـار ببجناحـه
تقـول حبيبى تبـع النـوم والراحـة
طـفى سراجى ، وأدى المصابيـح فضاحـه
مـا شـفت نـوام ينـول الخير بالراحـة



يا عم يالى أنت عيان ، وعاوز يطيب بلاك (*)
اسعى على ركب نور النبى ، قبـل ما يسير الرجال بلاك (١)
والقطب عـالم مهوش راضى يسير بـلاك
نـادتك على الربعـة ، يـالى أنت لهـم محتاج
أربـع سـلاطين ودول لابسـين التـاج
انـا نـاديت يـا زفاعى يـا بخرها اللجاج
قزع الدسـوقى ، وإبا صـالح ، وأبا فـراج
وحيـاة جمـال النبى كلتنـا ع البـاب



بكت المسـاجد وقالت راحـوا فين جلاسـانا
لمـا المصـلى قعـد فى البيت وناسانـا
دا الراجـل الـلى يقيـم الليـل بهسانـه
ما داخلشى النار ولا تانه ..



يقول جمهور الأغانى الدينية ، ان التوحيد والتخمير يحبه الجن ، وأن ما يحرك الانسان ، ويجعله يتلوى « حضور العفريت .. أو الجنى ، اللى عليه » .. هو جمال الصوت .. وخصوبته .. وعمقه . وتقال أغلب تلك الأغانى مصحوبة بدقات الدفوف المجنونة . ويرقص على دقاتها « من عليهم أسياد من الجن » .

(*) داءك أو مصيبتك .
(١) أى من قبلك .

وعندما استمعت الى تلك الأغانى ، عند مصادرها أى عندما يغنيها أصحابها • أحسست بأنها تهز أعصاب المرء فعلا ، فهى تلحن بطريقة قوية والرجل الذى كان يقولها ، وهو شيخ عجوز ، له لحية بيضاء ، ويرتدى « أبيض فى أبيض » وعندما سألته عن سبب هذا قال :

أصل الأسياد ، وولاد الجن ، بيحبوا اللون الأبيض ! •

★★★

يـنـا قطب جينـنـا الحما ننظـر كراماتك
يـا قطب دا احنـا رعيـه من رعياتك
واذا كنا تلفنـا بشايـع من بضاعاتك
الذنب يغفـر ، ويبـقى الصـفح عاداتـك

★ ★ ★

الراجـل الـلى على اللوح مطـروح
يقـول للـروح واقفـه ليـه مطـروح
وحياة نبى زين
راحـت لـه النـاس مشروحى

وفى الأغنية الدينية التالية ، يتضح مدى التداخل ، ويمكن القول التوارث ما بين التراثين ، القبطى المسيحى ، والاسلامى ذلك ان الأغنية هنا تتبدى كحوار بين ــ المريد ــ وبين تلك الرمز للآلهة الانثى ، التى يتغنون بها مرة ، تحت اسم أو شعار أو رمز « عروسة الزار » وعروسة السهران ، وليلى أو الليليث أو حواء الأولى ، ومرة كما يتضح من النص التالى ــ يدعونها بحنونة بنت سمعان ، التى بيدها مفاتيح الأديرة ، والمعنات أو الحكمة •

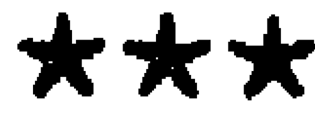
وينتهى الحوار بين المريد ، وحنونة بنت سمعان ، باعلان المريد بأنه عاشق للنبى صاحب العلمات :

مضى شبابى ولاح فجرى وليـل فـات
والعمر منى انقضى ، حتى الشباب آهـو فات
أنا ان عشت متين سنة ، أو الف أو الفـات •
لا بـد عن الموت واتعـاقب على اللى فـات
مـالك بفعـل المعـاصى يـالى شبابك فـات
دا القبر ضيـق وفيـه ملكين كالآفـات
وانا لدنى أدندن بكى يا جلالة لما يقولوا مات

وارقص على ذكرها واسأل بها العلامات
واشرب مدام كرقفى من نور عين الذات
يا بنت سمعان يا حنونة خشى الدير جنانات
وافتحى باب الدير وفرجينى على المعنات
وافتحى باب الدير ، وفرجينى على السادات
قالت حنونة بنت سمعان :
وأنت فين يالى تنادى فى دجى الليالى
على القدمات ؟
قلتلها : أنا مغرم وعاشق فى النبى صاحب‌العلمات



أقدام حبيبى من قيام الليل وارمة
وبطن النبى ما حوت غل ولا دغلا ؟
فم النبى كالسكر الحليان ..
دا السكر انطرب ، قالوا الرجال يا سلام
ما توبه الا بعد معصية يا اخوان
اللى عشق النبى عدى على الجنة
مدح فى جمال النبى ما توحدوه يا اخوان ؟



والأغاني الدينية ، لا تتعدى الحديث عن الضعف الانسانى . وحاجة المخلوق الى الخالق . ثم تربط كل هذا « بالخير والراحة » التى ينشدهما الانسان فى نهاية المطاف .. فى الجنة ! .

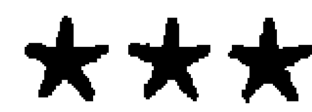
وهى فى سبيل ذلك ، تسترحم الأقطاب الأربعة .. والأولياء وكل المقربين من الله .

فهى طريقة من طرق التغيير ، والتقرب من الله .. لدخول الجنة .

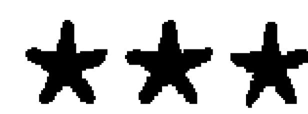
وفى أغانى المديح ، والأناشيد الدينية ، تنشط « الميثولجيا » ، لتصور النبى « اللى تسلم عليه الشمس كل صباح » .. وقالت له .. يا حبيبى أنت مرادى وبغيتى .. واللى عشق النبى عدى على الجنة .. حيث « شجر الرمان » .. والتفاح وعتبة الديوان من ذهب . وحيث الراحة الطويلة ، تلك التى ينشدها الانسان .



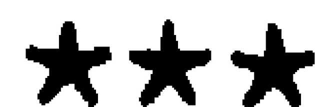
مر النبى يوم ع المبالى ، عطى لكل جرح دواه
فيه من نظر لـه النبى شفى وفيه من نظر له تـاه
وفيــه من الـلى اتــوسم بنـور المصطفى
وفيـه من عمـل حشيش الجبـال مـأواه
ولـد نـادى عمـه ، وعمـه من بعيـد نـاداه
قالو : كنت فين يا مريد النبى ، يالى عليك بنداه ؟
قالو : طفنا الجبال يا بدوى والمطرح المخيف رضاه
سرح مسارح بعيدة ، لكن صانعـه القـديم لم تاه
وزرنـا الحَـرم والبيت ، وجبنـا ورد
من على خـد طـه النبى بنـداه



لما جرحتنى يـا ليل ، فتينى هناك عيـان على مين ؟
بكرة تـأتى سفينة ، تـربط هنـاك ع المين
يبقى الحرب فى البهنسة ، وأهل الحجاز عالمين
ولمـا دعانـا الغـرام فتنـا الوطن وبلينـا
ولمـا قابلنـا النبى ردت أرواحنـا فينـا
قعدنـا نريـح البـدن ، بـان التعب لينـا
الله يعلـم بظاهرنـا وخافينـا



من العصر للعصر ، أنـا رأيت النـدى نـازل
على السـهارى ، وخـلى البـال فى النـازل
شجـر الجلالـة من التوحيـد بيتمايـل
اكمنـه لا قطعـة زنديـق ولا مايـل
ما اقطفه الا راجل سهرجى ..
يـوم العبـادة فى دجى الليـل هـايم
وف جنـة الخلـد لـو درجـات ومنـازل



يا أهل بيت النبى دا أنـا خدام فى واديكم
طمعـان فى نظـرة رضى ليـا العشم فيـكم

انتو رجال الحما طالت أياديكم
تاخدم بيد العيان اللى احتمى فيكم

★★★

ياللى نازل البحر حرص (٢)٠٠دا البحر دا فيه عين
عين الحقيقة عين ٠٠ وعين الشريعة عين
وعين اللى لا تراه العين

★★★

لما جالوك صدف ركب لوليه

وجال يا تجالى ، حرام يا مضاجع النوم
ما تنوم النبى جانى
طريق النبى نور فى نور ، ولين فى لين
وشبعانة من الأدب ، ولها خصور من اللولى
وعتبة الديوان من دهب
وجالها « حير صنجى » العناية ٠٠ ينادى
ويقول جاى يا تجالى
الأرض دى اللى كرسيها نور يتوجد فين ؟
انتوا خطرتوا بها يا عرب ، وألا نظر بالعين
أنا نزلت من عين ، وأرسلنى الاله من عين
ونزلت أوحد مهيمن لا تراه العين
فى الأصل هى عين ، ونبع م العين
تسعة وتسعين عين !
ولما شفت نور جمال النبى غرقت من همز رمزالعين
دا النبى بحر العلوم يا دلال
النبى يتكلم بشرح العلمين
علم الحقيقة ، وعلم الشريعة لتنين

★★★

---

(٢) أى احرص على نفسك ٠٠ وخذ حذرك .

وتقال الأناشيد الدينية فى الأذكار ، أما أغانى التخمير فتقال فى جلسات الارواح وهى المعروفة بجلسات « تحضير الأسياد والجن » •• والزار ، عند العامة ، فيطلقون على الجنى والعفريت « سيدى » •

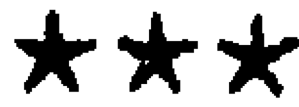
ولا يذكرون اسمه ، الا مسبوقا « بالله يجعلهم راضيين علينا » •

وهناك تقاليد طويلة ، تتبع مع أولاد الجن • فمثلا عندما يتعثر انسان فيسقط على الأرض ، لابد وأن يفاجأه من يراه بقوله «حوش اللى وقع منك» • وذلك لكى يربكه ، ويطرد عنه الخوف ، فمن الشائع « ان اللى يخاف من عفريت ، ينط يركبه » •

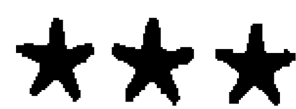
وعندما يلقى انسان بحجر على الأرض ، فعليه أن يسبق ذلك بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم » وذلك حتى لا يبطح جنى •• فيؤذيه الجنى • أو يركبه •



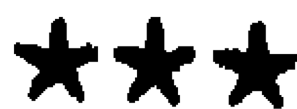
يالـــلى نـــاديتونى ، أدينـى جيـــت
وسر تربـــة نبـى طيبـــة والحـــرم والبيت
تخلى حسك معانا ان رحت والا جيت
دى ليـــلى دى ليـــلى دى ليـــلى



يـا عروسة الزار يـا عوام
يـا بنت الزار يـا عـــوام
قدامـــه حمـره وعيـــان
ست البحور يـا عوامـــة
تمشى ع الأرض بـلا عـلام
وتعوم فى الميه بلا علام
يـا بنت الـزار يـا عـوام
تمشى على الميـه بلا عـلام
يا بنت الزار غالية المقام ياعوام
يـا عروسة الزار يـا عوام



ناديتهـــم نـــادونى
عـــدوا البحـور وجـونى



الحلوة جيه جيه بتلعب ع الميه
يـا ما هم حلوين وجـونا

★★★

سـلاسل الموعظـة مرجـانها الاخـلاص
معنا عابد فى الجبل سـموه رجال النبى حرامى
يسرق بضايع الناس
صبح مجالس رجال إلنبى ويخدمـوا جنلن نـاس
دخل العريس ع العروسة استعجبم يا ناس
حملت العروسة من العريس استعجبم يا ناس
لقوا العروسة الجلالة والعريس كلمة « الاخلاص »

★★★

القـول على نـاس حراميـة ونـاس نشالين
يـالأام فى الضبب والنـاس غفـلانين
ان كنت ولـد فهلوى وتعرف الألف م الميم
هـاتى خبر دول اللى حـارسهم مين
حارسهم الخضر والياس ومرسى أبو العباس
وف جنـة الخلد قاسـولهم الرجال فـدادين

★★★

ليـلى عجبهـا النغـم صارت مغنيـة
عـرجة وتمشى على قبقـاب محنيـة
عوجـه وتنسـج محـارم للاوندبـه
أنـا قعـدت وراهـا أعقـد النيـه
صحت صبـلاتى وصـارت قبـلتى هيـه

★★★

ياجى غاوى الطريق وايش عليـك م الناس
عمك شديـد العـزايم يعرفوه النـاس

- ١٠ -

موال العشـق الخصيب الأخضر

ولعل أول ما يميز مواويل واغاني استكمال الدورة الثانيـة للحياة وشقها المتصل بالحب والتغنى بالجنس والزواج وانجاب الأطفال والاخصاب بعامة ، هو اغراقها اللا محدود المتمثل في الموال الأخضر ، في الاحتفاء بالحياة وجانبها الحياتي - البيولوجي - المعاش .

ومن هنا يمكن الاشارة الى الثنائية - بين الموالين الأحمر والأخضر - التى هى ملمح جوهرى - مثله مثل الدهرية والسلفية والغيبية - لتراثنا العربى ، والتى كما ذكرنا من المرجح إنها مؤثر - حضارى - آرى فارسى أو مجوسى .

فاذا كانت التوجهات والشكوى الجنائزية ، تصل الى أقصى مداها متمثلة لما سقناه - فى هذا الكتاب - من أمثلة مأثورية وأنماط صلية للموال الأحمر وما يدور في مجانه ورقعته ، فان نقيضه الأخضر يصل بالتالى الى أقصى مداه احتفاء بالحياة ، وشعائر تجميعها ، سواء بالزواج أو الاخصاب وانجاب الأطفال .

ولكل مناسبة وظاهرة وحـدث ونوع مواويله وأهازيجه وأغانيـه سواء أكان قائل المأثور من موال - أخضر - أو أغنية ، رجلا أم امرأة ، شاب أم عجوز . وفى كل الحالات يرجح بالفعل ، كما يذكر الاثنوجرافى الفرنسى « فان جنب » ، تواجد احدى حالات أو شعائر الانتقال ، الأقرب الى أن تكون ليست جوهرية - كالموت والميلاد - بل هامشية ، من ذلك ما يصاحب أغانى وصلوات الشكر فى الكنائس - كما يدخلها كراب - وطقوس انتقال الوليد من طور لما يعقبه ، مثل تخطية العتبة ، وحلق الشعر ، بدءا بشعر البطن ، والرأس ، والعانة ، والطهور .

وكذا الانتقالات المصاحبة للزواج ، من رغبة الشاب أو الشابة فى الزواج ، واللجوء فى هذا الى الموال الأخضر والأغـانى وتضمينها اشارات

يصعب كسر تابواتهسا ومحرماتها والافصاح عنها سواء اجاءت مباشرة أو متوارية ٠

وكذلك يمكن ادخال أغاني ومأثورات الحب والعشق ، ضمن دورة الانتقالات ــ الممهدة ــ لتجاوزه حالة ، والعبور لما بعدها ، سواء أكانت من العزوبية الى الخطوبة ، التي تكتمل دورتها بالدخلة والزواج ، أو من الزواج الى « الخلف » وانجاب الأطفــال ، ثم ــ توالى ــ دورة وشعائر مشية المصاحبة لانتقالات ــ الوليد بدوره ــ الى طور الصبا ٠

ومن المفيد ان نبدأ تعرفنـا على هذا المـوال ــ الخصيب ــ الأخضر ، والاستطراد فى تقديم النماذج المتنوعة المصاحبة لحالات عينية ، من التعبير عن رغبات دفينـة في الزواج ، وأوصــاف الحبيبة ، وفى أحيان هجرهـا وهجاءها ٠

كما سيتضح من نماذجه التالية المستفيضة التى ســنقدمها تمهيدا لاعادة التعرض بالدراسة لخصـائصها الظاهرية ، من طوطمية ، وبقايا طقوس العرس المختلط ، وأبنية قرابية قبلية ، وتابوات وهكذا ٠

العروسة

صـا طلعت فـوق السـطوح نـزلت عيـان
أبويا قالى أجيبلك الحكيم ، قلت الحكيم ربى:
قـالى أجيبـلك الطبيب ، قـلت الطبيب ربى
قـالى أجيبـلك العروسة يـا ليـل
قــــلتلو والله انشرح قـــــلبى

★★★

سيـد

الحب بحـر البلد ، وايش جـابو هنـا قبله
قاعد على الطاحونـة ، عامل الطاحونـة سبله (١)
كلام وأقـولك عليـه يـا خـال

---

(١) أى حجة يستتر وراءها ، وسبيل ٠

واسمع معناتو منى
من زوق حبيبى عطينى نقوطـــه على دبلـــه

★★★

برانى

يـــابو القميص الملس ، والغـــزل بـــرانى
مـــاشى تهـــز اليـــلك معجب وبـــرانى
صـــدر الحلينـــوه طـــرح ، والطـــرح بـــرانى
واديـــلى سنه حـــول يـــا جميـــل
وانـــــا حـــارس ولا زقتـــــوش
وتهمبـــونى فى محبتـــك والغـــزل بـــرانى

★★★

غيب يا قمر

غيب يـــا أقمـــر محبولى أخير منـــك (٢)
وأزهى من الشمس ، وأجمل يـــا قمـــر منك
مليش جـــلد أنظـــرك وأعـــد بعيـــد عنـــك
يـــا حسن يوسف ، يـــالى كل الدلال منـــك
من قبـــل مـــا بعرفـــك جـــانى الخبر عنـــك
انك ظـــريف المعـــانى وحـــلو فى سؤالك
غنى عن النـــاس ولا لش غنـــا عنـــك

★★★

سافـــر

فى أمس جانـــا خبر بـــأن الحبيب سافـــر
فى شهـــر يوليـــه ، يوافـــق اربعـــة صفـــر
على ضهـــر غليـــون ، والريس يقـــول سافـــر
أناوجفت (٣) مابى وقلت ياريس الغليوم حل لى بيهم

---

(٢) أحسن منك .
(٣) وقفت ملتاعا .

زعـــق وقـــالى قليـــل البخت من يومـك
حبـل الوداد انقطـع مليكشى عشـم سـاقـر

★★★

دمـوع المحبـة

ابويا زرع لى فـدان قصب رحت أشق عليـه لقيت بنت شيخ الغفر فيه
قلتلها ليـه كده يا بنت كسرتى (٤) عود وخـدتينى على وركى
أنـا لقيت السند والهند يـا بنت مـا لقيت دوا وركى
رحت لأبوهـا العزيز ، لفنى فى العبايـة وقعـد يبـكى
نزلت دموع المحبة خففت وركى

★★★

عوضنـــا على الله فى شغانـــا وتعبنـــا
والـــلى نحبـــه لاف للغير وتاعبنـــا
ياما جرينـا وراه فى كروم ونخيل وتاعبنـا
وكتير من النـــاس يقـول سيبـه وارتـــاح
أنـــا قـلت ازاى .أسيبـه أنـــا وأرتـــاح
وهـــو مـــلا جسـمى السـليم أجـــراح
مـــا نمت وصحيت لقيت نجـم الحبايب راح
مـــا راح شقانـــا على الأنـــدال وتاعبنـــا

★★★

عطونى بخت لقيته

أنا اللى توب الجفا لبسونى الدهر فى اديه (٥)
قلبى انشوى وانكوى ، وطال الشوق فى اديه
ووقفت محتـار وعقـلى انـــدار فى اديـــه
أنـــا كنت مبسوط فى حال الأصول يـــا عم
وكان لى الـــدلال على أهـــلى وجـــار بيتى

---

(٤) ضربته على وركه بعود القصب ٠

(٥) شكرا للصديق الشاعر المجدد الأستاذ فتحى عامر الذى عانى الكثير معى فى تصحيح هذه الأشعار المندثرة ــ (المؤلف) ٠

وكان معى طير فى بحار الغرام يا عم
م الصبح للعصر كان يصرخ فى باب بيتى
أنا مكنشى أملى م الدنيا النظر يا عم
ازاى انعس. وعين الغدر جار بيتى
أنا درت مع ناس لجل (٥) الوعد
بيتاجروا فى البخت عطونى بخت لفيته
وجبتلو حرير عال من الأبيض ولفيته
على ما اشتريته التقيته أسود فى اديه

★★★

سايق عليك النبى

سايق عليك النبى ان كنت باقينى (٦)
تضحك بسن الرضا ساعة تلاقينى
أنا الورد يا حلو، وأنت المساء بتروينى
ان غبت دبلتنى، وان جيت بتحيينى
وسر تربة نبى زين أحمد شهر (٧) دينه
ان كان غيرك قمر، ما تنظرو عينى

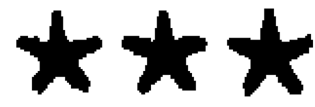
★★★

توفين على بيركم

أنغامكم، عند ما صاحت سمعناها
خذنا المطايا، عرفنا شرح معناها
لا نوم نمناه، ولا ملاه قطعناها
توفين (٨) على بيركم، توفين على ماها
وتوفين على أنا ان عدت أدوق ماها
دى برده من الصوف تغنى عن حرايركم
يااللى العبيد الجلب (٩)، جابولى أمايركم

(٥) لاجل الوعد، وما كتب على ٠
(٦) ان كنت مخلص فى حبك لى ٠
(٧) اشهر دينه ٠
(٨) تعبير يدل على الامتعاض والغضب والبصاق ٠
(٩) العبيد المجلوبين، الذين يبايعون ويشترون ٠

والمورده اللى عليها كل الكلاب تشرب
لحلف (١٠) يمينين ، عمرى لن أدوق ماها



خمسة

الناس لها حب واحد ، وأنا ليا فى البلد خمسة
آدى حب بحر البلد ، وآدى حب غربيها
وآدى حب شرق البلد ، وآدى حب قبليها
وحب وسط البلد ، يخسن تـوه فيها
الحب دا اللى بحر البلد ، اسمه سرى باليل
من عجب الجميل راسم على بطنه قنطرة لدوس
الجمال والخيل
والعاشق اللى ابتلى يبات يقول يا ليل
والحب دا اللى قبلى البلد ، سبحان خلاقه
فمه ينقط حلاوه ، يا بخت من داقه
لو جوز عيون سود ، يرفع دى ويرخى دى
مكتوب على كرسى خده ، يسرتى لعشاقه
والحب دا اللى شرقى البلد ، اسمه دهب كرسى
يمشى يهز اليلك (١١) خلى الفلك عسرى
ولو جوز عيون سود ، يرفع دى ويرخى دى
كاتب على شفته يا رب للمسلمين نصره
والحب دا اللى غرب البلد ، نزل يرود الغرب
يشبه لخيل الزناتة (١٢) يوم نزول الحرب
كاتب على شفته يا ربه فك الكرب
والحب دا اللى وسط البلدهواللى سقانىالعذابألوان
دا أصله زناوى حرامى مؤتمن .. خوان
أنا ان قولتلو صوم .. فطر وان قولتلوافطر .. صام
وان قلتلو نام سهر وان قلتلو اسهر نام
وان قلتلو عوم .. غطس وان قلتو اغطس .. عام

---

(١٠) لسوف اقسم باليمين .
(١١) بمعنى يختال ويهز جسده الجميل .
(١٢) أنه هنا يستشهد ببطله القحطانى سلطان تونس خليفة الزناتى فى حروبه ضد بنى هلال .

ودا كمان فيه خصلة رديه(١٣)هى اللى كرهتنى فيه
يخاف من الضفدعة ، ويحارب التعبان
الناس لها حب واحد • وأنا ليا فى البلد خمسة

وفى الموال السابق يتحدث قائله عن ان الناس لها حب واحد ، وهو له فى البلد خمسة حبيبات ، وهو يتحدث عنهن ، ويصف كل حبيبة منهن ، باوصاف طيبة • حلوة ، وان كان لها طعم ، فهو طعم الحب ••

وهو لم يكتب هذا الكلام على مكاتب ، بل تحس بانه يقوله أمام وجه الحياة •• وتحس بانه يمشي ودبيب أقدامه وايقاعها عبر الحوارى •• والحقول •• وجهات البلد الأربع ، يصنع لحنا رتيبا ، ينبض بالحياة •

والحب عنده ليس هو الحب بمعناه الأفلاطونى ، الروحى • بل ان تجاربه مستمدة من واقع حياته وحدود ارتباطه بالمرأة •

وزنى !!

يا بديعة فى الجمال طلى وانظرى وزنى
الفين من الدهب والزمرد ، يعجبك وزنى (١٤)
قالت انا فى عصمة جدع زوق •• زين
ماهوش معوزنى ، وخيبون (١٥) عليه
لما أبقى فى عصمته وأزنى
وان جيت من الباب ، الباب عليه بواب
وان جيت من الحيط ، السله واكعابك (١٦)
وان جيت من البحر ، يبقى التمساح أولا بك
قاللها ان جيت من الباب لخليها ضبب وألوان(١٧)
وان جيت من الحيط لخليها سداح مداح (١٨)
وان جيت من الجو لكسر للعقاب جناح

(١٣) عادة رديئة •
(١٤) وزنى هنا مشتقة من كلمة زنا •
(١٥) وعار عليه •
(١٦) عد من حيث أتيت •
(١٧) وان جئت من الباب لاحطمه الى ضبب والواح •
(١٨) اى انه سيهدمها •

وأخطى وأميل على صدر محبوبى وأتملى
واللى خلقنى ينجينى من التمساح

★★★

ومحرم

شعبان ورمضان وشهر العيد ومحرم
والنوم مخاصم سواد العين ومحرم
يا للعجب فى كاس عسل فى أيدى لكن عليه مر ، ومحرم ..
وصعبان عليه الجميل راقد ع الفراش تعبان
ورمش عينه وقلبه م البكا تعبان
حتى حبيبى اللى أحبه حرمنى دخول الدرب ومحرم

★★★

مقطع على راسك

ما عدت (١٩) ادور بك ، لو باس السحاب راسك
برضك خليعى (٢٠) ، ولو كبرت أنفاسك
أنا لما شفت الندل ميل عليك باسك
رميت حبلك على ضهرك وسيبتك
وقلتلك الدرب اللى إنت فيه مقطع على رأسك

★★★

عتاب

بس أنا شايف يا حبيبى طبعك لم يعجب حد
آكم عيبة بتعملها ، وادينى بقولك سد (٢١)
مش اذا كنت ناوى تخاصمنى خصام جد

---

(١٩) لن اهتم بك وانشغل بحبك .
(٢٠) يود هنا أن يحقر من شانها .
(٢١) يكفيك هذا

تبقى تقولى على يوم باين وأنا أحزن فيه
وأحلف على القلب من بعدك (٢٢) لم يحدث حد ·

★★★

وتكلني

سلم عليه حبيبى بعد الوصل وتكلنى
وغاب عنى سنة حول ، لما دود البلا كلنى
وافنن أيه ·· وأقول أيه ، وأعيد أيه وشاغلنى
مش كان بلانى بعشرة (٢٣) دول وشاغلنى
أنا طلعت من بلدى طهقان عشان طير (٢٤)
بطلت أكل اللحوم ، حتى لحوم الطير
أنا لما شفت اللى أحبه هملنى
ولاف للغير ·
أنا قلت يعوض الله خير
كأنى مت ناقص عمر ، ودفنى

★★★

الطير دا اللى ع الشجر عمال بيبكى ليه
بكى وبل المحارم من دموعى ليه
فايت على شيخ عالم بيقرأ والكتاب فى يديه
رمى الكتاب من يمينه والتفت قالى
الشهد بعد الحبابى يتعملبو أيه ؟!

★★★

والعلاقة التى تربط بين الرجل والمرأة ، تلعب فى الموال دورا كبيرا ، فجانبا كبيرا من أدبنا الشعبى يدور حول هذه العلاقة وأحداثها المختلفة · والموال يجمع كل تلك الخيوط ، والأحداث ، من وصف الحبيب ·· وهجره ·· وصله ، ودلاله ·· والبخت الذى يتحكم حتى فى الحب ! ·

---

(٢٢) لم يكلم احد على الاطلاق ·
(٢٣) بمعاشرة هؤلاء ·
(٢٤) طير هنا بمعنى حبيبة او عشيقة ·· اى امرأة ·

وأغلب مواويل الحب والعشق ، تأخذ شكل الشكوى من المحبوب ،. وغالبا ما يكون الشاكى هو الرجل ، وذلك لان المرأة بحكم قيود حياتها ، لا تستطيع ان تعبر وتصرح بما يعتمل فى قلبها وعواطفها ·

أما الرجل فينوح ويعول · ويتحدث الى نصفه الآخر ، والى فعل الأيام ·· والبين ، وحياته الجدباء التى يرويها الحبيب اذا ما رجعت المياه الى مجاريها ·

وفى أدب الفلاحين ، قصص طويلة ، كلها تحكى قصة حب بسيطة يلعب فيها ـ الوعد ـ والنصيب ، الدور الرئيسى ، وفى أحيان ما تختتم بمأساة ، يخلقون منها المواويل الطويلة ، التى يستعذبون وقعها الحزين ، وينسون خلال ترديدها أحداث حياتهم الشاقة ، وعذابهم تحت الشمس ، وصراعهم اليومى ، من أجل مواصلة الحياة ، يوما جديدا ! ·

والموال هنا حين يتحدث عن الحب ، يصبح رقيقا وبهيجا ، ويتخلى عنه التشاؤم ، والتصلب والحزن والتواكل ·

وقصص الحب التى يحكيها ، قصص ساذجة ، يحس الانسان خلالها الارتباط بين الواقع والعمل لكنها فى كثير من الأحيان ما تتجه نحو قوى غيبية ، مثل قاضى الغرام ، وطبيب لجراح ، وهؤلاء يرمزون للمحبين والعشاق العواجيز ، وبيدهم ارجاع الحبيب ، واعادة أيام الود ·

***

وحلوبوا

خطروا الجمالات على المينا وحلوبوا
وخدوا الجميل منى فى غليون وحلوبوا (٢٥)
وصبحت أبكى وفاتونى وحلوبو
شوف العجايب يا طبيب النار زايده جمر
من يوم ما غاب الحبيب والقلب يغلى جمر
والتمر لو ناس معدوده يحلوبو (٢٦)

* * *

---

(٢٥) رحلوا به ·

(٢٦) يحلون به ·· أى ياكلونه بعد الأكل · ويقصد هنا بالناس المعدودة ·

بحب لكن ! ..

بحب لكن كلام الناس مانعني
شوفتك عشقتك ، ومين يقدر يمانعني
يا بدر كتر الجفا والصد مانعني
لا بسهر آرتاح ، ولا بنعس يجيني نوم
ولا آكل باكل ، ولا ليا جلد للصوم
والنار بترعى فؤادى ما أنت مانعني
بحب لكن كلام !!

★★★

ع الدم

يا مظلني الشوق أنا قلبي صبح ع الدم
آدى سنة حول ، وأنا اللى مونتى ع الدم
جاني طبيبى وسمعنى الكلام ع الدم
وان أذن الله وطابت منى أنا لجروح
للبس تياب الهنا وتفح منها الروخ (٢٧)
وان جا عزولى لقوللو من هنا قوم روح
فتحت لجروح كانت كاتمة ع الدم

★★★

العوازل

حبيت ،وعشقت والمحبوب بعيد عني
مالهم ومالى العوازل يسالم عنى
والله ان أتانى حبيبى لحد الدار متعنى
لعمل وليمة تكفى مصر والجيران
وأبعت جواب للعزول يسكن بعيد عنى
حبيت وعشقت والمحبوب بعيد عنى

★★★

---

(٢٧) وتفوح منها الروائح الزكية .

عانـونى عنـك مــا قـــدرت أتعنى
وطــاوعت قلبى ع الفوتان قــلى عنــك
طرقت بــاب ديــر فى جنـح الليـــالى رن
جــانى هــاتف من الرهبــان قــلى من ؟ .
خدنى من ايدى وودانى فى حوض الدن (٢٨)
وفضـــــلت أشرب والكــاس فى ايـــدى رن

★★★

حبيت جميـل زيـن وسبونى العـوازل فيـه
وكتــرم الفتن لجـل أتــركه وانفيـــه
ازاى أنا أتركه وانفيه ، وأنا عجلى وروحى فيه
شيع وقــالى أنــا عبـدك وسيد غيرك
عينــك مع الكرم اذا انخطـر العوازل فيـه

★★★

وكثير من مواويل الحب والغـزل ما يكون دخيلا على أدب الفـلاحين ، ويكون فى أصله من المدينة .

عملت بداع

عملت بداع (٢٩) وباغنى فى العرب يا أعلام (٣٠)
منشــان (٣١) عدره جميلة وخدها يا أعـــلام
ودرت مجنون من حبها وسط الجبال يا أعلام
وسألت ع البنت . قالوا البنت حوطيـه (٣٢)
من نســل أبوهــا لكن الخــال عيــادى
وعندهــا غفـر ميت نفـر بســلاح عيــادى
وعندها ولد عبـد عـامل البيت ملاغية (٣٣)

---

(٢٨) حوض دن النيلة . وهذا التعبير يستعمل كثيرا فى ادب الفـلاحين ، والمقصود به المبالغة فى اليأس والتشاؤم والحـزن .
(٢٩) المقصود ببداع هنا اى فنان ! .
(٣٠) يا عالم .
(٣١)من اجل عذراء جميلة .
(٣٢) لئيمة .. اى بنت دايرة .. لونة ! .
(٣٣) عامل البيت وكر للغزل والغرام .

ما أحــلى الأدب والكمال بس الوصال غيـه
عشنا سويـا وبينـا ربنـا يعـلام ..

★★★

غـزال زيـن

أنا فايت على قصر عجبني قريت الفاتحة لبنيه(٣٤)
ومشيت مسافــة بسيطـة قيمتــه وبنيـه
لقيت غزال زين ،واقف يمدغ‌عالضروس لبنيه(٣٥)
ساعـة رآني طلـع قصر وهـو مشروع (٣٦)
أنـا هجمت عليــه ، وجدته ع الفـراش نايم
حطيت ايدى فى ايده ، قالى من هنا ما تروح
أنا قولتلو ارحم بحالى ، هو أنا حجر موش روح
التفت قالى، قالوا لك علينا عرضنـا سايب (٣٧)
أنا قلت قاصد الحلال، ونبقى في الحي ناسايب(٣٨)
ولـــو كـــان ربـــك للعبـــد بيسـيب
مـــا كان يسيب الــدم على اللبنيه

★★★

نعسانــة

حبيت جميــل زيـن فـوق القصر نعسانـة
آدى سنة حـول ، وأنا فى الـدار نعسانـة
أنـــا قلت يـــا بنتى أنـــا جــدع راسى
ومرســـــات الهمـــوم قـــلبى
وخبطت ع الحيط وقلت الحيط تنجلبى (٣٩)
وخبطت على الباب لقيت الباب نحاس يـانى
حبيت جميـل زيـن فـوق القصر نعسانـة

---

(٣٤) الذين يسكنونه ويقيمون فيه .
(٣٥) لبان .
(٣٦) مشروح الصدر .. فرحان .
(٣٧) اى اننا لسنا شرفاء .
(٣٨) يقصد انه يبغى الزواج منها .
(٣٩) تنتقل بى .

ماكلوش

عـــزالتين من وادى اليمن مكلـــوش
ماشيين يهـــزوا اليلك حالهم عـــدم مكلـــوش
باتـــوا سهـــارى حيارى من غير عشـــا مكلوش
ناموا يا عينى وصـــبحوا بالقـــدم بيـــسافروا
والـــزاد قبـــال العـــين سابـــوه ولم داقـــوه
والجسم منهم بلى ، حتى الوجوه سافروا (٤٠)
صعبـــان عليهـــم أبوهـــم كأن ملك وشالـــوه
هيشكوا لمين فى الطريق من وسع الجبل سافـــروا
اتفـــكروا الخيـــل مع لبس الحـــرير سافروا
قابلهـــم جـــدع جـــد ، عمـــرو ما انضرب ولا كف
قـــابلهم عرفهـــم ربايـــة عـــز ويـــا كيف
من حسن عقله حضر لهـــم الطعـــام والكيف
قـــاموا مسكو الكيف ، ونسيوا العشا مكلوش



خولى تشا كرم فيه عُنبـــه وتينة وتينتى آنى (٤١)
منشان عدره جميله بتتمايل وتنتنى تانى (٤٢)
لابسه اليك ع الفلك بمقصب بتنتنه(٤٣)تينتى آنى
لجل المزاج آهى عشقت ولـــد زريون (٤٤)
يـــا أهل الحسب والنسب تركت الأصيل ومشيت
ورا الزربون



بستان حبيبى

يا عم بستان حبيبى طرح تمر
والتمـــــر مـــوش لينـــا
والخصـــم عامـــل فـــرح

---

(٤٠) اصفرت وجوههم من الارهاق وعدم الاكل .
(٤١) وتنيته انا .
(٤٢) تتثنى وتتعاجب .
(٤٣) بالترتر وخارج النجف .
(٤٤) ولد فلصو .. ليس له اصل .

والفـــرح مـــوش لينــــا
حتى القميص داب وهو جديـد مهوش لينـا
اسمع أنا أوصيك يالى تعاشر فى خلق اليوم
دول يعصروك عسر ويخلـو هـــدومك عـــوم
الناس تعاشر فى ناس يستعيبوا المعيرة واللوم
وانا بعاشرفى ناس يمشترهم فى كتر الكلام واللوم
اســـمع شتميتى بـــودنى
واقول الناس مهوش

★★★

وأن هفنى الشـــوق على الأحبــــاب وظنــــانى
لفـــز (٤٥) ولعـــان بفيض الدمـــع وظنـــانى
وأركب هجـــين زيـــن بكتر المـــال وظنـــانى
وان هفنى الشوق لبيت ولعـــان تحت درو الكيف
مع نـــاس رفجـــات ، وخـــدينى فى غـايـة الكيف
مـــاشى معـــاهم وجـــا ســـيرهم على الكيف
وان أذن الله أمـــا لمشى على كيـــفى .

★★★

عت وداب ! .

فايت ع البـــاب ، لقيت البـــاب من العلبـــاب
وصانع البـــاب عامل البـــاب خشب علبـــاب
روح يا نصر .. تعا يـا نصر .. طلع العصر
بتعـــاجب بـــلبس .. الحـــرير الخصر
ومن مسه الحب . جسمه الصلب عب وداب

★★★

فـــايت على البـــاب قـــالى البـــاب من عنـــدك
دا إنا عيان يـــا باب ووصفولى الدوا عنـــدك
آهــين يـــا بـــاب من كيـــدك ومن عنـــدك
يـــا عـــم الشيخ أنـــا ليـــا مسألـــة عنـــدك

---

(٤٥) لاقوم على الفور .

عشق الجمالات حرام ، والاحلال عندك
رمي الكتاب من يمينه والتفت قالي
عشق الجمالات حلال والي يقولك حرام دا جي
على عندك

★★★

وانا ماشي

يا عمنا الشيخ عندك متاجر عال لنا ماشي
وآدي رمش عين الحبيب جرح قلبي وأنا ماشي
والمجلس اللي قاعد فيه يا خلي ٠٠
دا حق فيه من المسك والزبد والفل والياسمين
تمنين حق
اقولك الحق دا انا متيم وانا ماشي ٠٠

★★★

عاشرت ناس أصله ، قلت يعلوني (٤٦)
يا لوعتي حشوا كبدي وعلوني (٤٧)
صرفت مالي ومال جدي على اللوني (٤٨)
أبيض بلا ذوق ، مالوش عندك رسمال
أسمر ويفهم ، يستاهل المدح والرسمال
اذا كان بدك تناسب أوعى يغرك الجمال والمال
دا السرك ع الأصل ، مش السرك ع اللوني

★★★

صعبان عليه

صعبان عليه غزاله حايزه اسد
آتاري الغزاله حايزة تلتميت أسد

---

(٤٦) يرفعون من قدري ٠
(٤٧) اصابوني بالعلل والجروح ٠
(٤٨) على الجميل ٠٠ المدلل « اللون » ٠

جس الطبيب فى عضايا ، قولتلو جسدى
قالى أنت جرحك بالغ ، وعشرتك طالت
مع بنت بالغ تقول م التوب يا جسدى

★★★

المايل

مال مرصود وموعود بو المايل (٤٩)
لى بياكل فى كدى وللسردى مايل
تلوف لغيرى ليه ، وأنا فى محبتك مايل
أنا أستاهل الكى بالنيران على النى
السجن سنتين ، والسجان يكون دمى (٥٠)
لى بجوع فى نفسى ، وأطعم المايل

★★★

وتجارب الحب فى الموال ، تجارب خصبة ‥ طيبة ٠ ولها طعم حلو ٠ فهو فى مره ، طلع فوق السطوح ، ونزل عيان ٠ وعندما سأله أبوه : أجيبلك الطبيب والحكيم ، قال له : الحكيم ربى ٠ لكن عندما سأله : أجيبلك العروسة ياليل ‥ قولتلو والله انشرح قلبى ! ٠

وفى مرة أخرى ، يقول للقمر : غيب يا قمر محبوبى أخير منك ‥
وفى موال آخر ، جرحته بنت شيخ الخفر ، التى شاهدها فى « فدان القصب » ، وعندما ذهب الى أبيها شيخ الخفر ، ليشكى له جرحه ‥ قعد يبكى ‥ ونزلت دموع المحبة خففت وركى ! ‥
وهو يتوسل الى حبيبته فى عذوبة :

سايق عليك النبى ان كنت باقينى
تضحك بسن الرضى ساعة تلاقينى
ياللى آنا الورد يا حلو وأنت الماء بترويني

والناس لها حب واحد ، وهو له فى البلد خمس حبيبات ، يصف كل واحدة منهن ، بطريقته البسيطة الساذجة ، كأن يقول فى : الحب دا

---

(٤٩) المقصود بـ (المايل) هنا ‥ الحبيبة ٠
(٥٠) دمى ‥ اى غير مسلم ٠

اللى بحر البلد ، اسمه سرى باليل ·· من عجب الجميل راسم على بطنه قنطرة لدوس الجمال والخيل ·

وهكذا يمضى فى وصف محبوباته الخمس ، بنفس العذوبة والبساطة، والكلمات ذات الشحنات الشاعرية ، المتفجرة بالحياة ·

لكنه فى أحيان ما يبالغ فى صراحته ، فيقول مغازلا محبوبته :

يا بديعة فى الجمال ، طلى وانظرى وزنى
ألفين من الدهب والزمرد ، يعجبك وزنى

ويقصد بوزنى الأخيرة ، الارتباط بها جنسيا ويزنى معها ، على ان يهبها « ألفين من الذهب والزمرد » ··

وفى أحيان أخرى ، يهرب من واقعه ، ويتخيل انه التقى ·· بغزال زين ، واقف يمدغ ع الضروس لبنيه فوق قصر ، فهجم عليه ، وصافحه ، ويدور بينهما حوار ، ينتهى بالزواج ولو كان ربك للعبد بيسيب ، ما كان يسيب الدم ع اللبنيه ·

أى ما كان يسيب الحرام على الحلال
وهو بهذا يحقق أشياء بعيدة يتمناها ·

★★★

وتجارب الحب مليئة بالحكايات المختلفة من العتاب والصد والهجر ، وبحب لكن كلام الناس ما نعنى ! · وفى مرة يحب ويصرف نقوده وشقاه على من يحب ، وفى النهاية يكتشف خيانة محبوبه ، ويحكم على نفسه ، بأنه يستاهل السجن ، والسجان يكون دمى ·· لى بجوع فى نفسى ، وأطعم المايل ··

وفى مرة يغضب من حبيبته ، ويقرر هجرها قائلا :

أنا لما شفت الندل ميل عليك باسك
رميت حبلك على ضهرك
وقلتلك الدرب اللى أنت فيه ، مقطع على رأسك

ومن خلال كل هذا ، يتكشف لنا الجانب العاطفى عند الفلاحين ، والطبقات الشعبية المصرية ·

والموال في تناوله هذا الجانب ، يبدو متخلصا - الى حد كبير - من التشاؤم والحزن ، والدراما المختلفة ٠٠ والرومانسية ٠٠ وتبدو هذه التجارب أكثر صراحة وبساطة واشراقا على عكس نقيضه الموال الأحمر ٠

وفى البالادا القادمة التى تبدأ بالمدح والثناء على دمياط ، وبنات دمياط ، وتختتم بالزواج الذى يعقده قاضى الغرام ٠٠

وفى هذه القصة الشعرية - أو البالادا - تسلسل موفق ، يبدأ برؤيته - للبنية - وكيف أمرت عبدها بسجنه ، ثم كيف جاء الهاتف فى السجن وقال له :

حل قيدك بايدك ، وأوم طالق المشوار

الى ان تنتهى القصة بالزواج ، عندما تقول له البنت :

الأيام اللى خدتها سجن واعدام
خدها وصال على مهلك .

★★★

بنات دمياط

لو كان أمرك صديق يا شاطر الشطار
أوم أسكن- دمياط المرية ، قبل ما تنتهى لعمار
دخلت دمياط المرية ، عسانى ومتعنى
دمياط جنة جنينة حواليها صجر وأنهار
صليت ركعتين لله ، وقريت سورة الفتح
وشويتين جيه البنية (٥١) ، فاتحة قلوعها فتح
ملت وشالت ، وقلب العاشقين شال معها
دبيت ع الباب ، قالى عبدها مالك ٠ ؟
وأنا وقفت فى الحارة ٠٠ حيران ودليل
دبيت ع الباب ، قالى عبدها مالك ٠ ؟
أحنا عبيدك يا جدع ولا شروات مالك ٠ ؟
ولا ليسك مين يا جدع فى البيت بيقربلك ؟!
قلتلو لو صدق الكلام يا عبد تكون ستك
قالى أسال نجوم السما والعرش أقربلك
البنت طلمت قالتلو خدو يا عبد

---

(٥١) يريد أن يقول انها غادة حسناء ، جسدها مكتمل ومن النوع الذى يهواه جمهور الادب الشعبى ، وهو الجسد الملفوف ، والارداف المكتنزة ٠٠ الخ ٠

وديــــه ع السجــن والأغــــلال
سجــن الحليـــوه يا ســلام سلــم
فيــه البــق والهلبــوشى ، لتنــين مرحمـوشى
وشــويتين جــانى هــاتف من ورا ضهــرى
قالى حل قيدك بايدك ، وقوم طالــق المشوار
يجــازيك يــا قلبى يــا الــلى ما وراك شوار
سحبت خـــرجى على ضهـــرى وقلت :
يا شندرى (٥٢) يا بندى ، يا ربحه مع العطار
البنت طلت من الشباك وقالتلى يا جده معاك كحل
قلتلهـــا كحـــل ومــــراود ! !
قالتلى يظهر عليك انك ابن حلال تعطى وتتجاود ؟!
قلتلهـــا أنـــا ابن حــلال ، أعطى وأتجــاود
بس خايف من أبوكى ليقولى من هنا عاود !!
طل أبوها وقال خدو ياعبد وديه ع السجن والأغلال
أنــا قلتلو يـــا عــم سجنــكم مارحــوشى
دا فيــه البق والهلبوشى يــا عم لتنين مرحموشى
يــاللا بينا يــا عــم على قــاضى الغرام يللا
أنــا رحت لقــاضى الغــرام ، وقلتلـــو :
بنــات دمياط سجنونى ..

قـــالى البنت حلـــوه يــا شاطـــر ؟.
قلتلـــو اســـمها ســـكر ! !
وريقهــا عسل نحل ، لو داقــو العليل يســكر
بعتو اتنين يجيبوا البنت واتنين يحادوها (٥٣)
أمهـــا وأختهـــا لتنـــين سندوهـــا
البنت دخلت لقــاضى الغــرام قــال لهــا :
يابنت مسمحتيش بو صال الجدع ديه (٥٤) !.
قــالتلو يــا ســلام يـــا قــاضى !.
ومــين عملك علينـــا قــاضى ؟!

---

(٥٢) أى أنه عمل عطار ، يبيع الكحل .. والمراود .. وألبان وبقية أنواع العطارة والتزين ، التى تهواها النساء .

(٥٣) يدللونها .

(٥٤) تعبير محلى والمقصود به هذا ، وفى القاهرة ينطق .. د. .. وهو هنا منقول من الفيوم

قالهـا اخـرسى يـا بنـت ..
دا أنـا كان عنـدى مهـره زيك مـدلعها
ضحك عليهـا الكديش (٥٥) فى لصطبل وقعها
البنت سحبت الجـدع من يمينه وقـالتلو :
ليـام اللى خدتهـا سبجن واعـدام
خدهـا وصـال على مهلـك

★★★

يجازيك

يجازيك يا لايم عليه فى الغرام
أوعى تلومنى فيه
دا الحب لو نار والعة
فى المهجة وشالعه فيه
يا زارع السنط هيا ودادى فيه
دا السنط كله منافع
أما الأرد نرميه
والمركب اللى انخرق
حسك تعدى فيه
واذا جافاك من تحبه
خد بداله من الحارة واقعد وكايد فيه
والصاحب الزين لو تبلغ مرادك
اقلعو النضر وهاديه
والصاحب الشين كف قدمك عنه
من نظرك من بعيد وارميه
المركب اللى رسيت البر بسلامه
مركب نقيه أسسوها بخشب السنط
فيها شيخ عالم ماسك كتابه
بيقرأ ويطالع ويتكلم كلام بالصمت
رمى الكتاب من يمينه والتفت قاللى :
ان جـار عليـك السفيه يـا ابن الكـرام
واجب عليـك تقتـله بالثبـوت والصمت

(٥٥) الكديش هو البغل « الذكر » .

تـزرع جمـايل مـع المايــل خســارة فيــه

***

جميــل وقــالى ايش بتطلـب قولتلــو أنت
قالـى حــا جيبلك بـدالى وقولتلـو وأنت
قالى حـا جيبلك أخويـا قلت أخـوك وأنت
قـالى يـا مـا أنـا خايف تبيـح بسرك
أنــا قـلت والنبى عيـب
مـا أبيـح بالسر الا ان بحت بـه أنت

***

أنـا بسأليك يـا بحـر النيـل من جبلى
وبستشهـدك فى شـهادة
لحسن نـومتى على فـرشة الزيـن
والــلا الصــلا والعبــادة
قـاللو الصـلا عمـود الديـن يـا ابنى
وينفعـك فى مماتـك
أمـا نومتـك على فـرشة الزيـن
دى نزهتـك فى حيـاتك

***

جميل قـالى أوعى يعجبك طولى وأنـا ماشى
قولتلـو بلف فى الكون شكلك ما بلقـاشى
قالـى تسافـر معايـا قولتلـو مـاشى
قـالى وأهلـك وبلـدك قلت ومعـاشى
حـا سافـر معـاك تخلينى على كيـفى
ساعـة وصـال أطلبك حـكمن يكون مـاشى

★★★

اذا كنت يـا حلـو تـدينى مـا أنـا طالب
أنا كنت أوهبلك الروح والجنـة ولا أطالب
أوهبلـك الـروح والجنـة وكل شين فيـه
أهـل المحبـة يموتـوا والحيـا غـالب

★★★

يـا حلـو يـالى علشانـك رايحـين نعـدم
ومحبتـك فى قلبى وأنت لـم تعلـم

ان جدت بالوصل لم حد بيه يعلم
وان ما جهدت بالوصل لنا رب نشكيلو
وتريح القلب قبل الجسم منا يعدم

★★★

غيب يا قمر محبوبى أخير منك
أزهى من الشمس وجمل يا قمر منك
يا حسن يوسف يالى كل الجمال والدلال منك
أنا قبل ماجيلك جانى الخبر عنك
بانك ظريف المعانى حلو فى سؤالك
ليا غنا عن الناس ولا ليش غنا عنبك

★★★

بنيت أساس العجب والشرع بان ليا
اللى حضر سد بان خالى وبان ليا
عملت صياد وبصطاد شلبه وجنيه
ولما عجبنى السمك صيطلى شوية

★★★

حطوا الرفق فى أنانى الورد وأوعولو
وادوه لناس طيبين الأصل يوعولو
ان مات ظريف المعانى قبل ما طولو
لبحث (٥٦) على تربته وأتمد فى طولو
وان جسم الملكين يحاسبوه
لقوللهم سيبوه دا صغير السن وصغير
ديرم حسابو عليه أوعو تروحولو (٥٧)

★★★

دمعة من العين ملت البحر لعبوبو
علشان جميل زين كل الناس لعبوبو
قدر عليه ان جانى موشق ورد لكعوبو

---

(٥٦) أى أصغر .
(٥٧) راوى هذا الموال هو الصديق الروائى المبدع الأستاذ صبرى موسى .

قسمـا وبـالله وصـــوم العـرش يلـزمنى
ما عـــدت أدور بالردي ما دام لنـدال لعبـوبو

★★★

ان جـدت ما جـدت لحبيبك تبوس القـدم
قـوم اسأل ألى كبـار عنـك وكانـوا قـدم
والله أن ما جيت تتمخطر ليـا بارفـع هدم
وتزمـــزم الكاس وتقـولى اشرب هنيـــالك
لخـرب ديـــارك وأخليهـا خـرايب قــدم

★★★

جميــل عمـل صرتـــه مركب وعـدانى
جابنى فى وسط البحـر واتقلب راح تـانى
أنـا قلت يـا ريس الغليوم عاود بنـا تانى
قالى حبل الوداد انقطع مين يوصلوا تــانى

★★★

يـــا خسارة مشيك مع المعيوب يــا كامل
كامـل مكمـل واسمك فى الـورق كامـل
أصوم عن الـزاد وأفطر كل يـوم ع المـر
واكف قـدمى عن الـلى يسمعنى كلام مـــر
داخـل الروض ٠٠ فيهـا الحلـو وفيها المـر
الحلـــو منهـــا أكل والمـــر عليــــه مـــر

★★★

من أهم المصادر (٥٧) التى أمدتنى بعدد وفير من المأثورات القولية الشعبية ما بين مواويل ٠٠٠ وحوايت ٠٠ وحكايات ، راوية يدعى « أبو نادى » وهو رجل ضرير مسن ــ ٨٥ سنة ــ من قرية « الزاوية الخضراء » وهى قرية صغيرة فى حدود ٥٠٠ منزل ، تقع بالقرب من بندر سنورس بالفيوم والرجل يعمل بائعا جوالا صغيرا وكما قال لى :

---

(٥٧) ويسعدنى أن أتقدم بالشكر والتقدير ٠ لصديق طفولتى الذى ساعدنى بكل اخلاص على مدى ٣٠ عاما ، بحثا وجمعا لهذه المأثورات : احمد عبد الحليم خير الله ٠

ـ أنـا بشتغل في بيـع شويـة ليمون ·· طماطـم ·· زيتون ·· خيار ·· عنب ·· وكل حاجة في جمعتها · أي في موسمها :

ان دبـل الـورد اسقـوه بالقانـون
وان نـام حبيبـك أصحيـه بالقانـون
وسر سـورة تبـارك والألـف والنـون
بعـد الحبيب عن حبيبه صبحه مجنـون
ان دبـل الـورد اسـقوه بالقانـون

ويبدو ـ كما عرفت ـ من بعض أهل بلدته ، انه يتحرك تظلله ذكرى مأساة قديمة ·· كانت قد حدثت مع زوجته ـ أم نادي ـ المتوفاة ·· فيبدو انه كان قد ضبطها مع عريب في البيت ·· ولهذا طلقها ·· ويبـدو ان المرأة ماتت بعدها :

ـ طقت ·· ماتت ·

ولهذا كانت تدور معظم مأثوراته ،حول هذه الكارثـة الشخصية ، للزوجة الخئون :

المـركب اللي كل البـراق (٥٨) فيهـا
يحـرم عليـه سفرهـا حتى نـزولي فيهـا
أنـا كان في أيـدي لمونـة والـرب حاليها
خـايف أكلهـا يكون تمـر المشـوم فيهـا
أنـا مسـكت طـيره وكان بـندي أداديهـا
وقعت وسط الكرم ·· وكل الجيش محاديها
وعشق البنات الهمايل يجيب العار لهاليها (٥٩)

***

تعبـان يا قلبـي ع الرفق القـديم تعبـان
وشايـل الحمـل التقيـل دايمـا تعبـان
عجبي على عذره جميلة بتاجي م العشا للعشا وتنام
في حضن خشنه عشيم لكن طـولت ليـام
البنت تقوم م النوم تقول يـا رب يـا ديان

---

(٥٨) كناية عن عدم الاستقرار وما يسبق العواصف من برق ·
(٥٩) أهاليها ·

تتوب على الصبيــة من نــوم الخشنة الغشيم
دبل الرمان
تعبان . يـا قلبى ع الرفـق القديـم تعبـان

★★★

عايرونى الرفـاقى وقالوا يـا أسمر اللونى
أنـا قـلت أسمـر لكن البيض يحبـونى
ولو كنت زليت خدونى فى البحر وارمـونى
ورشـو النيـل فى جسمى وفى عيـونى
دا ذلى يفـول حبيت يـا نـاس حبـونى

★★★

عجبى على عدرة جميلة سارحة بالبل فى الحتة
بديعة فى الجمال لكن ما فقلبهاش (٦٠) محنة
واذا كان معانا مال كنا خدنا البنت ودخلنا
الا بـلا مـال وحب البنـت شاغلنـا
أمانـة عليـك يـا شيخ يـالى معـاك المال
تتحنه وتتهنه
وتقعـد على قبـر بـلا درجـات
وتقول روح يـا ميت هناك ٠٠ يالـلا ٠٠
ذى بديعـة فى الجمـال ومفقلبهـاش محنـة

ويصل تقديس الخال فى هذا التراث ـ الأموى ـ العربى ، الى حد مطالبة العريس فى اختيار عروسته ، وأخوتها خيلان ـ جمع خال ـ أبنائه :

يـا نازل الكرم انزل الكرم ونقى م الفـروع العال
واسأل على الشجرة ومنبتها قبل ما تحط المـال
وقبـل ما تناسب حاسب ونقى لبنـك خال
ان مـت ولا عشت تشـهد لك رجـال
يقولوا بأنك راجل عال ٠٠ نقيت لبنك خال

★★★

---

(٦٠) ليس فى قلبها ٠

يا أهل الله العجب على كحيلة عادمة الخيال
نط سايس ركبها٠٠كفاها٠٠ ياخسارة ماهوش خيال
امانة يا عم ما هى كل الرجال رجال
ولا الأصيل الهنى بيشبه البطال
ما قالت البنت ما أصل أنا اللى ابتليت وحدى
وصبغت توب الهنا ٠٠ ولبستها لوحدى
حط اديها امبيض ـ البنت ـ وسط الدن بلتها
يا خسارة ٠٠ لمن ركبها الندل بلدها
قالت أسالك يا رب ياللى لا بتغفل ولا بتنام
مضيت زمانى فى الصبا لا سرج ولا خيال

★★★

أنا سبب اشتباكى مع الحب كان واقف ورا البيبان
مالك ومال الغرام ياما الحب قفلها كانت بيبان
طبيب ظهر معى جرح من جوا الحشا طاقة
وآدى كلمة الحق عند الله نطاقه
وكل ما سد فى الطاقه تتفتح البيبان

★★★

امانة عليك يا جميل لم تنسى مودتنا
ولم تصافى الحبايب فى وقت غيبتنا
دا احنا السبوعه الكواسر نحمى الضيف فى غيبتنا
والله ان سعدنا الزمن هيه عادتنا
وان ما سعدنا الزمن تبقى عين وصابتنا

★★★

أبيض من الروم خطر اليوم يا معلم
لو كعب مبروم شبه الدوم يا معلم
ابن الهفيه جرحنى جرح وجرحو فى الحشا علم
ناديت يا مين صادتنا العين يا معلم
ندهت يا شرار كلتنا النار يا معلم
دا مشيك مع الناس بيفسح المخ ويعلم

★★★

وكثيرا ما يتحسر القائل على خيانة الود وبحسب تصوره للزواج على اعتبار انه تملك وشراء ، يطالب فى المأثور التالى ، ببيع « كحيلته » فى السوق كمثل دابة :

صعبان (٦١) عليه كحيلة كنت مربيها
خانت ودادى ولا طمرشى الربا فيها
انا قلت .. دلال خدها على سوق لتنين وديها
وان ما تبعتشى فى لتنين انزلبها التالت
دى طلعت خاينة ردية ومن لحم البغال شالت
وان ما تبعتشى فى التالت يا دلال انزلبها لربع
دى خانت يا دلال بعد قدح سمسم ويا تلات تربع
وان ما تبعتشى فى لربع انزلبها الخامس
وان ما تبعتشى فى الخامس انزلبها الجمعة
واعملها سوق على غير سوق والناس مجتمعة
وان ما تبعتشى فى الجمعة انزلبها السابت
دا أنا أحسبها أصيلة يادلال وحبى فى قلبها سابت (٦٢)
اتريها زى أمها من قبلها فى الخلا سابت

★★★

والحلو شيع (٦٣) وقللى نصطلحشى عسات
ونترك اللى مضى ونجدد اللى عاد
شيعت أقوللو من سو بختك سبقت اللوعات
شيع وقللى ها حلفك ولا ميعاد
شيعت أقوللو يا فتى اللى جرى كفى
واذا كان شعر الدماغ ينبت من الكفه
يبقى الزمان اللى مضى بيناتنا ينعاد
أنا اللى صاحبت صاحب بيغضب كل يوم نوبة
أنا كل ما روح أصالحه أجيبه من كل بيت نوبة
أنا صاحبتو وقلت دا يزيح الهموم عنى

★★★

---

(٦١) راوى هذا المأثور عامل زراعى يعمل على دراعه ، يدعى محمد على ابراهيم من احدى القرى من بحيرة قارون بمحافظة الفيوم .
(٦١) سابت : ثابت .
(٦٢) شيع : أرسل .

عــاشرتكم ع النقــا وايش نـــابنى منــكم
الا المســـبه وتســـويد الوجـــوه منــكم
انتوا كان لكم باب من ساعــة العشنا يلكم
اتفنــدق البـــاب وبقي النـدل يخطر فيــه
وخصابـــل النـــدل آهي لاقت بخاطـــركم

★★★

دمعـــة من العـين ملـت البحـر لعبوبـــو
علشان جميـل زيـن كل النـاس لعبوبـو
نـدر عليـه ان جاني مرشق ورد لكعبوبـو
قسمـا بـالله وصـــوم العـــرش يلـزمنى
ما عدت أدور بالردى ما دام لنـدال لعبوبـو

★★★

لفيت كل القـرى حتى اليهـود يـــا نـاس
ما لقيت شـكل النسا ولا فعلهم على نـاس
اللى يريـدوه يحبوه واذا كان أقـل النـاس
اللى يكرهوه يسيبوه واذا كان أبوه عباس
القـارب الـلى انخـرق أوعى تعـدى فيـــه
وحرص من الخرق ياما الخرق غرق نـاس

★★★

سبع الفـــلا شـاف غزالـــة البر هملهـــا
لمـــن لقيهـــا موالـــه كلب هملهـــا
وقال اذا كان لها أهـل والا ناس تخصمها
مكنتشى تفوت سبع لو فى وسـط السبوع نابين
وتـدور ورا كلب فى الخـــلاوات هملهـــا

★★★

لعبت يـا سونس فى البندق وخشب الزان
وبحت بالسر يا سوس وخليت المخبى بيان
دا أنا لما التقيتك موالف مع فـلان وفـلان
رميـت حبلـــك على ضهـــرك وسيبتـــك
يا عيش بلا ملح يا ريته كان بخ فيه تعبان

★★★

زرعت حب السوداد فى الأرض واتعشمت
وقلت دا يطلع وأكايد بو الأعادى الشمت
أتارى الأرض فيه داه ساعة الكيل يخس النص
والحق عندى أنا اللى شبت ما تعلمت

وفى المأثورتين التاليتين ، يتضح مدى تأثير العامل الاقتصادى الطبقى حتى فى علاقات الحب والعشق والجنس كاحتياج بيولوجى ، لمن بيده المال والريالات ٠

أنا ف ايدى منديل أحمر وبلح أحمر
واللى معاه مال من صنف الجنيه لحمر
يبات يقلب فى شفايف شبه العسل لحمر

★★★

أنا ف ايدى منديل أبيض وريال أبيض
واللى معاه مال من صنف الريال لبيض
يبات يقلب فى شفايف شبه العسل لبيض

★★★

فاتوك

فاتوك يا قلبى رفقاتك آهم فاتوك
وجابوك فى أيام العنعنة (٦٤) والدندنة وفاتوك
لو كنت تعلم يا قلبى جمعة حبوك
ما كنت مشيت معهم
اللى أنت شارى يا قلبى
وهمه فى الأصول باعوك

★★★

بخاطرهم

فاتوك يا قلبى رفقاتك بخاطرهم
سمعوا كلام مغمضة غير بخاطرهم

---

(٦٤) العناء والشقاء والفقر المدقع ٠

سايـــق عليـــك النبى يـــا قلبى
اذا كنت حـــابب دول ورايدهـــم
متبقاش تـدور على الأسية اللى جـرت منهـم
ولا حتى تكسر .. يـــوم بخاطرهـــم

★★★

يـا قلبى ..

يا قلبى جريك على أحبابك يستألوبك (٦٥)
وان اتبهت عليهـم بالقـوى لازم يستألوبك
أنا معى جـــرح من جـــوا الحشـــنا وتقيل
عشان ما قلت انى أحبك وأريدك تعمل عليه تقيل
يا قلبى لما ابتيلت بالغرام خليك زى الجمال
راسخ وتقيل
تبقى أنت زى التمر بعـد الذاد يحلـو بك

★★★

يجد فراق

أنا ماكنشى عشمى يا زمن ان بعد اللمة يجد فراق
ويحمـــل الـــركب • ويسيبنى وأنـــا مشتاق
وان طال غياب الحبايب عليه لكتبه فى أوراق
أنـــا معى جـــرح من جـــوا الحشا نـــادى
نهار أشـــوف الحبـــايب يبـــقى نهـــار نـــادى
وان جـــا حبيبى بلغت القصـــد ومـــرادى
وان جـــا عـــزولى لقوللـــو : روح يـــا فـــاضى
تبقى عـــزولى وتعمـــل بيناتنـــا قـــاضى
مثـــل ســـمعناه من الـــلى قبلنـــا قالـــوه :
الحلـــو بعـــد الحبـــايب مـــر لـــم ينـــداق

★★★

---

(٦٥) يقلل من قدرك •

بهدال ..

يالى كتبت الألف اكتبنى حداك ب .. دال
بدى أقول مقصدى ، بس الزمان بهدال
والوقت كياد على أسد الرجال بهدال
يا حلو نانا الجفا شمت فيا الناس
وطبيب لجراح مضيعنى مانيش كالناس
أصل أشتباكى بهم شربت من اللى أريده الكاس
ومثل سمعناه قالوه كبار الناس :
وصبح أوحش الناس فى ولاد الكرام بهدال

★★★

ياللعجب على عذره جميلة شدت للرحيل هجنين(٦٦)
الوجه زى القمر وراسمه ع النهود هجنين
وقت أشوفها عقلى الذكى يذهب وأصير هجنين
أنا قلت يا بنتى أنا قاصد معاك مشوار
واسن سيفى على رقاب العدا مشوار
وشربت كاس الصفا من ايد الحبيب مش مر
وأنا لسيب لك السرع حتى تنظرى خلك
وجرح العليل ما بقى يطيب الا أن نظر خلاى
وان هون الله عليه ، لاسقى الأعادى خلى
وأزمزم الكاس ، وازعق ما بين العرب :
خلاى
سمعت الكلام البنيه ، وكربلت (٦٧) معناه
وقلبها رق بالوصال ، علشان خاطر الجميل معناه
مكتوب رايناه على صدر الجميل هجنين

★★★

نبقالى ونبقاله

زرعت للحب نبقالى ونبقاله
وشرطت ع الحب يبقالى ويبقاله

---

(٦٦) جملين .
(٦٧) فهمت وتمعنت .

شوف صجرة الحب طرحت كل شين (٦٨) قالـه
وأنـا صجـرتى مـا طـرحت ولا عنقـود
الله يجـازى قليـل الأصـل بأفعالـه

★★★

اصل اشتباكى

أصل اشتباكى مع المحبوب الطبع كان غالب
واللى بنى أساس المحبة خلاه عريض من تلتمية قالب
وكل قـالب عليـه دولاب ولـوالب
وكل لولـب لويـم الحبيـب جـاذب
ياما مجاريح عاشوا العمـر مطلوش
مـاتوا بنـار المحبـة والجيا غـالب

★★★

يا بنت

يـا بنت كشمير حزامك غلب الحباك
ضحكت ولعبت وقـالت والنبى جبـاك
محلاك يـا حلو ساعـة تطل من الشباك
تلـقى الغلابـة قاعـدين صفين
منهم بسنـار ، ومنهم من رمى الأشبـاك

★★★

امبارح العصر

امبـارح العصر قبلتنى ع الفسـاقى بنـت
مالـت عليـه وأنـا المتيم عليهـا ملـت
يا ريتها ما مالت ! ..
وادتـنى بوسـة من شفايفهـا
أكنهـا عسـل وسـكرت
دول جابـوا المحاويـر يـا ابنى

---

(٦٨) كل ما هو مشين .

وكـــوونى أنـــا والبنـــت
لا البنت قرت(٦٩) ، وأنا بين النهود ما بنت

★★★

ولا بتوفيش

كام آه · وكام ليه · وكام طيب · وكام مافيش
وكام يـا حلـو توعـدنى ، ولا بتـوفيش
تعالى أعمل مداوى ، وأنا أعمل حجتى التشويش(٧٠)
وأبويـــا « الملـك » يطلعـك عنـدى
تحـظى بوصـــلى ، وتنـزل تقبـض البقشيش

★★★

« يـا آه ·· »

مأصـل يـا آه سموك الظنايـا يـاقوت
وانت لا جوهر ·· ولا زمرد ·· ولا أنت ياقوت
فى مقالى الآه ، دا أنا إسمى فى العلا مثبوت
ومن كان لو حبيب قصاد عينه ولا طالوش
تنـه يقـول آه ، حتى ينسـلى ويمـوت

★★★

يا ابو عيون سود

يـا أبـو عيون سود وخـدود حمر وكاملك
أنت غيابك عن الناس يزيدك حسن وكاملك ؟
وان سألت عنى يـا جميل سألت أنـا عنك
وان ما سألت عنى خيار الناس آهى كتيرة
آخـد بـدالك والبسو لبسـك ··
وان طال عليه غيـابك لندهو بـاسمك ! ·

★★★

---

(٦٩) اعترفت وقالت شيء ·
(٧٠) ادعاء المرض ·

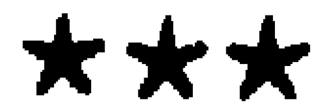
« كوى كبدى »

أقوم فى دجى الليــل أنظر فى الكواكب (٧١) دى
على الغزال الوحيد الفريد ، دا اللى كوى كبدى
وأبـات أشـاشى على المحبوب ٠٠ مـاجاشى
يا لوعتى ٠٠ شفتو ماشى مع خصمى كوى كبدى



« يـا حلـو »

يـا حلو بـالك طويل ، انهى معايـا سؤال
وشيـل بعينك ، واتلطـف وشـوف الحـال
سبب البـلا مين ٠ منـا هـو أنت ؟
مين ولع القلب من غير نـار ما هو أنت ؟
أنت وأنت ، ولا فى القلـب غـير أنت
هى المحبـة جـرت بس بينى أنـا وأنت
وتدور تلاقى النـاس الكل على دى الحال !



« وباست ايدى »

عملت صيـاد بشبكة والطـراح فيـدى ٠
تلوم على الخالى ليه ؟ ٠ أنا قلت ما بيدى ٠٠
لجل الضرورة بقول للعبـد يـا سيدى ٠٠
أنـا لمـا عجبنى السمك نزلت بـدلله ٠٠
لأنـه سـمك زيـن ، ويعجب القله ٠٠
طلبت منه الوصال ، قالى يا جميل ماهوش ذلـه
ياما أكم ناس جت لحد الدار وباست ايدى



---

(٧١) فى هذه الكواكب

« خلخال حبيبى »

خلخـال حبيبى صغير مـا يـرنش ليـه ؟٠
هــو كمــال فى رجــل الجميــل ٠٠
والا من بيـــاض رجليـــه ؟ !
دا لــو جــوز عواميــد سمان وعــال
والبطـن طيــه على طيــه حــرير بلـدى
رقبــة حبيبى كــوز فضيــة مع الــدلال
بستان حبيبى طـرح قشـطه وعنب بـلدى
منشـان غرامــه فت أنــا بلــدى
تبقى ابن بلـدى وتتعاظـم عليـه ليــه ؟٠
خلخـال حبيبى صغير ، مـا يرنش ليـــه ! ؟

★★★

« ع الضيق »

مأصل يا بنت لابسه الجلاليب ع الضيق !؟
هو عـدم بخت يـا بنت والا القماش ضيـق
ما قالت البنت دا أنا كل ما أوســع القمصان
تجينــا ليــــام على الضيـــق
ومثــل سـمعناه من الــلى قبلنـا قالــوه :
أهل الفصاحة ٠ فصاحة ، لكن رزقهم ضيق !!

★★★

« احباب قلبى »

أحبــاب قلبى نــور القمــره منازلهــم
يشتتــوا العقــل لــو شفنــا منازلهــم
يامــا محبين سـكنت فى منازلهــم
ودول حبــايبى محازهمش أحــد قبــلى
ونظــرت عيونهــم ع الخــلى تبــلى
دا أنــا لقيـــت شرجــى وغــربى
وبحرى مع جبلى
مالقيت مثيلهم يا عم حتى فى النعمان (٧٢)
ولا الرشـــيدى مـلك عصره مـع النعمــان

(٧٢) بلاد النعمان ـ نسبة الى الملك النعمان ٠٠ انظر كتابنا السابق عن « السير والملاحم العربية ـ (المؤلف) ٠

يموت بحسرة الرشيدى لو شافهم مع النعمان
أنـا قلت يـا ربى تحرسهـم دوام م العين
بحـق يـا رب من نبـع الزلال م العـين
وتهلـك عداهـم وتحرسهـم دوام م العـين
اكمنهـم حبـايبى وبحـر الجود منـازلهم
احبـاب قلبى لنـور القمـرة منـازلهـم

★★★

« ونصفا ليك »

يالى أخدتى الردى جاهك ونصفالك ونصفاليك
متفكريش يا فاجر ، انى يروق بالى واصفالك
دا أنا لفيت الكون مالقيت وصفالى ووصفاليك
أنتى رضيتى بالتلت وأنا اللى سرت وياكى
شوفى تبعتى كلام اللعين ابليس وتغاكى (٧٣)
وابن الهفيـة ربطلـك فى الطـرق ورمـاكى
قـومى اسـمعى سـيرتك مع الصـغار وأنا
واصـفالك

★★★

« كنت اود عليك »

أنا بحسبك يا ردى تايب كنت أود عليك
وأنا كنت بقبل أياديك يا ردى وامسحلك ..
تراب رجليك
وياما بكينا يا ابن الناس وأكتر بكانا عليك
أنـا لمـا لقيت العـزول فى الطرق خـايلك
وأوحش الناس يا عاهر عملتيه من دخايلك
وفوتى حبيبك لولاتى اللى كان للعرض صاينلك
أنا قلت يعوض الله خير، مكتوب تغيير الوجوه عليك

★★★

---

(٧٣) وفعل الى الطغيان .

« يا لابس التوب »

يـا لابس التوب ، أنا اللى حاتوب على ايدك
جسمى انهـرى داب من المكتوب على ايـدك
يـا أبو لحظ فتان كعود الزان على ايـدك
عشان مـا أنت كامل بقى ومكملـك سيدك
مستنى لمـا أروح لك البيت وأبوس ايـدك
أسـوق عليـك مين ، غير عمك وغير سيدك !؟
سايق عليك النبى بلاش عمك بلاش سيدك
وتجـود لى بالوصـال وتسـعفنى
لحسن حلمت باليل ..
بـان روح الظنى فى ايـدك ..

★★★

« أنا لقيت بختى مع مين ؟ .. »

شـكوى لكم يا عدارة حزنى من غير أسى فيكم
تشكو بـلا عيب يـا خسارة الوداد فيـكم
والسبر (٧٤) دا سبركم ، والا سبر واديـكم
عوضك على الله يا عين فى وعدك ومكتوبك
وأنا لقيت بختى مع مين ، لما هلتقاه فيكم ؟!

★★★

« الا الليالى السود »

يا حلو يا ناشى كرمكم عنب ، ادينام العنب عنقود
والتقـل دا ليـه مـا دام العنب موجـود ؟
أوعى تعمل البخـل صنعتك والكريم موجود
قالوا البخيل جاد قلت عمر البخيل ما يجود
ولا بيحوجنـا للبخيـل الا الليـالى السـود

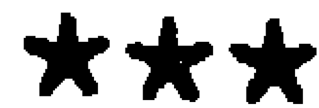
★★★

---

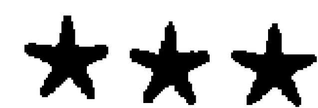
(٧٤) التقاليد والعادات .

« وعشمان فيك ! . »

أنـا بحسبك لى ، وكلك لى .. وعشمان فيك
تاريك للغير ، وأنـا ليه حصة بسيطة فيـك
شوف لمـا نـزلت ســوق الأخسة (٧٥) ...
بعرف اللى فيك ..
لقيتــــك بتخس على كل قبـــانى
يـا ميت مصيبة على اللى كان شكرلى فيـك



أنـا بحسبك لى وكلك لى وجسمك لى وروحـك لى
تاريك مربى زباين يا ندل ، بس تضحك لى
أنـا بقوم بالليــل ، وادعى اللى رمى الحـوت
للسـنار يرميك لى
وانـا أخلص الحـق منك ، و « التـلا تربـع »
وافـرجك يـــا قـــوى العـين ضحـكك لى



« بتعزوه »

من أصـل يـــا حبـايب رد الـرد بتعـزوه
وتـــدخلوه فى صميـم القلـــب وتحبـوه
وكان لكم رفيــق زيـن على طـول الزمـان فوتوه
يـــالى العـدل ريحــكم رفيقـكم فوتـــوه
هو كان عمل ايـه الولد ، لما بالعجل فوتوه



---

(٧٥) جمع خسيس .

- ١١ -

أمراض الحب والعشــق

بالنظر الى ان تراثنا العربى بكامله ، من تقليدى كلاسيكى ، وشعبى فولكلورى ، يوغل فى الاغراق فى المترادفــات الوحدة المتوحدة للجبريــة والدهرية والقدرية والوعيدية ، كما سبق لى أن أفضت فى طرح هذا الملمح الجوهرى فى معظم كتبى ، عن فولكلور وأساطير العالم العربى ، والأساطير والفولكلور العربية ، والحكايات العربية الشعبية ، وعلمنة الدولة وعقلنة التراث العربى ·

لذا لا يستثنى ـ بالطبــع ـ مأثوراتــه الشعريــة وأغانيــه التى هى موضوع هذا الكتاب ـ عن شقيقاتها من حكايات وأمثال وسير وملاحم ، من الاغراق فى بحار الدهرية والغيبية ، وأفعال الزمن والدنيا والأيام والخطوب والليــالى السود ، ويكثر هذا الملمح بافراط واضــح ، فى مأثورات الموال الجنائزى الأحمر ، لكنها تصبح أقل منها فى نقيضه ـ الدنيوى ـ الأخضر ، المتصل بطقوس التجميع والاخصاب ، بدلا من الغياب والتفرق ـ أو ما يعرف بالفرقة بضم الفاء ـ ·

الا ان مثل هذا التوغل الجبرى الدهرى ، تتزايد حدته فى المواويل والمأثورات التى مجالها وقائليها ، المعلولين والمجروحين بالحب والعشق ، وعلى كلا الجانبين أو النوعين ، سواء أكان المعلول رجلا ذكرا ، أو أنثى ، الا ان المأثورات المعتلة بالعشق وأمراض الحب Love Sieness ، ترد بكثرة منتسبة الى قائليها وجمهورها الذكورى ، عنها فى حالة الفتاة الأنثى ·

ومن أمثلتها السابقة واللاحقة ، الحاجة الى الاتيان بالحبيب والعشق ، سواء عن طريق طبيب المبالى والأوجاع ، أو طبيب لجراح ، أو البين واهلة وعائلية ، الذين كثيرا ما ينكلون بضحاياهم ـ من المعلولين ـ عن طريق ايقاعهم فى أمراض العشق هذه :

ـ يا مين يجيبلى حبيبى ويأخد من عيونى عين ·

ويأخــد نص التانيــة وأشوفــو بنص العــين

ومثـــل :

ـ أنا الذى ابتليت بالغرام وستى حامله فى أمى ٠

أى أن قائل المأثور السابق ، كتب عليه ـ الدهر ـ الموت عشقا قبل أن تولد أمه أصـلا ٠

ومثـــل :

ـ ما ظهـــرت الآه الا من عليــــل الحب

ومثـــل :

ـ وجرح العليل ما يطيب الا ان نظر خله

ومثـــل :

ـ ياما مجاريح عاشوا بطول العمر ماطالوش
ماتــوا بنــــار المحبة والحيــا غــالب

وكيف ان من كان له حبيب قصاد عينه ولم يطله ، فانه يظل يتوجع من قولة « آه » حتى ينسلى ويموت ٠

فالمحبين والعشاق و « أولاد الغرام بدلوا غنائهم بالعديد والنــدب والبكاء » وهو صحيح الى حد كبير ، اذا ما اعتبرنا مأثورات جرحى العشق بكائيات ذاتية أو جنائزية ٠

وكثيرا ما تتمثل هذه المأثورات الشعريــة ، بشخصيات تاريخيــة وأسطورية عاشقة ، مثل : نعيمة ، وشفيقة ، وعزيزة ، وناعسة زوجة أيوب ، وكذلك بشخصيات خرافية لقصص شعرية أو بالادا مندثرة ، وقد يكون كل ما تبقى منها ، ومن ملامح ودفائن عشقها الجارف المميت ، سوى مثل هذه المأثورات ، التى عادة ما تــدور حول شخصيات تــدعى « ورد وسلبند » وفى مأثورات شعرية أخرى ترد باسم « ورد وادريس » ، منها هذا المأثور :

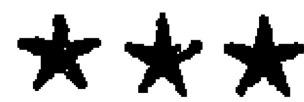
ـ ادريس لقى وردة بتبكى
قال لها : مالك ؟
مالك ومال الغرام يا ورده
وأخداه فى بالك
قالت له ورده :
ببكى على شناب يا ادريس
كان فى الحشا مالك .

لو جوز عيون سود
ان فتحوا صبحوك فى الحشا هالك

وكثيرا ما يدور الحوار بين عليل الحب ، أو العشيق المبتلى ، وبين طبيبه ، أو طبيب الجراح ، الذى ـ كما يرد فى المأثور التالى ـ ما ان رأى مريض حتى يكت عينيه ، وما ان كشف على علته وجرحه بمبضعة ومرهمه ، حتى بانت عينيه الجرح . وهنا سأله العليل ـ بالهوى ـ عن كيف ان نار الحطب قد تشابه لنار ـ خشب ـ الدوم ، فأجابه الطبيب بأن نار الحطب تنطفىء ، أما نار المحبة فدائمة الاشتعال ، فى صدر المحبوب ـ المبتلى ـ طبعا :

« طبيب الجراح »

طبيب لجنراح نضر جسمي بكت عينـاه
كشف على الجـرح بالمرهم بانت عينـاه
قاللو أمانة يا طبيب :
نـار الحطب تشبه لنـار الـدوم ؟
قاللو :
نار الحطب تنطفى يا ابني ونار المحبة دوم
أنـا لا بسهر ارتاح ولا بنعسي يجينى نوم
اذا لـم أشاهـد حبيبى وانتظر عينـاه



عينى رأت بنية حيـة من بلاد الغـرب
لابسـه ثـوب أسود من جنـاح الغـرب
شفقت بحـالى وتـاه الفـكر عن بـالى
شـفقته بحـالى وحملت الكتب ع الغـرب
أنا قلت هيـا بنا يـا طبيب بالعجل نمشى
فى باطنى جرح يا طبيب بسـهربو ولا نامشى

وفى المأثور السابق المجلل بالقتامة ، حيث ان قائله ما ان رأى بفتاة « من بلاد الغرب » بما يوحى أنها غريبة ، أو انها أجنبية ـ غريبة ـ ، كما ان الغرب دائما مرتبط فى مأثورات ـ وفولكلور ـ الجهات الأربع أو أربعة أركان التابوت ـ بالجهـة الموكل بها دفن الموتى ، ولتكن « بلاد المقـابر »

أو الضفة الغربية للنيل حيث المقابر ، وأهمها مقابر وادى الملوك بمصر العليا ٠

بل وكثيرا ما يعتل طبيب المحبين ذاته ، بالعلل والأوجاع ، عندما تصرعه عيون المحبوبة وبهائها ، حين الكشف عنها ولو بالنظر :

ازاى آنام يا طبيب وآهو تاه منى الكيف
علشان ظبا(١) ترك ياطبيب لحظة كيف حد السيف
قالى ياللا بنا يا عليل بالعجل يضه.
نحققه بالنظر لم نختشى منبه
راح الطبيب وجانى منطبق فمه
وقال يا ناس أنا شكل الجميل دا ماريت
الوجه زى القمر أما العيون دى ماريت (٢)
أنا من يوم ما شفته وطبق الورد ما شفته
البيت عفته (٣) وأحلا طعامنا ماريت (٤)

★★★

فى باطنى جرح يا قاضى الغرام غلايين
وأحباب قلبى ان غابوا برضو هم غاليين .
أنا الذى عند خصماتى حلفت يمين
أنا ماهابطل الغندرة ولا أدى للعدا واطى
وايش أوصف ان القوارب تشبه الغلايين .

★★★

آهين على وحدتى والوعد لسه بعيد
أنا ما كوانى وخلانى فى الخسس ما بزيد
القى حبيبى قصاد عينى مش قادر أقولو نهارك سعيد
أنا ماكوانى الا العوازل بيبرشم فى الكلام ويعيد
أنا ما بيدى ولا فيدى الا منديلى لبيض
والقط كل دمعة بايدى
دا اللى سعدهم زمانهم فنارهم من أول الليل بيايدى
لكن ولاد الغرام بدلوا الغنا بعديد
لامو عليه العوازل قاللولى قوم يا مبتلى ابدل
القديم بالجديد

---

(١) فتاة كالظباء تركية ، بما يشير الى انتماء المأثور للعصر التركى
(٢) يبدو ان مريض هنا تعني أو قد تلفظ « ماريت » أو ما رأيت ٠
(٣) تعفف عن بيته وقد يعني مضاجعة امراته ٠
(٤) أصبح لا يمرى ٠

لحسن دا بكره العيد .
أنـا قلت خـلى العيـد لاصحابـو
ايش يعمـل العيد لـلى تفرق اصحابـو
أنا عندى لمة أحبابى أحسن من ليالى العيد
صبـح سلام اللى أحبـه من بعيـد لبعيـد
آهـين على وحـدتى والوعـد لسه بعيـد

★★★

جـرا اللى جـرا يـا عينى ما حـد عـزانى
وطلعت أعـزى لقيت النـدل عـزانى
الوز مـاهوش ظفـر دا القول على الضـانى
أنـا كنت أنزل الحـرب واتبـاهى بعـزالى
الحـرب حـربى وأنـا اللى جيتلو منجـارى
أيـوب لمـا ابتـلى واحـد ورا التـانى
أحنـا سـمعنا مثـل من الكبـار قـالوه
أهـل البلـدى خدولهـم سبر طلعـوا فيـه
مـا يعشقوا الا قليـل الأصـل والزانى

★★★

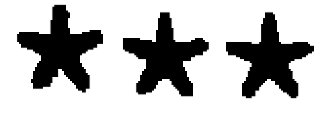
عاشرتـكم ع النقـا وايش نـابنى منـكم
الا المسبه وتسويـد الوجـوه منـكم
انتوا كان لكم باب من ساعـة العشا يلكم
اتفنـدق البـاب وبقى النـدل يخطـر فيـه
وخصايـل النـدل آهى لاقت بخاطـركم

★★★

ما أصل يا عين دمعك على الخـد ما ينزل
قالت على الصاحب اللى ربط ع الود ما ينزل
مضى زمـانو على ضهـر الخيـل مـا ينـزل
أنـا الـلى من صغر سنى فى الهوا طالـع
ربى آتانى بعزول قطف زهـرى وأنا طـالع
عمـل معايـا عمايـل الصبح وأنـا طالـع
فى وسط شـارع ترش الملـح مـا ينزل

★★★

ما أصل يا عين دمعك على الخد بداره
قالت على الصاحب اللى خطر لم بيدارا
أنا اللى رسبت فى حيكم وقيمه ومزيه
وفتحت بابى على كيفى بشم نسيم
ولما لقيت عليه العوازل آهم جايين
قفلت باب الاشارة عنهم وبدارى

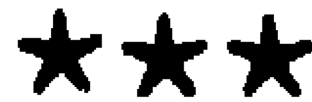


ينسب هذا المأثور ـ أحيانا ـ لشخصية ـ بالاد ـ خرافية ورد وحبيبها سلبند ، وسنتعرض لها تباعا :

سلامات م الغيبات مد ايدك وشابكنى
ياللى غرامك طحن قلبى وشابكنى
لك جوز عيون سود كما السنار شابكنى
أن اسبلم جرحوا وان فتحوا صابوا
دا أنا اللى خايف على العمر يفنى وأنت شابكنى

وكثيرا ما يتمثل تنكيل وعذابات ذلك الكائن الخرافى ـ البين ـ بضحاياه عن طريق الحب وأمراض الغرام :

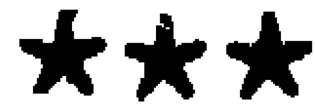
فات شهرين .. وراح شهرين .: وجه شهرين
نص السنة فاتت ما انطبقلى رمش جوا عين
البين وعم البين وخال البين
البين ركبلى ع الخدين دولابين
وكل دولاب بستاشر قنا تجرى
بينزحوا دم من مغرم كواه البين



شعبان ورمضان وشهر العيد ومحرم
لربع هلالات على نومهم جرم
لا بسهر ارتاح ولا بنعس يجينى نوم
ولا آكل باكل ولا ليه جلد للصموم
وآدى خلى البال راقد لم بيتحرك

ويبدو أنها واحدة من أغانى ومأثورات العمل لمهنة النساجين وعثر على أغانى عملهم فى الفولكلور الأوربى بكثرة :

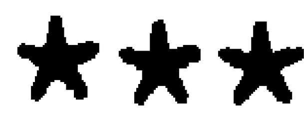
يـالى أنت نساج ٠٠ احنـا الكل نساجـين
تبرم على مـسين ٠٠ واحنـا الكل برامـين
وسر تربـة نبى ٠٠ بـالسيف شهر الديـن
حليوه خطر ع الباب ٠٠ قوم ننضر اللى برامين



يـا نجمـة الصبـح طـلى وارجعى روحى
وسـلميلى عـلى الـلى مهنيـاه روحى (٥)
وسر من انـزل القـرآن فى اللـوحى
حـابكى على النـاس ولا أبكى على روحى

ويتضمن المربع التالى لغزا شعائريـا لذلك الطير الرابض فى كبد السماء لحمه حرام أكله ، على عكس من دهنه :

رق عن أهـل العشـق يـا مـالك
وادرى بـأن مـذهبى مـالك
عينى رأى طـير (٦) فى كبـد السما بـارك
لحمـه حـرام ودهنـه حللـه المـالك



يا مين يجيبلى حبيبى وياخد من عيونى عين
ويـاخـد نص التانية وأشوفـو بنص العين
الحلـو قـابل حبيبـه فى نهـار اتنـين
قعـدم يعيـدو الكلام بكيم سـوا لتنين
اتنين فى اتنين يا قاضى الغرام أربعة واتنين
اتنين فى حيط ٠ واتنين فى بيت ٠ واتنين فى بحر
واتنـين فى غيط واتنـين فى قصر واتنين فى مصر
واتنين فى اصطمبول
اتنـين فى حيـط دى عقـدة ودى صره
واتنين فى بيـت دى قحبـه ودى حـره
واتنـين فى غيـط دى حلـوه ودى مـره
واتنـين فى بحـر دى لفشـه ودى بنـه
واتنين فى قصر ٠٠ أناومحبوبى منسكر فى أوان العصر

(٥) الذهبى ٠
(٦) النحل ٠

وتنين (٧) فى مصر

واتنين فى اصطمبول سبحان من يعزل ودا يولى
يا مين يجيبلى حبيبى وياخد من عيونى عين

★★★

ما تحسب اللى بيضحك دايما مشروح
ضحكة يكيد بها العدا ودايما الفؤاد مجروح
أهل المحبة تملى لونهم مخطوف
ولا يذوقوا المنام الا خطوف خطوف
آدى مدة سنين وأنا راقد ع الفراش مطروح
وآدى سنة حول والطبيبة تيجى وتروح
وف طلعة الروح داخله العاهرة بتشوف

★★★

حاخس عقلى وآجى تانى أعاتبكم على اللى رايح
والا أسامح ويامـا جـه ويامـا راح
لما لقيت مسككم عند العوازل فاح
لاكف قدمى وأقول البر احسنلى
وافطر ببصلة واستغنى عن التفاح

★★★

ازاى قلبى يريدك ومعروفى معاك ضايع
القلب شاريك لكن أنت يا ردى بايع
ياما بنسمع كلام الناس بوجايع
وكل كلمة أقسى من السيف علشانك
وقعدت أحقق لقيت حقى معاك ضايع

---

(٧) النص هنا ناقص · ولم أتمكن من تحقيقة من قائله عبد العال صالح تبع احدى قرى مركز ابشواى ـ فى حدود ٦٨ سنة ·

- ١٢ -

اليالادا •• وأمراض العشق

وفى قصة العشق الشعرية التالية ، والتى يمكن أن تصنف على اعتبار انها « بالادا » والتى تثبت مقولتها المحورية ، ان التعبير المتوجع « آه » لم يأت ويصدر الا من عليل الحب •

ثم تحكى عن ذلك العليـل الذى كان « يمشى فى الحرير ويخب » الى ان ابتلى العشق ، فصرع وجاءه طبيبه ليطببه من « أراضى الشام » التى لابد وانها كانت متفوقة فى الطب ، لكثرة ما يستشهد فى هذه المأثورات بفصاحة حكمائها وأطبائها •

ثم كيف ان جرح عليل العشق المتقيح الدامى تسبب فى قتل الطبيب المداوى ، فلم يعد ويرد لوطنه ، وحاول ابنه السفر الى مصر لارجاع عظام أبيه ، فأثنوه الناس وأخافوه وأرجعوه ، الا ان أمه أصرت على سفر ابنها لارجاع جثة أبيه ، وهكذا سافر الابن على بكره أو جمله ــ المنكوى نابه ــ فوصل العليل فى خامس يوم ، وعلم بموت أبيه ، ورغـم ذلك حاول رد اعتباره ــ كطبيب شاطر كأبيه ــ ان يعالج عليـل العشق ، الذى عاجله قائـلا :

يا ابنى دول وصفم لجرحى
تلتميت أردب خردل كل حبه بألف
وجانى الفين طبيب شطار وكمان تبعهم ألف

جميع هؤلاء الأطباء اغطسوا فى جرح العليل ، الذى من سوء بخته « غرق الألفين ، وتاه الألف » •

ــ وأنـا أصـل جرحى من المحبـه جلف
ــ وما ظهـرت الآه الا من عليـل الحب

« ما ظهرت الآه •• الا من عليل الحب »

مـا ظهـرت الآه الا من عليـل الحب
ماقالهـاش آه ، الا لمـا ملتقلـوش طـب

من بعـد ما كان يمشى فى الحـرير ويخـب
صبـح عليـل وحالــه لــم يسر حبيـب
قام درى عليه طبيب شاطـر من أرض الشام
ركب على بـكرته ورحلــو فى نهــار الحــد
ولمـا كشف عن الجـرح فجت ريحـه منـه
وقـــع الطبيب مـات فى الوطن لـم رد !

« الطبيب كان لو ابن »

قـال : والله الخبر دا ما درينـا بيـــه ؟!
واجب عليه أروح لـو أعزى فيه .

★★★

الولد طالع واحد من بلد العليل لاقاه .
قالو يـا ابنى عـاود من هنـا تـانى .
لتموت زى أبوك ، ولا ترجع ع الوطن تانى
قالـو : ازاى أعـاود من هنـا تـانى ؟!
وأنا بعد أبويا كوانى !

★★★

الولد عاود يبكى دمعه من العين دى ودمعه من العين دى .
وقال : وحدانى وبقى كدى على زندى
أمه تقوللو : عاودت ليه يا ابنى ؟!
قال : واحد من بلد العليل لاقانى
قللى عاود من هنا تانى
لتموت زى أبوك ولا ترجع ع الوطن تانى .
مرات الطبيب لها إخت ، قالتلها :
يا أختى ابنك بقى راجل . هو جوزك كان حنش
والا الأمير فاضى ! .
قالت لها جوزى كان طبيب شاطر مهنينى .
وكنت شـايلاه لعازات الزمان وغسلى وتكفينى
قوم يا ابنى سافر مـا تعمل على عنـدى
سافر وهـات عضـم أبوك ادفنه عندى

★★★

الولـد كان عنـده بـكر(١) منكـوى نابـه ..
ســفر أربعـين يـوم فى أربعــة جابــه ..
خـامس يــوم فتــح ع العليــل بابــه
قاللو : تعرفشى يا عليل الطبيب اللى كان هنا
راح فين ؟
قاللو : مات .. وأنت عاوز أيه ؟

★★★

الولد طلع خاطره مكسور
يلف فى البلد ، يلقى البلد عاليه وعليها سور
يقول يا أهل البلد دى ، تعرفوش الطبيب ..
اللى كان هنا راح فين ؟
قالولو مات منشهدشى شهاده زور
مقال يا بكر الشام دلبنا ..
ياما كشفنا على جروحات وقطبنا ..
اليوم ظهر عليل فى الحى غالبنا ! .

★★★

سمع الكلام العليل ، قال :
هاتوا الولد هاتوه ..
قاللو : بتقول أيه ياابنى ؟
قاللو : بقول يا بكر الشام دلبنا ..
ياما كشفنا على جروحاته وقطبنا .
مقدمة عوم ، والموج غالبنا .
واليوم ظهرت أنت فى الحى غالبنا .

★★★

قاللــو : يـــا ابنى دول وصفــم لجــرحى
تلتميته اردب خــردل ، كل حبــه بألـف
وجــانى الفــين طبيــب شــطار .
وكمان تبعهم ألف .
دول ودول نزلــوا فى الجــرح غطاســين
من ســو بخت العليــل ، غرقـوا الألفـين
وتاه الألف .
وأنــا أصــل جــرحى م المحبــه جلف
ولا ظهــرت الآه الا من عليــل الحــب .

★★★

(١) بكر : جمل .

الحمد لله بـلانا طـاب ماعادينـاش حـسد ٠
بلـوه خفيفه وماحملناش جمايل حـسد ٠
مشى الجميل مشيت وراه بالقـدم والحـد ٠
أنـا عملت شحات طـالب حسنة الاموات ٠
قـالى بلاش مرقعـه ماقبلنـاش حـسد
انـا قلت يـا شيخ والله أنت كلامك جـد ٠
ان كان أهلـك عليـه علمـوك الصـد
الـزم محلـك ولا بفتشى تواعـد حـد ٠
أم العليـل سافـرت من جـد لتانى جـد ٠
تجيب دوا ابنهـا اللى انطحـن جسمـو
وحيلـه انهـد ٠

★★★

أكـم يـا عبـد تزنى والالـه يستر ٠
مـا فـوت لمـن لقيتـك ع الجبين تستر ٠
فى ايـده كتاب المحبـه فيـه عشر تسطر ٠
أول من السطر تنسانى يـا جميل مانساك ٠
يسعد صباحـك من الله يـا جميل ومساك
ومـين دا الـلى عليـه بالجفـا اساك
هـو اعطـاك مال والا خاص الحرير وكساك
تـانى من السطـر تهجـرنى بـلا ذلـه
خليت عضايـا على النيران تتقـله
وسر تربـه نبى وابـن عبـده الله
خليت جســدى من الهجـران تتقلـه
تـالت من السطـر كامـل والنبى كامـل
من يوم ما غابوا الحبايب والقلب ما تكامـل
وسر تربـة نبى راحلـو الحـج متكامـل
أنـا ابتليت بالمحبـه قبـل ما تكامـل ٠
رابع من السطر بنيت بحرالمحبه طين لقيتو جبس ٠
ولان عليـه اللى أحبـه بعـد ما كان دبس (١)
والله المحبـه بـلا ما هياشى بكتر اللبس ٠
خامس من السطر ياما النـاس سبونى ٠
صـارم حواسـه على بابـه وفـاتونى ٠
وسر تربـة نبى فى الشرق مدفونـه ٠
من عانـد أهـل المحبه صـار مجنونـه ٠

---

(١) دبس : عسل ٠

سـابـع من الســطر أخشى اللـه يا فاتـك ٠
اضـحك بسن الرضى ولا تشـغل بالـك ٠
سابع من السطر شوف حالى ولا ترحـم ٠
مشبوك ٠بعنبك وأنت يـا جميـل أرحـم ٠
وسر تربـة نبى راحلـو الجمـل أرحـم ٠
من داق غرامك يقول نار الجحيم أرحـم
تـامن من السـطر شـوف حـالى وتيسر ٠
شـوف من كـواه البـين وتحسر ٠
وسر تربـة نبى راحلـو الجمـل فسر ٠
أنـا ابتليت باللى أحبـه قبـل ما فسر ٠
عاشر من السطر آهو جاد الجميل بالوصـل
وبـات فى حينـا ماعـدشى يقصر قصر ٠
والله المحبـه بـلا مـاهش بكتر النصر ٠
وأنت يـا رب على قتـل الغـرام تستر ٠

★★★

« نزلت السوق اجيب غله »

أصل الحكايـة نزلت السـوق أجيب غله ٠
السعـر غـالى لكمى فى الحبـوب غلـه ٠
لقتنى عـدره جميـلة فى أيـدهـا حلـه ٠
حلت بضايـا وجسمى حلتـه حلـه ٠
أنا قلت يا ست بدى احظى بوصلك يوم ٠
قالتلى تروح فين يـا غلبـان ويـا مغلوب
بامـا اكم حوجـه نفـق مالـه وصار مغلوب
وأنا شيفاك من كتر مالك لابس القميص مقلوب ٠
قلتلها يا ست أنا حرايرى أبيع فى الحرير شراى
وعندى الدهب أنا اللى بصبو صب ٠
حتى جمالى البخاتى باركه فى الدرب

قالت :
ان كان الكلام دا لـو أثبـات جـود حدانـا
حدانا يا جدع الليلادى وبات
أنا رحت السوق جبت رطلين لحم
وقلت يا واد على بيت الصبية مر

قابلنى طير اسمو الغر
خبطت ع الباب طلعتنى قصر بتلتميت سلم
وكل سلم يقول يا سلام سلم ٠
فضلت مقعدانى لما مجلس الصبح خد حقه
الديب عرف عشته والفار دخل شقه
قلتلها :
يا وليه دا أنا صعيدى وضراب طوب ٠
أعد كما الألف لمن آخد المحبوب ٠
زعقت :
يا بربرى حداك شومه ورا الباب مبرومه ٠
جايتها يا ناس وعطتنى بها ألف معدوده ٠
وزقلتنى من الشباك
كان ساعتها الغفير بيقول يا دايم
هوا الجدع دا بيسرق خير وبهايم ٠
أنا قلت يا واد قوم اتمشى ٠
لا ييجى الغفير يضربك لما تستكفى ٠
أنا جبت محرمه وربطت بها ضلوعى ٠
تمنين يوم لمن طابت أوجاعى ٠
وقلت يا واد روح للصبيه فى صفة حمار أو ساعى ٠
أنا قلت بيت الصبيةفين اللى سبت من العشاق ألفين٠
القتيل اللى قتلتهأهله قاعدين فى المحكمة صافين ٠
قالتلى :
المطرح بعيد وأنا مستكلفه المشوار ٠
قلتلها :
عندى حمار أخضر وأعملك البردعه زعبوطى ٠
بقى الحمار يجرى وأنا ف نار الحب يا غدار
أنا جبتها ف سكه منقطعه
قلتلها :
اقعدى هنا بلاش قضيه ٠
لو كلك أكل مالوش عداديه ٠
قالتلى :
حيلى على حيلك
يااللى البواكى بتشكى فى تراجيلك

كت شيعلى طرف مرسالك وأنا أجيلك
يالى البواكى بتشكى فى تواجيلك ·
أصل الحكاية نزلت السوق أجيب غله ·

★★★

« الحبيبه كحيله »

صعبان عليه كحيله كنت مربيها
خانت ودادى ولا طمرشى الربايه فيها
أنا قلت خدها يا دلال على سوق لتنين وديها ·
وان ماتبعتشى فى لتنين انزلبها التالت ·
دى طلعت خاينه رديه ومن لحم البغال شالت ·
وان ما تبعتشى فى التالت يا دلال انزلبها لربع
دى خانت بعد قدح سمسم ويا تلات اربع ·
وان ما تبعتشى فى لربع انزلبها الخامس ·
وان ما تبعتشى فى الخامس انزلبها الجمعه ·
وأعملها سوق على غير سوق الناس مجتمعه ·
وان ما تبعتشى فى الجمعه انزلبها السابت ·
أنا أحسبها أصيلة يا دلال وحبى ف قلبها ثابت ·
أتاريها زى أمها من قبلها فى الخلا سابت ·

★★★

« البنت حكام »

أول كلامى أنا بمدح الهادى ·
بمدح نبى زين فى كل بلاد وأراضى ·
الا وصبيه قابلتنى الصبح وخدها نادى ·
شاورت عليه وكلمتنى وندهتلى ·
فز أبوها اللعين وقاللى :
يا جدع ايش كلمك بنتى ؟
أنا قلت يا عمنا الشيخ هيه اللى كلمتنى وندهتلى
نادى وقاللها يا بنت يا حكام
يالى ما صار عليك فى البلد قاضى ولا حكام ·

قالتلو أخرس يابويا لصبحك فى دين الحكام
كل ما حد يجيلك يابا تقول البنت قاصر وأنا بالغ ٠
وكل ما حد يجيلك تتقل المهر وتقول حطوه مبالغ ٠
هجرتنى يابويا الله يوعدك بالهجر ٠
نشفت عودى وخليت حسن عقلى راح ٠
اذا كنت ما انتش قـارص عليه بالجواز قارص ٠
لكنت أضحك والعب وأقول أنا اللى لى فى البلد فارس ٠

★★★

- ١٣ -

التمثيل بالشخصيات التاريخية والأسطورية

وكثيرا ما تفيض هذه الأشعار الغنائيـة ، في التمثل بالشخصيات التاريخية والأسطورية والخرافية ، سواء حينما تستشهد بجلدهم وصبرهم على الشدائد والكوارث والمحن ، مثل أيوب وزوجته المحبة ناعسة ، ومثل نوح وزوجته - برها - التي انساقت لغواية الشيطان ، بل هل توحدت به في تخريب فلك نوح - ٣١ مرة - صالح الذي كان غريبا مضطهدا في قومه ثمود ، كما ذكر المتنبي « غريب كصالح في ثمود » الى ان دمر ثمود انتقاما هي وقراها الخمسة .

وهو ما يمكن أيضا تواجده في الفولكلور الاوربي بعامة ، منها أغاني الملك كنوف على ضربات المجاديف للماء وأغاني الكهنة المنشدين ، وأغاني عمل النساء ، اللائي يطحن بالرحى ، كما اتفق على تسميتها كتاب العصور الوسطى ، وأشهرها أغنية تحكي معاناة الملك بيتاكوس الذي قضي عليـه بأن يمضي بقية عمره يطحن بالرحى .

مثلما حدث وتمثل في أغاني « سعده » ابنه الزناتي خليفة قائـد جيوش تونس حين اغتالـه خصمه - الحميري القحطاني - دياب بن غانـم - الزغبي - وكان يعشق سعدى ، التي كانت تحب بدورها مرعى ، فكان ان سجنها دياب تطحن الرحى وترتدي ثياب الخيش حين رفضت حبه .

ولعل السيرة الهلالية ان تكون من أبرز السير والملاحم العربية ، التي استقلت عنها أعمالا قصصية وشعرية من نوع البالادا ، كما لم يخل الأمر من المواويل التي استقلت بدورها عن هذه البالادا ، تصوغ مدى عشق عزيزه ليونس ، وسعدى لمرعي ، وعاليه لأبي زيد الهلالي .

منها الموال التالي الذي يتحدث عن عزيزه ابنة سلطان تونس « معبد ابن باديس » التي عشقت عدو أبيها وبلادها يونس ، ابن السلطان حسن ابن سرحان الهلالي ، سلطان الهلالية الغازين ، حين تحايل فرسان الهلالية

الثلاثـة « مرعى ويحيى ويونس » حين ريـادتهما لاستكشاف تونس مع ـ خالهم ـ أبو زيد الهلالى واضطرارهم لبيع عقد ثمين من الجوهر ، لعزيزه عن طريق دلال ظل يفاخر بجمال يونس وفضائله أمام عزيزة :

آه يا ستى لو شفتيـــه
وشفتى طولو مع معانيه
تفوتى قصرك باللى فيه
واسمك الغـالى نسيبـوه

فكان ان تحركت لواعج عزيزة نحو يونس ، كما يصفها هذا المأثور التـالى :

وقفت عزيزة فى ريح القصر وريحاته
وقالت يا دلال صاحب العقد روح هاته
يا بخت من حدى بوصلك يا يونس فى السنه مره
يسود شعره ، وتحلى عيشته المره
ولما قالوا لعزيزة دا يونس فى الشجر بره
نزلت تهز اليلك وتقوللو كنت فين سلامات
ومن ابتلى بك يا يونس ، طبج (١) وانسلى مات
خدتو عللى الصدر حوا القصر وراحاته ٠

★★★

« لمتونى »

بكيت زليخه وقالت :

عشت فى الذل لمتونى ٠
ف حب يونس يا بنى يعقوب لمتونى ٠
عمت عزومه زليخه ٠ ودبحت ميتين كبش ، ومن الغزال ستين
الا وجولها البيض فى أوان عصر
ومالوا وقالو لها ، فين يا زليخه
اللى عليه البيبان ساكين ٠
ما فتحت زليخه الباب ليوسف ما خرطت يدهم سكين
قالت آهو يا مساكين ، اللى عليه لمتونى ٠

---

(١) أى انفجر ميتا وسلى جسده ٠٠ ومات ٠

وزليخه هي امراة العزيز ، ويوسف ، هو النبي يوسف · والموال هنا يدور حول جمال يوسف وحسنه ، ويؤكد الخرافة الراسخة عند الفلاحين ، التي تقول ان الخطوط المتقاطعة الموجودة في داخل كفة اليد ، تأثير ابهار النساء ـ البيض ـ الذين عزمتهم زليخه وأحضرت لهن التفاح ، والسكاكين ، وعندما شاهدن يوسف ، بهرن من حسنه ، فنسين أنفسهن ، ومضين يقطعن بالسكاكين من كفات أيديهن ، بدلا من التفاح !! ·

فقالت لهن زليخه شامتة :

آهو يا مساكين اللي عليه لمتونى ·

★★★

درغام يقول للخفاجا :

يوم غرب النجع ياما بكى درغام
وقال بيض الليالى مضت ، واللى بقى صار غام (٢)
رايح تغرب يابو دوابه (٣) ، وفايت لصطبل والخيل فيه

بكي درغام وقال :

بيض الليـالى مضت ، واللى بقى صـار غـام
بكر الصجر راح ، ما عادت تنفع الخلفيه (٤)
ظهـر سبع في الغرب سموه الرجال خلفيه (٥)
ساعه يسمع الطبل ، ييجى مألوب كما درغام

بكيت بنته دوابه وقالتلو :

يابـا أنـا شايفه عينـك ع السفـر هتزول
درغام أبوك كبر ، وأمك شوله بعقلها هيزول
الغربـه تريه بابـا ، تقـل الأصـول وتزول
ما قال بطلي يادوابه ، مع الناس دول هنروح
زيدان عمل فيه طوله (٦) ، وصاحبى بالروح
مكتوب على باب تونس ، قايمـة فى اللوح :
تفـنى الخلايـق ، وكل العبـاد هتـزول ·

---

(٢) صار غماء وحزنا ·
(٣) دوابة ، هى ابنة الخفاجا ، الذى يدعى فى الموال النجع ·
(٤) أى الخلفة والذرية ·
(٥) خليفة الزناتى ·
(٦) عمل معى جميل ·

ـ ١٤ ـ

البنية القرابية وممارسات وأغاني الزواج والانجـاب

وبقدر ما تلتقي دورة طقوس الانفصال والغياب بالموت ، عند معظم شعوبنا وكياناتنا العربية وما يتبعها من أغاني وتراتيل جنائزية ـ مصاحبة لنوعية الميت وجيله وصيته ، رجلا ذكر كان ، أو امرأة أنثى ، أو عروس ـ بكرية ـ لم تتزوج ـ •

فطقوس الانفصـال هنا هدفها حمايـة الأحياء ، بتسكين روح الميت أو المتوفى ، وبعث أكبر قدر من الطمأنينة والأمن ، لكلا ـ روح ـ المتوفى ، وذويـه •

كذلك تلتقي الأغاني والأهازيج والموشحات ، المصاحبة لدورة الحياة وطقوس تجمعها بالزواج والانجاب ، داخل رقعة فولكلور شعوبنا العربية ، الى حد التوحد •

بل انى أتفق مع الباحث الفولكلوري العراقي لطفي الخوري في أنه لا اختلاف كبير في « الأسرة العراقية وتقاليدها العامة المتعلقة بالزواج عن بقيـة الأسر في الأقطار العربية » (١) سوى في بعض التفـاصيل ، التى تفرضها البنية السكانية ، وكذا القرابية والبيئية ، بالاضافة طبعا للقسمات الدينية التى تشكل الوطن العربي ، من مسلمين وأقباط مصر ، ونسـاطرة العراق ، وموارنة لبنان وسوريا العليا •

الا ان القاسم المشترك لها ، يتمثل في كونها طقوس ـ انتقال ـ تجمعية قوامها الاحتفالات الدنيوية البهيجة وما يصاحب أغانيها من صلوات الشكر في الكنائس ـ كما يدخلها كراب ـ •

---

(١) العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية في الوطن العربي ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ ادارة الثقافة ـ تقاليد الأسرة العراقية واحتفالاتها في الزواج ـ لطفي الخوري ـ القاهرة ١٩٧١ •

فطقوس (٢) الانتقال المصاحبة للزواج والميلاد ، لا تخلو على طول الوطن العربى من جذورها الأولى السحرية والطوطمية والقبائلية • بدءا من استخدامات رش الملح الجماعي ، كممارسات لسحر المشاركة ، والتزين ، والزغاريد ودق النواقيس والأصوات العالية والأعيرة النارية التى هدفها طرد الأرواح الشريرة وشرور العين واشاعة الأمن على العرس ، وذروته هنا حما العروسين •

ومرورا بالزواج بالأقارب ، أو الزواج ــ الاتصالى ــ الأسرى القرابى القبائلى • بل ان فى تقاليد واحتفالات الزواج والانجاب والأغانى والأشعار والممارسات المصاحبة لها ، على طول الكيانات العربية ، أرضا خصبة حقا بالنسبة لدراسة نسق أو منطلق جوهرى أو استراتيجى لتراثنا العربى بكامله ، وهو **النسق القرابى القبائلى** ، الذى يتبدى بكثرة ملحوظة الى أقصى مدى فى تراثنا الفولكلورى العربى بعامة ، بخاصـة فيما يصاحب الزواج ومراحل انتقالاته ، لا فـرق كبير فيما يجرى فى دلتا الرافـدين ، ومصر ، وفلسطين ، أو المشرق العربى والسودان •

من ذلك الكثرة الموسمية للزواج ومراسمه ، التى عادة ما تجيء فى نهاية موسم الحصاد ، وجمع الغلة ، لدفع المهر ، أو وحدة مهر العروسة ، التى كانت فى الجاهلية تحدد وحدتها النوق أو الجمال ، وعرف الى اليوم بزواج المهر ، تمييزا عن زواج « السنفطة » لشمال العراق ، و « الفصل » فى وسطه ، ثم « عقد النكاح » لحين الحنة أو ليلة الحناء ، وما يصاحبها من أغانى الفتيات المراهقات ، الكاشفة فى معظمها عن محرماتهن وتابواتهن ، فى الحب والجنس والزواج ــ كما سيرد بكثرة فى مأثوراتنـا القادمة عن أغانى الحناء ــ •

كما ان فى دراسة أغانى وممارسات الزواج والانجاب وما يدور فى فلكها من شعائر ــ وخرفات تفصيلية ، منها ما يتصل باستخدامات نباتات بل وعطور ووحدات تشكيلية بعينها ، وما يتصل بافتعال العراك والعنف والمشاجنات ، لحظة خروج العروس بزينتها ، من بيت أبيها ، أو فى حالة تخطيها للمرة الأولى عتبة بيتها ــ الزوجية ــ الجديد •

وما يتصل بشعائر تقديس عتبات البيوت ، التى ترجع جذورها فى التراث الأسطورى والفلكلورى السامى الى ما قبل الألف الثانية ق • م •

مثل سكب المـاء ، وأحيانـا الملـح على العتبـات وكذا التوسـع فى استخدامات النباتات الخضراء ، كالنعناع وسعف النخيل ، توسلا بسحر

---

(٢) فان جنب ــ المصدر السابق •

الشبيه ـ الذى ينتج الشبيه ـ أو الشبشبة ، بدءا من خرق الحيص ، وحرق وغز رسوم العوازل والأعداء والحاسدين .

وكذا شعائر انتقالات « أوض » أو حجرات النوم أو الدخلة وأخذ الوش ، ودور الداية أو القابلة ، بتعريف العروسين ، ودفع « فك الدكة » ـ من نقود للداية أو العروس ، وأغانى أخـذ الوش ـ أو فض البكارى ـ التى ـ عادة ـ ما تجرى على مشهد من الداية ، باستخدام الأصابع وعليها ـ المحرمة ـ الحريرية البيضاء ، واشهارها بالأغانى عبر البلدة أو النجع « قولو لابوها ان كدن جوعان يتعشى » .

بل هى مادة خصبة للمزيـد من تكشيف وضـع المرأة ، وادانتها ـ الأسطورية ـ الأولى ، منذ أساطير الخلق الأولى لحواء ، وخلقها من الضلع السادس للرجل المنحدرة منذ السومريين ـ ٥ آلاف عام ـ وتبديها بكثرة فى التراث الشامى ، أو الكنعانى ، لحين سـفر الخلق أو التكوين ، الأول والثانى .

وكذلك ما يـدور حول أشهر الحمـل التسع ، وممارسات حيض النساء ـ بالوجـع تلدين أطفالا ـ وكذا سيادة الرجل الذكر على الأنثى ، والسبب فى ان الكذب يسود الوجه ، وكذا أفكار وتعويذات مثل : الخمسة وخميسة ، العين الحاسدة ، النفس الخالق ، والعائن أو المعيون أو النفس الخالـق .

فمع استمرارية ابنية أنساق المجتمع ، تظل هذه الظواهر والموروثات تواصل توالدها الذاتى ، بنفس ما يحدث فى الأساطير والملاحم والحكايات والأمثال ، بل والنكت والأسماء والأحاجى أو الحذور (٣) والأدعيـة ، من سالبة لموجبة .

وجميع هذه الأبنية التى كانت المدرسة الانثروبولوجية بريادة آرثر تيلور وتلميذه أندرو لانج أول من أشار اليهما فتعاظم دورها فيما بعد لدرسة الفولكلور ، وأخصه ثالوثه الأزلى ، من مجىء أو ولادة وزواج وموت .

ومن هنا يمكن القول باسهام جيل الفولكلوريين الأنثروبولوجيين فى المساهمة الى المنهج البنائى ، الذى غرضه النهائى الالمام الموضوعى لمختلف جوانب الظاهرة ، مع الغاء الحواجز التقليدية بين مختلف النظـم والعلوم وتكوين منهج يعتمد على كل العلوم والدراسات بل ان للباحث البنائى الحق فى التعرف على مستويات الحقيقة أو الظاهرة التى لها قيمة استراتيجية من وجهة نظره ويعزلها .

---

(٣) مفردها حذر وجمعها محذورات أى محظورات .

ومرة ثانية ، من مدخل تنشيط دراسات نسق القرابة وعلى مستوى بلداتنا العربية بهدف استيضاح البنيان الطبقى والقبلى ، لا بهدف التوصل العنصرى المفضى بالضرورة الى الفاشية ، ستوقفنا مثل هذه الدراسات على واقع بنياننا السكانى والاجتماعى ٠

فليكن الهدف هنا ، هو الدخول الى أخذ ميادين العصر الكبيرة وهو ميدان الاتصال ٠

فكما يقول ليفى شتراوس : « يجب أن تخضع دراسة القرابة والزواج لبعض المناهج التى تنبع مباشرة من نظرية الاتصال » ٠

ولعل الملمح الأساسى لتقدم الانثروبولوجيا الاجتماعية منذ القرن الماضى كانت زيادة الانتباه الى البناء أو النسق القرابى ، ويرجع هذا التقدم الى عبقرية لويس مورجان فى كتابه الرائد فى هذا الميدان عن « أنساق روابط الدم والمصاهرة فى العائلة الانسانية » ، عام ١٨٧١ ، وساهمت هذه الدراسة فى وضع أسس الدراسات الانثروبولوجية والقرابية ، الى أن اكتملت هذه الدراسات فى علوم الاتصال ، ثم ما تلا ذلك من جهود العلماء الاجتماعيين فى هذا المجال البكر ، مثل لومى عام ١٩٤٨ ، ومردوك عام ١٩٤٩ ، وسبوشر عام ١٩٥٠ ، ودراسة العالمين الكبيرين راد كليف براون وفورد ٠ وجميعها بالطبع تعتمد اعتمادا كبيرا على الدراسات الميدانية ، أى التوسع فى جمع المعلومات والبيانات وهو ما نطالب به بالنسبة لقيام مثل هذه البحوث فى مصر والعالم العربى ، على ان تجىء مثل هذه الدراسات مستهدية ومرتكزة على الجهود الضخمة التى بذلت منذ مطلع هذا القرن ، والتى يرى ليفى شتراوس انها لم تثمر كما يجب رغم غزارة مواردها وبياناتها الانثروجرافية المتصلة باختبارات الزواج وأنماطه من داخلى وخارجى ، ومن أبوى وأموى ، بالاضافة الى كيفية تنظيم العائلات والعشائر والقبائل وبقية النظم والمعتقدات الطقسية والدينية واللغوية ، بل ويمكن القول بأنه حتى لعب الأولاد ، أو نظرية الألعاب التى كان كروبير أول من لفت الأنظار الى أهميتها عام ١٩٤٢ فساعد أكثر فى ايضاح النسق القرابى ٠

ومن المفيد الاشادة بالدور الذى أصبحت تلعبه بعض الدراسات الميدانية لهذا الفرع ٠

وقد يكون للدور الكبير الذى لعبه راد كليف براون بشكل خاص بالنسبة للدراسات البنائية فى عمومها ، وبالنسبة للنسق القرابى خاصة ، أهمية جديرة بالتوقف عندها ، ففى دراسته الميدانية ومنهجه فى التصنيف بالنسبة لنظم القرابة فى استراليا أو فى اكتشافه للقوانين المتحكمة فى نظام القرابة عند قبائل كايرا ، والتى كما يقول شتراوس : « ستبقى الى

الأبد واحدا من أعظم النتائج فى الدراسات الاجتماعيـة البنائية ١٩٣٠ ـ ١٩٣١ » • اعتبرت مقدمة براون الرائعة لكتاب « انساق القرابة والزواج فى أفريقيا » خطوة متقدمة نحو اخضاع نظم القرابـة فى العالم الغربى ، لنظرية عامة فى التأويل على مستوى عالمى • كذلك دراسته المتفرقـة عن مصطلحات القرابة وسلوك الأقرباء : السلوك المصاحب لأطوار العمر الثلاثة من ولادة وموت وزواج • كيف تتصرف الأم والأعمام والخالات خلال زواج ابنة أو طلاقها ، أو موتها أو حملها ـ الخ •

السلوك المصاحب لعادات الاقتتال والثـأر ، أو المصاحب لتصرفات الأسرة و العشيرة فى حالات مولد الاناث أو الذكور ، وزواجهم أو زواجهن •

ففى أهمية دراسة السلوك داخل النسق القرابى ، كما يقول « اوى » ما يشير ويكشف عن جوهر المنسيج الاجتماعى ، مثل ملاحظة ظواهر التزاوج الخارجى ـ الأكسوجامى ـ ، وارتباطـه من جانب آخر بظواهر وسمات محددة ، مثل تأثير مكان الاقامة أو الحقل الميدانى موضوع الدراسة سواء أكان قرية أو مدينة أو كانت بيئته بدوية او زراعية على البنوة ، وعلى عادات المباح والمحظور من التزاوج والعلاقات الجنسية •

ولقد اعتبر شتراوس ان من أغراض نظم القرابة وقواعد الزواج التى يسودها تناسق وظيفتها فى اتجاه حفظ بناء الجماعة عن طريق الربط بين علاقات كلا الدم وعلاقات المصاهرة ، بل ومن أهدافها اخـراج النساء من العائلات التى ينتمى اليها برابط الدم واعادة توزيعهن على جماعات أخرى •

ففى رأيه ان النساء فى أحسن حالاتهن ، أحد مستويات الاتصال ، وعلى ذلك فمن الزواج الى ابلغة يمر المرء من سرعـة اتصالية منخفضة الى سرعة اتصالية مرتفعة •

كذلك تمكن رادكليف براون ان يصل فى دراساته الى وضع مصطلحات أو قوانين لها عموميتها ، ولها ميكانيزماتها المحددة ، سواء بالنسبة للزواج والاحتفالات وسلوك أبناء العمومية فى المجتمع الذكورى وأبناء الخالات فى مجتمع أموى ، وكذا أوضاع الحموات وأقارب الزوجة والعكس •

ويتفق براون مع مالينوفسكى فى ان الروابط البيولوجية وروابط الدم ، هى فى ذات الوقت الأصل الانموذج لكل نمط من أنماط القرابة ، وان كان لم يرفع نظرية القرابة الى مستوى نظريـة الاتصال ، كما فعـل شتراوس •

الا انه يتفق مع ماكلينان ومالينوفسكى فى أن « تنظيم العائلة الذى يسود فيه حق الذكر فى كل مكان ، قد تم بفعـل قوة أساسية هى حـق الملكـة » •

وما يصاحبه من أغانى ومواويل ، لا يبعدنا كثيرا عن حاجتنا الى جيل مبشر جديد من الفولكلوريين الأبنوغرافيين ·

وحيث لا يقتصر دور باحث الفولكلور ، عند جمع وتسجيل ودراسة نصوصه الميدانية ، بمعزل عن ابنيتها الثقافية المتوارثة أو المتواترة ، وأخصه هنا ما يتصل بالبنية القرابية ، وكذا التابو ، ودوره وأنساقه ، وهو ما سنتعرض له فى الفصل التالى ·

– ١٥ –

التابو وظواهر العرس العربى المختلط

واذا ما انتهينا من ممارسات وظواهر انتقالات الزواج تمهيدا لتقديم ما يصاحبها من مواويل خضراء – فرحة – وأغانى ، للوقوف على كيفية تحكم المقرابة الطوطمية فى تقاليد وروابط – اتصالية وطبقية – للزواج ولايضاح كيف ان مثـل هذه الاحتفـالات وما يعقبها من انجاب للأطفال – وبالتـالى ممارساتهم وأغانيهم ، اعتبرت على الدوام مجالا وحقلا مخصبا للملمح القرابى والقبائلى لفولكلورنا العربى • بالاضافة الى بقية الملامح التى تحدد سمات وخصائص رقعة فولكلورنا المتوحدة – لكل من متكلم العربية وشقيقاتها من عبرية وسريانية – من ذلك التابو – أو المباح والمحظور – ، الذى لم تعد دراسته قاصرة على الاجتماعيين الأنثروبولوجيين ، بأكثر من الفولكلوريين •

والتابو يشمل كل حالات وممارسات المنع والتحريم والتجريم ، لحالات بعينها ، بدءا من شعائر الطهارة والنجاسة ، والبدء والنهايـة ، واخذ الوش ، والطهارة ، وعليه فدارسته لا تبعد بنا عن موضوعنا ، حول أغانى وممارسات الزواج والموت والميلاد •

لذا فالتابو يجد بالطبع أرضه الخصبة الجديرة بكل ملاحظة وتدوين ودراسة ، خلال شعائر الانتقالات الكبرى من « المهد الى اللحد » ، أو **الولادة والزواج والموت** ، التى تراعى بكل دقة ، وفى الخروج عليها مروق ، يستلزم فى بعض الحالات ، العقاب والطرد ، بل القتل •

فمنذ ان دخل تعريف أو مصطلح تابو أو تفوه Tafoo الى اللغـات الأوروبية ، فاستخدمه كتاب عصر التنوير أو القـرن ١٨ ومنهم جان جاك روسو •

الى ان شغلت فيما بعـد دراسته عديـد من المشـتغلين (١) بالعلوم لاجتماعية أو الانسانيات زمنا طويلا • وهل المقصود بالتابو هو اتيـان

---

(١) شارك فيها جيش من الرواد الاوائل امثال : ماريت ، وفريزر ، وتيلور ، وفرويد ، ودافيدسون ، سبشر ، رادكليف براون ، وسنيث ، وروبرت سميث ، والاخير هنا هو =

فكانوا ينظرون للمريض على انه جريمة أو خطيئة ، وقالوا بأن « المريض مكانه السجن » ".



وبالنسبة للمرأة يشمل تابو مجرد النظر لها كمحرم - أو عورة - عند مجمل الشعوب الشرقية الى حد رفض - الأنثى - في مطلقها العام كنوعية - وهو ما عبر عنه في الأخوة كرامازوف بطل ديستوفسكى ، الأب الرافض « فيدور بافلوفتش » في حديثه التهكمي مع الراهب « هل تعلم ان زيارات النساء في - دير - جبل آتوس ، ليست وحدها ممنوعة ، وانما يمنع هناك أيضا وجود الاناث من أى نوع من أنواع الحيوان . فلا دجاجة ولا أوزة ، ولا أية عجلة صغيرة يمكن أن يحتمل وجودها هناك » .

ولعل أخطر التابوات عندنا - في مصر والمنطقة العربية - هو ما يتصل بالمرأة والجنس سواء على مستوى الرجل بالمرأة أو الرجل بالرجل أو المرأة بالمرأة خاصة عبر شعائر الانتقال - الوسيط - للزواج وما يعرف بفض البكارى و أخذ الوش ، وعلى طول كيانات الوطن العربى .

فنحن ما نزال ننظر للمرأة تبعا لتواتر النظرة الحجرية أو الطوطمية أو الأسطورية السالفة ، على اعتبار انها منبت الخطيئة الأم ، كذا شملها التحريم أو الحرام أو الحريم والحرمة (فاعتبرت من المحرمات) وربط التابو بين النظر اليها والخطيئة على اعتبار ان « العين تزنى » .

وفى تقديرى انه لو كانت هناك دراسات علمية جادة تغطى تابو المرأة فى مختلف مراحلة وأبعاده ، لأصبح في الامكان التوصل الى نتائج مفزعة سالبة ، تتصل بأفرع النشاطات الابداعية والانتاجية والعقلية والتسلطية ، لعل أبسطها هنا تصورنا لمدى التخلف الذى انتهت اليه المرأة ركيزة الأسرة العربية ، نتيجة لظروف القهر والادانة المنحدرة الممتدة من عصور ما قبل العلم . وبالطبع والضرورة يواصل هذا التخلف تفريخه داخل الأسرة العربية التى هي نواة وركيزة المجتمع الأولى .

كذلك ستقودنا الدراسة الى مدى العلاقة الوثيقة بين تابو المرأة والجنس ، وبين آفة الانفجارات السكانية المهددة التى تعانيها شعوبنا ، خاصة فى مصر ، ووادى النيل بعامة .

ويلاحظ انه قد يبدو للوهلة الأولى ان جدلية العلاقة بين تابو المرأة أو الحرام Haram كما تنبه اليه وسماه وتعرفه روبرت سميث منذ مطلع هذا القرن ، وبين الانفجارات السكانية المخيفة التى أصبحت تتهددنا على المستوى الكونى ، وبخاصة فى العالم النامى .

وبمعنى آخر ، هل يؤدى تابو المرأة والجنس المتواتر منذ منبعه على طول منطقتنا العربية وأخصها مصر ، الى خدمة النسق أو البناء السكانى أو ان ما يحدث وتؤكده احصاءات الأمم المتحدة هو العكس ؟

بل ان في الحلول المتعسفة التى مداها التحلل الجنسى ، فى اتجاه عقلنة هذه العلاقة ، والتى يلجأ اليها الغرب ومجتمعات ما فوق التصنيع ، وأن من اهدافها الأخيرة بالطبع ، التوصل الى انضباطات سكانية أقرب الى الدقة والنفع ٠

كذلك ستوقفنا مثل هذه الدراسة الى الارتباط الشديد بين معوقات وتابوات الجنس وبين تخلفنا العقلى والحضارى ٠

ولا يمكن تصور مدى الارتباط بين حلول تابوات وموروثات الجنس ، وبين الاندفاعات العقلية والحضارية فى العالم المتقدم من حولنا ، بشقيه الاشتراكى العلمى ، والرأسمالى الامبريالى ٠ فما يحدث حولنا من ارتباط بين الجنس والثقافة ، ممثلا فى مختلف الأنشطة من نوادى ، لمجلات ودوريات وكتب وأفلام ومسرح وسينما وتليفزيون ، وتربية وشارع وسرير ـ الخ ، لا يحدث اعتباطا أو انحلالا كما يدعى الجهلاء الفاشست المخربون ٠

ولعل فى ظاهرة انفكاك وتفجر تابوات الجنس فى الخفاء والظلام والزحام ،بالشكل والكم الذى نشهده ونعرفه جميعا ، ما يشير بوضوح الى ظواهره المرضية ٠

★★★

ولعل أكثر الحالات أمنا ، والتى لا يعيرها الكثيرون التفاتا ٠ هى حالة الشذوذ النسائى أو البناتى ـ السحاق ـ وهى اقل حالات التابو عندنا ٠ وتبدو كما لو كانت طبيعية أو غير متصورة ، على عكس ظاهرتها فى الغرب الملفتة جدا ـ كتابو ـ خاصة انكلترا وأميركا ٠

فاذا ما تعمقنا قليلا فى جدلية العلاقة بين تابوات الجنس والزحام فى مدننا ، لهالنا ما وجدنا انها ردة ـ لاشعورية ـ لمراحل الاباحة ـ وليس القباحة ـ التى مرت بها مجتمعاتنا التى قدست عشتار والتعشير منذ ٦ آلاف عام ٠

ولو وجدنا أيضا انها حالة يمكن تصنيفها مع ظاهرة الثقافة أو المواقف المضادة التى تتمثل أولا ما تتمثل فى النكث والنكت الجنسية بشكل خاص، فى تلخيصها لرغبات دفينة ـ كما سيتبدى فى أغانى الزواج ـ وفى مجابهتها لمختلف الضغوط ـ الفوقية ـ والممنوعات أو التابوات ، ممثلة فى الموقف الرافض المضاد للعرف ـ المثالى أو العاطفى ـ للمجتمع المغلق ٠

فأجاب يعقوب وقال للابان أني خفت لانى قلت لعلك تغتصب ابنيتك منى الذى تجد آلهمك معه لا يعيش • قدام اخوتنـا انظر ماذا معي وخـذه لنفسـك • ولم يكن يعقوب يعلم ان راحيل سرقتها •

فدخل لابان خباء يعقوب وخباء ليئـة وخباء الجاريتين ولم يجـد • وخرج من خباء ليئة ودخل خباء راحيل • وكانت راحيل قد أخذت الأصنام ووضعتها فى حداجة الجمل وجلست عليها • فجس لابان كل الخباء ولم يجد • وقالت لأبيها لا يغتظ سيدى انى لا أستطيع أن أقوم أمامك لان على عادة النساء ــ تابو دم الحيض ــ ففتش ولم يجد الأصنام » •

فيلاحظ هنـا ان شعيرة أو تقليدة أو تابو ، تـدبير أو تلفيق حادث سرقة ، عادة ما يجيء مصاحب ــ لشعائر انتقالات ــ الزواج ليلة الدخلة ، هدفه احداث صدمة أو استفزاز ــ جنسى ــ ، حتى يمكن ــ لكلا العريسين ــ أداء دوره ، المبشر أو المشير فى النهاية الى الخلف الذكورى ، وليس أبداً كما فسره فريزر ، أى ان هدفه هو مجرد السرقـة والتحايل للتاجـر السامى ــ العربى ــ يعقوب وزوجته •

بل ان فريزر قد أخطأ وتجنب عدم اعتباره ، تابو ، أو مجرد سرقة عادية لأصنام آرامية أو لبنانية • ذلك أنه هو بذاته ما أورد كيف ان راحيل الذكية كانت قد أخفت ــ المسروقات ــ فى محفة ــ أوبردعة ــ أو هودج الجمل ، وجلست فوقها وهى تضحك فى أكمامها ، بينما كان والدها ينقب بدقة فى خيمتها •

أى ان راحيـل اللصـة السارقـة ، كانت تضحك ــ كالهـة ــ انثى مستبشرة بكلا ــ الاستثارة الجنسية التى أحدثتها الصدمة ، ليعقوب الذى لم يكن يعلم بما درته ، وبدور ــ هذا التابو ــ فى الخلق وانجاب الأطفال البنين •

ذلك ان راشيل كانت تعانى الى أقصى حد ، من عقورتها وحاجتها الى انجاب الأطفال الذكور ، وكانت دائمة التوجع والشكوى لحاجتها الى الانجاب « هب لى بنين والا فأنا أموته » •

وهكذا توالت معاناة راشيل ــ كالهة أنثى ، من أسمها تواترت تسمية اسرائيل عقب زواجها من يعقوب الذى تسمى برجل راشيل ، الى أن أنجبت يوسف أو النبى يوسف •

مما يرجح كفة تفسير أن هدفها ــ من تلفيق ــ حادث أو شعيرة السرقة هو انجاب الأبناء ــ الذكور ــ وهو ما توارى عن ادراك سير جيمس فريزر . وكذا قصاصنا الفلسطينى يحيى يخلف للسرقة ــ الملفقة ــ داخل عرس

بيتهم بفلسطين الذى حضرته امرأته ــ الوردة ــ ولحقها ذلك الاتهام ــ الملفق ــ الشعائرى ٠

يضاف الى هذا ان شعيرة السرقة ـ الملفقة ــ خلال ــ شعائرانتعالات ــ العرس المختلط ، ما تزال تمارس الى أيامنا ، سواء فى فلسطين كما تشير قصة المرأة ، أو سوريا كما يذكر د٠ الحمامى ، عن « سرقة بعض الأوانى ملعقة أو أبريقا ٠ وحجتهن فى ذلك ان تدخل العروس به ، فتنجب **أولادا من الذكور** » فيبدو انها شعيرة سامية ذات أصل آرامى ، أو لبنانى والاقرب الى ان يكون فلسطينى ، تواتر بالهجرة والتجاور ، الى التراث العبرى ، ومنه الى سفر التكوين ٠

كما قد يكون من أغراضه ، الاستحواذ على **العريس** وعى حواسه ومشاعره التى من أهدافها بالتالى : **حمايته** ــ ولو بالسيوف والبنادق ــ لحين دخوله على عروسته وفض واشهار بكارتها ، فهى **شعائر حماية لرجولة العريس** ، التى عادة ما تمر بسلسلة من شعائر الحماية ، سواء تمثلت فى خطار الجسد ، الذى قد يدفع بانسان عدو أو عزول لنعريس ، لان **يربطه**، وافتقاده لرجولته ، وقد يتمثل هذا فى العراق ٠ حين يمرق حيوانا معينا ــ أو تابو ــ من أمام موكب زفة عريس أو عرسه ، كالثعلب أو ابن آوى ــ كما قد يتمثل فى **سوريا** ، فى امرأة تمسك بيدها ابرة وخيط ــ غير معقود ــ نخيط بها عن بعد وهى ملازمة لزفته ، بهدف احلال السحر المضاد ــ أو الايجابى ــ الذى تقوم بعقده سواء القرينة ، أو خصوم العريس وعراله ٠

كل هذا الوخز بالدبابيس يلاحق مناطق العريس الجنسية ٠ ومن جانب ثان تشديد الحراسات بالبنادق والسكاكين والعصى والخناجر ، كما فى العراق ، حيث يمكن العثور بطريقة ملفتة الى مدى التوحد التراثى ــ العربى ــ مع مأثورات « ليلة عرسك اذبح بسك » **أو قطتك** ، **لاخافة** العروس ، من هول وتسيد رجلها ٠

بل عادة ما يتعرض العريس **للمحاكمة** فى حالة فشله واخفاقه جنسيا مع عروسته ، سواء من جانبه أو جانبها ، ففى حالة اخفاقه هو ، فما أن يتسرب خبر اخفاق السرير ، حتى يستقدمه رفاقه ، ويعقدون محاكمة قاسية ، حيث يهجمون عليه ويربطونه ، ويتكاثرون عليه ضربا مبرحا ، الى أن تأتى العروس وتتشفع له عندهم ، على أن يطول رقبتها معهم فى الفراش فى الليلة القادمة وينتصب ويشتد حيله ، والا فستعاود الشكوى والعقاب ٠

أما فى العراق فتبدو شعائر فض البكارة أكثر تعقيدا ، حيث تخيم عليهم مجموعة من التابوات ، منها ما يتصل بالرجولة والخرافات ونشدان الأمن ، فما ان يحبط العريس ، أو يربط أو يصاب « بالحبسة » حتى يقتضى هذا سلسلة من « التعزيم والكضبة » لابطال سحره ، باستخدام سحر الشبيه ـ الذى يلد الشبيه ـ ، أو الأثر ، بأخذ أثر من العريس ، أو من تحوم حوله أو حولها الشكوك فى ربطه ، قد يكون قفل منزله والتعزيم عليه ، ثم القائه فى النهر أو احراقه ، وهنا تفك ضائقة العريس ، وتعاوده رجولته ، وانتصابه .

والأمر بالطبع ليس بعيدا عن ممارسات هذا التابو الجنسى الفاجع ، المبدد للكثير من الطاقات ، التى تفت فى عضد الأسرة العربية فى عصر العلم .

الأمر ليس ببعيد عما يجرى فى المجتمعات البدوية العربية خاصة أقصى مغربه وجنوبه ، بالاضافة الى ما يجرى ممارسته فى لبنان والأردن ومصر من مخالطة للدم والجنس أو « الدم واللبن » وتابواتهما المتسيدة .

نصوص أغاني الزواج وفض البكارة والانجاب

داری جمـــالك عن عيـــون النـــاس
لـولا الملامـــة يـــا حبيبی وكلام النـــاس
لحـــط رجـلی ورجلك فی قميص ولبـــاس
واحلفـك بالأمانـــة مـــا تقـول للنـــاس

★★★

يـــا بـدر شيلـة عيـونك قصمت نخـــلى
لـــو كان نخلـك دهب مـا يسد فی نخـلی
يـــا لفتتـك في العبايـــة فـوتتنی أهـــلی
ايمتــه تـدوب العبايـة وارجـــع لأهـــلی

★★★

عيني وراك يـا جـــدع يـالی ورا الناقـــة
سايـق عليـك النبی تيجی عندنـا وتبـات
نضحك ونلعـب ونفتـــح للهـــوا طاقـــة
عينی وراك يـا جـدع يـالی ورا الشبـاك
سايـق عليـك النبی تيجی عندنـا وتبـات
نضحـك ونلعـب ونفتـــح للهـــوا شبـاك

★★★

منديـــل حريـــر طـــار من علی راسی
منديـــل حريـــر هفـــه الغـــرام
منديـــل حريـــر طـــار من علی راسی
لحـــول البحـــر بالفنجـــال علی راسی
واصحـــن الرمـــل والصـــوان علی راسی

يمكن على الله يحن قلبك القاسي
يا عيني على الرمان ·· مال عليه مال ··
شعرك حليتيه ، بالزبدة دهنتيه
لما جا العريس يرخيه
وأنا اللى ليلى طال

★★★

فى أغانى البنات المراهقات·· كثيرا ما تعبر الأغنية من رغبات البنت ، ومطالبها العاطفية ·· والجنسية · ومشاكلها البسيطة التى تتمدد فى اطار حياتها اليومية الضيقة ·

وفى الأغنية القادمة ، تعبر صاحبتها عن عدم اهتمامها بمن خاصمتها · وفى الليل ··

كثيرا ما تتكون شلتان من البنات · وتجلس كل شلة منهما على عتبة دار ، أو رأس حارة · أو تحت ضوء فانوس ·

ثم تأخذ كل شلة فى الغناء « والروح » موجهة كلامها الى الشلة الأخرى ·· كما يبدو فى الأغنية القادمة :

على ضى العين مسيلى يا قمر
على ضى العين كرمله وعين جمل
على ضى العين ادلع يا جمل
على ضى العين أنا بحب القمر
حطوا اللمبة فى الدولاب
وفيها السمك يا العلباب (١)
واللى مخاصمنى ع القبقاب
على ضى العين مسيلى يا قمر

★★★

جابوا اللمبة فى حجرى ، وفيها السمك يجرى
واللى مخاصمنى على رجلى
على ضى العين مسيلى يا قمر

★★★

البت طلعت ولا جتشى
طلع وراهنا النبطشى (٢)

---

(١) وفيها السمك يلعب لعب ··
(٢) الخادم ·· أو المربى ·

مـا دام شريفـة متعبـرشى (٣)
على ضى العـين مسيـلى يـا قمـر

★★★

« بياعين العنب »

على بياعين العنب ، على بياعينوا من غير جنب
جابـلى اللحمـة فى بابـور زحمـة
رجـع اللحمـة وهـاتلى العنـب
جابـلى الشبشب يقـرأ ويـكتب
رجـع الشبشـب وهاتـلى العنـب
جابـلى القبقـاب فى بابـور ركـاب
رجـع القبقـاب ، وهاتـلى العنـب

★★★

اوعى شويـة .. الليـل طويـل ..
يا أبو عجل تخين
سخسخـتنى .. موتـنى ، وكلـه دا
من أكل العنب

★★★

مـا تشوف يـا حبيبى ، متشـوف عينى مـالها
جابـلى القطيفـة فى علـب نضيفـة
وقـالى : خـدى يـا لطيفـة
قبـل مـا فـرق ، متشـوف عيـنى مـالها
جابـلى الملبس فى علـب مكبس

★★★

قبـل مـا فـرق متشـوف عيـنى مـالها

« ياواد يا حسين »

آه .. وآهـين يـاواد يـا حسـين
وأروح بيك فين ؟
تحـت الكلـوب ، ما وقـع الحـب

---

(٣) لا تعتبرشى ولا تهاب احدا .

تحت السلالم ، والرب عالم
تحت الفانوس ، أحضن وأبوس

★★★

كام ليلة .. وكام يوم
كام ليلة .. حرمنى النوم
كام ليلة ما شفت حبيبى
كام ليلة حرام يا نوم

★★★

فى بعض نصوص الأغانى السابقة . وهى من أغانى البنات الصغيرات، وغالبا ما تقال ، عند بيت العروسة ، قبل الدخلة بأسابيع .

والتصريحات الجنسية التى تدور حولها بعض هذه الأغانى ، تشير الى صراحة العلاقة التى تربط المرأة بالرجل .

تسعين ليلة ، وانا هاجز مرجاداى
يبليك مبليتينى يا بنت الرس علاى
يبليكم مبليتونى .. يا بيض يا صغيرين
بتقولوا دا انتو بليتونى
والى بلانا مين ؟ .
الى بلانى ولد صغير ، وداجج (٤) ع اليمين
الراس راس يمامة والبطن تناى تناى

★★★

« مجرودة بدوية »

وللقبائل البدوية ، التى تقيم فى عزب وكفور خارج « البنادر » أدبها الشعبى الخاص بها . فلهم أغانيهم التى يدعونها « التنوحة » وتحريف الكلمة مشتق من نواح .

وتبدأ الأغنية هكذا :

وين .. وين .. وين يا عرب ..

---

(٥) اى له وشم على اليمين .

ويلاحظ الارتباط بين مطلع الأغاني الشعبية عند هذه القبائل ، وبين بدء الشعراء لقصائدهم ، بالحديث عن الأطلال .. والأمجاد الغابرة .

وفي أفراحهم .. يجتمع شباب القبائل ، ويختارون أي فتاة تعجبهم ، ثم يطلبون منها أن ترقص .

وتسمى الراقصة ، بالحجالة .

فتنتصب في وسط السامر ، وتهتز على دقات « الدربكة » وتصفيق الرجال . ثم يقف واحد ليغني لها . وتسمى الأغنية « مجرودة » .. والباقون يرددون وسمى ترديدهم .. بالطبة .

وفي أحيان مايتبارون في اطلاق النار من فوق راس الحجالة مباشرة وهي ترقص .

وكثيرا مايتبارون في اطلاق النار ، على عقدة المنديل المعقودة على راس الحجالة .

وفي المجرودة القادمة ، التي يصف فيها الشاعر العربي الحجالة وهي ترقص .

وفيها يبدأها بالتحية . ثم يوجه اليها الحديث ، معلنا على السامر كله ، انها كانت عنده « ذلك اليوم » وكتمت منه « جرنانان » .

ثم يمضي فيعدد ، ما كتب في كل جرنال ، وهو وصف غزلي ، يتناول محاسنها وتقاطيع جسدها ، من رأسها حتى قدميها .

★★★

مسيك (٥) بالخير يا عين الطير
يا بيهام (٦) في لبس الخايل
أول ما نبدى بالجول
تعالى جدامي صباى
تعالى جدامي بعجل رهيف
ومني ما تدار (٧) أشاى

★★★

---

(٥) مساء الخير .

(٦) « يابيه » وهو هنا يرفع من شانها . ويغازلها .

(٧) لا تتدرين ، ولا تخجلي ، وتتقبلني ، لانك كنت عندي :. ذلك اليوم . وكلها تعبيرات غزلية ! .

على أيه يا بيه بتتغبن
وأنت داك اليوم عنداى
وكاتب منى جرناناى ؟ !
وف أول ما الجرنال بيجول :
باسم الله .. باسم اللهانى .
يا راسك وراس يمامه
واللى خالقها هو ربناى
يا شعورك وسلب جمال ..
فى يد واحد نسا جاى (٨)
والأورة كيف (٩) البنورة ..
تنور فى العتمة الضلماى ..
يا عيونك وعيون غزلان ..
اللى خالقهم هو ربناى ..
يا سنونك صفين عساكر ..
تخدم فى واحد باشاى ..
يالشفة كيف الليمونة ..
المصة منها آهى تبراى (١٠) ..
يا الرقبة كيف الجمارة ..
وزاينها عجر اللولاى ..
يا صدرك تجول جنينة ..
ويطرح فيها رماناى ..
يا وسطك وسط السافايا ..
فى المسكة لم يحمل شاى ..
يا السرة كيف الفسجية ..
تجول فناجين مكفاى ..
تحت السرة داير بالدور ..
تجول بجور بتصنع شاى ..
يا فخادك لوحين صابون ..
يخيلو فى عمل الفاساى (١١) ..

★★★

(٨) نساج .

(٩) مثل .

(١٠) تشفى العليل وتبرئه .

(١١) الفساتين .

وأنت يا عزيز ٠٠ خطاك معانا منشان (١٢) آه ؟!
وفى المجرودة البدوية التالية يشبه حبيبته بالحمامة :

يليـــلى ٠٠ يليـــلى ٠٠ يليـــلى يـــا عـــين
حمامة (١٣) يمامـة ، جرحتنى جرح ، مش عارف
جـدوده فين ؟
حـــدوده مصر الجديـــدة ، وريس البريـــن
والله ان طبـــت يـــا جـــرح
لجبـــلك جمـــــل وحصـــــان
وأجيبلـــــك شرق المـــــدينة
وانصبلـــــك الصـــــوان

★★★

مقابلـــونى اتنـــين مكـــار
واحـــدة قمـــح ســـكر دايـــب
والتانيـــة تطـــير العقـــل م الـــراس
تعـــالى يـــا قمـــح ســـكر يـــا دايب
لكـــن اللـــلى تطـــير العقـــل م الـــراس
لروحهـــــا لابوهـــــا
وخليـــه يضربهـــا ويبسها فى الـــدارين

★★★

« اغنية بياعين السمك »

بنى يا سمك بنى ، يا متنقرش يا متحنى
طول الليل وأنا داير ، وآدى سمكى معايا باير
الست البيضة بتتمايل ، ولا جتشى شرت منى
يا مللا ٠٠ يا مللا البير ٠
أنت بتملا والى عندك مين ٠٠
يامللا ٠٠
عندى عريس دا العجبان ٠٠

(١٢) علشان أم ؟
(١١) يقصد بها حبيبته أو معشوقته ٠

لابس الجوخ على القفطان
يا بيته رخام فى رخام
شبابيكه ش العصافير
ياملالا ..

★★★

«الحبيبة البدوية»

ع البيدوية (١٤) .. البيدوية
قالتلى : ومنين يا شاطر
قلتلها : جزار يا عنيه
قالت لى : جزار ما بريده .
يدخل لى بسكينه فى ايده
يرعبنى وأنا لسه صبية
ع البيدوية .. البيدوية ..
قالتلى : ومنين يا شاطر ؟ .
قلتلها : فلاح يا عنيه ..
قالتلى : فلاح ما بريده ..
يخش عليه بطوريته (١٥) فى يده
يرعبنى وأنا لسه صبية

★★★

وفى الأغنية السابقة ، التى ترقص فيها « الصبية » العرسان الذين يتقدمون لها ، وكان هذا من حقها . سوى ان الأغنية هنا منفذ ضد التابوات وهنا أغنية شعبية سودانية بهذا المعنى تقول :

الترباله ما بدورو

يجيب الكرشة فى الطجية .. ما بدورو ..

والتربال هو العامل الأجير ، « ما بدورو » ... أى ما بريده ! .

★★★

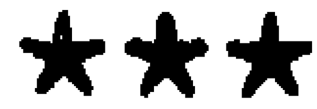
---

(١٤) يلاحظ أن نص هذه الاغنية ، جمع كاملا من بعض الكيانات والقرى الفلسطينية والاردنية .

(١٥) أى فاسه .

« اغنية جيش »

ع المـوال الجبالونى ، ع المـوارد يـا عيونى
وم البيوت أهم لمونى ، وع البنـدر سلمونى
وف الحجـز وبيتونى ، وع المحطـة وطلعونى
وف الفيـوم وكملونى ، وع المحطـة وطلعونى
وف تمن الجيزة ونزلونى وف الحربية ودخلونى
وف البدلة ولبسونى وآخر الشهر وقبضونى
ع المـوال الجبالونى ‥ ع المـوارد ياعيـونى



« اغنية تحكى قصـة حب ‥ تختم بالزواج »
على الله ‥ على الله ، يهـون العسـير
على الله كـوانى ، وصابـح يشيـل
يـاما كرهـونى ‥ فيك يـا جميل ‥
يـا مهجة قلبى ‥ يـا ابن الأمير ‥؟

البنت تقول :

يانينتى أنـا طالعـة ، وقـابلنى الجميل
ولو عنق مايل ، « وبقيت فى وجد كتير »
يـا نيننتى قـولى لبويـا :
يكتب كتابى ‥
على دا الجميل ‥
وان مرتضـاشى ، لميـل عميمتـه
مـا بـين العـرايب ، وتبقى مذلـة
وشانا كبير ‥

على الـلى كوانى ‥ وصابـح يشيل

الأم :

يـا راجل ‥ يـا راجل ، بنتك قالتلى
قـوم أكتب كتـابها ، على دا الجميـل
وان مرتضتشى ، تميـل عميمتـك
مـا بـين العـرايب ، وتبـقى مذلـة
وشانا كبير ‥

على السلى كواعـا ٠٠ وصابـح يشيـل

★★★

ما جابـوك يـا قاضى ، ولموا القبايـل
وعملـوا العزايـم ، ودبحـوا الدبايـح
وجت العروسة تقول اكتب يـا قـاضى
والمهـر واصـل ميتـين بعـير

★★★

قـوم يـا حبيبى ، بقيت حليلتـك
أفعـل مـا شئت ، الله يسامحـك

★★★

« أغنية من أسوان »

لا شفته ولا ريته ولا أعرف طريق بيته
وع السمعة وحبيته ادلـع يـا جميل
فـين أجيب وليف لغسل الصابون ع الليف
حبيبى ملك الخـريف أدلـع يـا جمل
جاعـده على الخزان تراعى ورا جـدام
يـا صبية راعى الغلبان ادلع يـا جمل
يـا جاعده على التابوت عيانه ورايحة تموت
على الله الموعود دا يفوت ادلع يا جمل
يا مركب نازلة من الكوم
واسجه حلاوة ودوم
يا وحيدة وصح النوم
ادلع يا جمل

يا مركب نازله من سوان
واسجه حجر صوان
يا جبى وجع فى النسوان
ادلع يا جمل

يا ضربانى بالجريدة
يا ست أجولك ع الحجيجة
دى بطنك مصر الجديدة
ادلع يا جمل

يا ضراباني بالجادوم
يا عاشج معلياش لـوم
يا وصفاتك فى الفيوم

ادلع يا جمل

يـا ضربـاني بالمسلة
ضلعى اليمين ما اختله
يا وصفاتك فى المحلة

ادلع يا جمل

ما جالت تعالى حـداى
صب اللبن ع الشـاى
دا حبك جطع لى حشاى

ادلع يا جمل

تقال الأغنية القادمة ، للبنات المعـدة للزواج ، والغرض منها تعليم البنات ·· وافهامهن أنهن سوف يحملن ·· ويلـدن · ثم كيف تتصرف الواحدة منهما خلال أشهر الحمل التسعة ·

والننى المقصود به الطفل الرضيع ·

« اغنية اطفال »

النـنى النـنى ·· دلعـه مجننى
آدى أول شـهرى ، ماجتنى ضهـرى
يـا خـوفى من أهلى ، يتبروا منى
وآهى جت فى التانى ، مبكلشى الضانى
مبـكلشى الضـانى ، يتظفـلط منى
آهى جت فى التالت مبكلشى النابت
مبـكلشى النـابت ، يتنفـخ منى
وآهى جات فى الرابع ماومخلقلو صوابع
مخلقلو صوابع ، دى بشارة الننى
آهى جت فى الخمسة مبكلشى الكرشة
مبـكلشى الكرشـة ، يتنقـرش منى
آهى جت فى الستة ، بحبحت الدكة
بحبجت الدكـة ، لسلامـة الننى
وآهى جت فى السابع لبنيلو جامـع

لبنيلو جامع ، لصلاة النبي
وآهي جت في الثامن قوم هات لك ضامن
قوم هات لك ضامن وتعالى كلمني
وآهي جت في التاسع قوم هات لي الداية
وبنت الداية تبات حدايا وتلاقي النني
آهو جالو عمه ، بينقطلو في كمه
افرحي يا مرات عمه ، دا نقوط للنني
وآهو جاللو خاله ، جايب خلخاله
افرحي يامرات خاله ، دا نقوط للنني
ما طلعت الغرفة ، بزف الزفة
يا حسرة بالي ٠٠ خطفتو القطة مني

★★★

بليل يلبى ٠٠ بليل يا عين
حمامة يمامة جرحتني جرح
مش عارف حدوده فين ٠

★★★

حلوه يا عروسة يا ماشيه ع القضيب
معاكي زبده والا لبن حليب
أنا معايا زبده بالصلا ع الحبيب
تحت شباكنا ، واخطب يا خطيب
وقبل ما تخطب دور ع النسيب

★★★

فتدور موضوعات الأغاني الشعبية غالبا ، حول علاقة الرجل بالمرأة ، وكلها تتحدث عن الزواج ٠

والأغنية السابقة ، تهدف الى أن يبحث طالب الزواج عن « نسيبه » أي والد عروسته ، أو أهلها قبل أن يتقدم الى عروسته ٠
أى ان جمال العروسة ليس كل شيء لكي تكون أهلا للزواج ، بل يجب أيضا أن يبحث « العريس » عن أصلها ٠

★★★

« ميت مركب ملانة فن »

ياعم اذا كان على الفن ، عندى ميت مركب ملانة فن
وحبالهـــا فـــن ·· وقلـــوع المراسى فـــن
عنـدى قـلم فـــن يكتب فى دفاتــر فـــن
ومشينـــا للفـــن لما القـــدم أجفـــن (١٦)
ومشينـــا للفن ، وجبنـــا درهمـــو بالفن (١٧)
وصفم دواك يا عليل ، لقو التمر هندى الفن
وأبات أقلب فى الفن ، أخـاف عليـه ليجفـن
وكان « الغبـــارى » زعيمـا ، وحـــاز الفـــن
يا خسارة العقول الذكيـة فى التراب يدفـن

★★★

أكام يـــا حلــو توعـدنى ·· وبـكره آجى
وابـــات أصـحن على كفى ·· وبكراجى (١٨)
فناجيل صينى ·· وبن أخضر ·· وحظ وكيف
أعــاد لحبــاب حلــو ، مــا ينشبـع منــه
وتمســـــوا على خـــير ··
انــــا مــــروح وبـــكره آجى (١٩) ··

ـ انتهى ـ

---

(١٦) حتى حفيت اقدامنا ·

(١٧) بالفين « جنيه » ·

(١٨) البراد الذى كان يستعمل فى صناعة الشـاى ·

(١٩) وباكر أو غدا مأجىء ·

الفهرس

	الصفحة
مقدمه	
الإيقاع وطقوس الانتقال من المهد إلى اللحد في هذه الأشعار	٩
١ ـ الموال الأحمر.. ووهج الثورة المحيط	١٧
٢ ـ هذه الانتيكات الأدبية الشعرية الجنائزية	٢٥
٣ ـ طبيب المبالى والأوجاع	٥٣
٤ ـ الردئ والخسيس والندل وقليل الأصل	٦٩
٥ ـ البين وعياله.. ونكائده	٧٥
٦ ـ الجمال وجماهير الشغيلة	٨٣
٧ ـ ياما بكيت عليك يا صديق، كما بكى الأعمى على الطريق	٩٧
٨ ـ شعر المراثى والبكائيات الجنائزية	١٠٥
٩ ـ أغانى التخمير الصوفية.. والمخاواة	١١٥
١٠ ـ موال العشق الخصيب الأخضر	١٣١
١١ ـ امراض الحب والعشق	١٧١
١٢ ـ البالادا.. وأمراض العشق	١٧٩
١٣ ـ التمثيل بالشخصيات التاريخية والأسطورية	١٨٧
١٤ ـ البنية القرابية وممارسات وأغانى الزواج والأنجاب	١٩١
١٥ ـ التابو وظواهر العرس العربى المختلط	٢٠١
١٦ نصوص أغانى الزواج وفض البكارة والانجاب	٢١١

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٣١٢ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977 - 01 - 5360 - 5

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه وربع
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٧

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

■ شوقى عبد الحكيم

كاتب مسرحي وروائى وباحث فى التراث الشعبى، حيث أمضى ٤٠ عامًا فى جمع ودراسة التراث الشعبى وصدر له ٤٢ مؤلفًا.

فى المسرح:

«حسن ونعيمة» و«شفيقة ومتولى»، و«المستخبى»، و«الملك معروف»، و«الملك خوفو»، و«الأعيان»، و«سميراميس»، «الشبابيك»، و«عُبيد الغالبة»، و«سعدى ومرعى»، و«حرامى الملوك».

فى الرواية: صدر لشوقى عبد الحكيم:

«أحزان نوح»، «دم بنى يعقوب»، «ثلاثية سايتركون عربية»، «بيروت البكاء ليلاً»، «لصوص الموتي»، «الدبايح»، محمود الكبير».

فى حقل الدراسات الشعبية والإثنوجرافيا:

«موسوعة الفولكلور والأساطير العربية»، «السير والملاحم العربية» «الحكايات الشعبية العربية»، «الشعر الشعبى من المهد إلى اللحد»، «سيرة بنى هلال»، «الزير سالم»، «الأميرة ذات الهمة»، «الملوك التباعنة»، «علمنة الدولة وعقلنة التراث العربى»، «سارة وهاجر» ... ويونس».

عضو اتحاد الصحفيين البريطانـ... المهرجان التجريبى الدولى، جائزة ... العربى الشرق أوسطي فى المسرح ... مهرجان المسرح الشعبى.

كاتب غير متفرغ بالأهرام، وأخبار اليوم

